كتاب

اللؤلؤ النضيد

في تاريخ
دير مار بهنام الشهيد

وجولة

في كنيسته الاثرية مع وصف آثارها واذاعة رسومها

وهو صفحة لامعة من اروع صفحات الآثار المسيحية التاريخية

في الديار الشرقيـة

وضعه

الخوري افرام عبدال

رئيس دير مار بهنام الشـهيد

سنة ١٩٥١

طبع بمطبعة الاتحاد الجديدة. تلفون ٦٨٣ - الموصل

لا مانع من طبعه

+ قورلس جرجس دلال

رئيس اساقفة الموصل وتوابعها

على السريان

٣٠ نيسان سنة ١٩٥١

توطئة

العراق عريق في حضارته ، غني بماديانه ، شهير بصروحه وأبنيته ، قديم بشرائعه وقوانينه ، لذا كان ولا يزال محط رحال العلماء يقصدونه للبحث والتنقيب عن آثاره المديدة الخالدة . فيه ازهرت العلوم وازدهرت الفنون والآداب ، وعنه أخذت الامم شتى الحرف والصناعات . وما آثار دير مار بهنام الشهيد المجاور لمدينة الموصل ، إلا من أروع مآثره ، وصفحة من ألمع صفحات فنونه ، ينطق بعبقرية الامة السريانية العراقية ، ويشيد بامجادها السالفة ، في ربوعنا المباركة الخصبة باولي الفهم والألباب .

يرتقي عهد هذه الآثار النفيسة التي يدور عليها بحثنا ، الى العقد الأخير ، من المئة الرابعة ، او بدء القرن الخامس للميلاد . حذا الصناع ، في ريازتها وزخرفها ، حذو الأجداد في تشييد قصور نينوى الشامخة وصروح نمرود الباذخة ، فهي لها صورة مصغرة جامعة ، درست تلك وظلت هذه شاهدة على تفوق الأجداد المتقدمين ، وتخليداً لذكرى الاميرين الشهيدين ورفاقهما الاربعين الصناديد .

ومما يجعل لهذه الآثار مكانة ممتازة ويضعها في طليعة الآثار المسيحية في الشرق ، هو الحذق في صناعتها ، والدقة في زخرفها ، والتفنن والاحكام في تركيب رخاماتها ، والكتابات المنمنمة البديعة ، في مختلف اللغات : من سطرنجيلية ، وعربية ، وايغورية ، وأرمنية قديمة ، مسطورة في منتهى الاتقان والابداع ، هذا فضلا عن الصور المديدة النافرة المنتشرة في أرجائها .

ولما كان الكثيرون من أهل هذا القطر العزيز ، لا يحيطون علماً بوجود هذا الأثر النفيس ، فقد عولنا على كتابة هذه النبذة الصغيرة ، ونشرها بين أبناء العراق وسواهم ،

من عشاق التاريخ والآثار والعاديات ، من غربيين وشرقيين ، ليقفوا على ما امتاز به أجدادنا ، من ذكاء وتفوق، وما بذلوا من نشاط وجهود ، ولا سيما لاعلان ما كان لهذا الدير ، منذ سحيق العصور الخوالي ، من مجد أثيل ، ولصاحبه الأمير الشهيد ، من مقام نبيل ، وشهرة واسعة .

ونحن على ثقة ، اننا بعملنا هذا نؤدي لبلادنا العزيزة ، خدمة علمية ، تاريخية ، لانه عندما يقرأ الأجانب شيئاً عن آثارنا ، يشدون الرحال الى مشاهدتها . وفي هذا ، من الفوائد الجمة ، سياسياً واقتصاديا واجتماعياً ، ما لا يختلف فيه اثنان .

وأخيراً ، لنا الأمل الوطيد ، بان جهودنا وأتعابنا ستثمر ثماراً شهية ، فيشيع صيت هذا الدير الأثري الجميل، بين الاقارب والأباعد ، في كل الاقطار ، حيث سيؤول ذلك الى مجد الله عز وجل ، ويعود بالجدوى على الدير العزيز ، من كل وجه .

وفي الختام، يحلو لنا ان نوجه جزيل شكرنا لكل من آزرنا بارشاداته ، ومعلوماته ونخص بالذكر منهم حضرة المنسنيور يوحنا عزو الجزيل الاحترام ، والمعلم الماجد الاستاذ عيسى جبو الاكرم ، والسيد سليمان نقاشة الذي تبرع بعمل ٢٣ منحسة لرسوم هذه الآثار في امريكا ، فبرزت بعرض لطيف رائع ، كما نرجو من كل من يطلع على هذا الكتيب ، من أهل العرفان والتنقيب ، ان يرشدنا الى ما يرى فيه من زلة او نقص ، اذ هو اول بحث من نوعه ، في هذا الموضوع ، وبذلك يكون قد أدى خدمة لبلادنا العزيزة، يسجلها له التاريخ بعداد الامتنان والثناء . هذا ما نتمناه من نشرنا هذه العجالة، وعلى الرب اتكالنا ، في البدء والختام ، وهو سبحانه وتعالى لا يخزي المتوكلين عليه .

مصادر الكتاب

الكتب العربية

ابن العبري : تاريخ مختصر الدول - بيروت ١٨٩٠ -

المطران ادي شير : تاريخ كلدو وآثور . جزءان - بيروت ١٩١٣ -

المطران ادي شير : شهداء المشرق الجزء الأول - الموصل ١٩٠٠ -

احمد عزة الأعظمي : خلاصة تاريخ العراق في الدليل العراقي - بغداد ١٩٣٦ -

القس اسحق أرملة (الخوري اسحق أرملة) : أنباء الزمان في جثالقة المشرق ومفارنة السريان - بيروت ١٩٢٤ -

القس اسحق أرملة : الزهرة الذكية في البطريركية السريانية الانطاكية - بيروت ١٩٠٩ -

القس اسحق أرملة : السريان في القطر المصري - بيروت ١٩٢٥ -

الخوري اسحق أرملة : الطرفة في مخطوطات دير الشرفة - جونيه - لبنان ١٩٣٦ -

الاب الراهب افرام برصوم (البطريرك افرام برصوم) : نزهة الاذهان في تاريخ دير الزعفران - دير الزعفران ١٩١٧ -

البطريرك اغناطيوس افرام برصوم : اللؤلؤ المنثور في تاريخ العلوم والآداب السريانية - حمص ١٩٤٣ -

المطران أفرام نقاشة : تاريخ الامة السريانية جزءان مخطوطان في مكتبة دير مار بهنام .

المطران أفرام نقاشة : عناية الرحمن في هداية السريان - بيروت ١٩١٠ -

البطريرك اغناطيوس أفرام رحماني : مجلة الآثار الشرقية - المجلد الثالث - دير الشرفة ١٩٢٨ -

القس بطرس نصري : ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان جزءان - الموصل ١٩٠٥ و ١٩١٣ -

القس بولس شيخو (المطران بولس شيخو) : الديورة في مملكتي الفرس والعرب - الموصل ١٩٣٥ -

روفائيل بابو اسحق : تاريخ نصارى العراق - بغداد ١٩٤٨ -

الاخ روفائيل سمحيري : الكوكب الدري في سيرة السيد اغناطيوس انطون سمحيري - بيروت ١٩٢٩ -

القس سليمان صائغ (الخوري سليمان صائغ) : تاريخ الموصل الجزء الاول - مصر ١٩٢٣ -

صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق : مراصد الاطلاع .

الفيكنت فيليب دي طرازي : السلاسل التاريخية - بيروت ١٩١٠ -

» » » » : عصر السريان الذهبي بيروت ١٩٤٦ -

» » » » : أصدق ما كان في تاريخ لبنان وصفحة من تاريخ السريان ١٩٤٨ -

كوركيس عواد : أثر قديم في العراق - الموصل ١٩٣٤ -

الدكتور محمود محمد البكري والدكتور مراد كامل : تاريخ الادب السرياني - القاهرة ١٩٤٩ -

ياقوت الحموي : معجم البلدان - ليبسيك ١٨٦٦-١٨٧٣ -

المطران يوسف الدبس : تاريخ سوريا . المجلد الاول - بيروت -

تاريخ الامة العربية قديماً وحديثاً : الجزء الثاني - مطبعة الارض المقدسة ١٩٤٦ -

المقدمة التاريخية لدليل المتحف العراقي - بغداد ١٩٤٣ -

الكتب السريانية

أخبار الشهداء والقديسين المجلد الثاني طبعة بيجان (ليبسيك ١٨٩١)

التاريخ الكنسي لابن العبري (لوفان ١٨٧٢-١٨٧٧)

تاريخ الدول السرياني لابن العبري طبعة بيجان (باريس ١٨٩٠)

تاريخ الرهاوي المجهول طبعة البطريرك افرام رحماني (دير الشرفة ١٩٠٠)

رحلة يابالاها الى البلاد الغربية (طبعة باريس ١٨٨٨)

مخطوطات عديدة في خزائن كتب دير مار بهنام وقره قوش وبرطلي ودير الشرفة وبيروت

الكتب الافرنجية

1- Badger G. P. The Nestorians & their rituals [Vol I, London, 1852. PP. 94—96, 112] .

2- Bell G. Amurath to Amurath [London , 1911 , P P. 262—263]

3- Basset R. Le Synaxaire arabe Jacobite, Patrolog. Orient. [T. III , Paris . 1909 p. 452sq)

4- Budge E.A.W. By Nile & Tigris [Vol. II, London, 1920. PP. 97-98]

5- Fergusson J. The Palaces of Nineveh & Persopclis. [London, 1851 . PP. 306, 325].

6- Fletcher Notes From Nineveh [London 1850 V. II P. 78].

7- Forget J. Synaxarium Alexandrinum. Script . arab, textus , (IIIe Serie , T, XVIII , Paris , 1905 T. I P. 158 , 288 sq.) .

8- Felix Jomes , Topography (Bombay . 1857 , PP. 471-472) .

9- Hoffmann G. Auszuge aus Syrischen Acten Persischer Martirer [Leip – zig , 1880 , P. 17 sq.] .

10- Harzfeld E. Forchungen Zur Islamischen Kunst I. Archaologische Reise in Euphrat und Tigris–Gebiet : Berlin 1925

11- Grisar J. Dictionnaire d'Histoire et de Geographie ecclesiastiques (Paris T. VII P. 477)

12- Labourt, Le Christianisme dans l'Empire Perse (Paris 1904, PP.97,218,305)

13- Layard A.H. Discoveries in the Ruins of Nineveh and Babylon (London 1853, P. 169)

14- *Luke C. L. Mosul and its Minorities (London, 1925. PP. 118-119)*

15- *Niebuhr, Reise (Copenhague, Danemark, 1766, T. II. - P. 368)*

16- *Place V. Ninive et l'Assyrie (Paris, 1870, P.171*

17- *Pognon H. Les Inscriptions Semitiques (Paris, 1907. PP. 132 - 142)*

8- *Preusser C. Nordmesopotamische Baudenkmaler Alt - christicher und Islamicher Zeit (Leipzig 1911, PP.1-13 Pl 1-20)*

19- *Rich C. J. Residence (London, 1836, T. II PP. 76-77)*

20- *Assemani Bibliotheca Orientalis(Roma 1719—1728)*

21- *Bibliothecae Apostolicae Vaticanae Codicum Manus—criptorum Catalogus Roma (T. II et III)*

22- *Wright W. Catalogue of the Syriac Manuscripts in the British Museum (Part III, London 1872, pp. 94—1183)*

23- *Les Manuscrits Syriaques de la Bibliotheque Nationale (Paris 1896)*

24- *Sachau E. Verzeichniss der Syrischen Handschriften der Koniglichen Bibliothek Zu (Berlin 1899, V. II, pp. 464 - 898)*

25- *Voste (J.M) Catalogue de la Bibliotheque Syro-chaldeenne du couvent de Notre Dame des Semences (Rome1929)*

القسم الأول

تاريخ

دير مار بهنام الامير الشهيد

﴿ معرض رسوم دير مار بهنام الأثرية ﴾ الصفحة

١ ـ صورة قديمة لمار بهنام في كنيسة مار مينا ـ القاهرة « عن كوترا موك » ٤٥

٢ ـ صورة قديمة لمار بهنام في كنيسة السريان ـ دمشق « فوتوغرافية خاصة » ٤٧

٣ ـ تفاصيل زخارف رواق الكنيسة « عن بروسير » ٦٩

٤ ـ تفاصيل زخارف رتاج مدفن الآباء » » ٧٠

٥ ـ تفاصيل زخارف الرتاج الجنوبي الثاني الفخم » » ٧١

٦ ـ البطريرك افرام رحماني في حفلة وضعه الحجر الاساسي « فوتوغرافية خاصة » ١٢١

٧ ـ منظر داخل الرواق وجبهة الكنيسة الغربية « عن بروسير » ١٤١

٨ ـ مدخل الكنيسة الأيمن « تصوير الآثار العراقية » ١٤٣

٩ ـ زخارف واجهة الكنيسة المتوسطة البابين » » » ١٤٥

١٠ ـ مدخل الكنيسة الأيسر » » » ١٤٦

١١ ـ كنيسة دير مار بهنام (منظر داخلي) » » » ١٤٨

١٢ ـ ١: الباب الجنوبي الاول ٢: وزخارف سقف قبته المندثرة « عن بروسير » ١٥٠

١٣ ـ الرتاج الجنوبي الثاني الفخم « تصوير الآثار » ١٥١

١٤ ـ باب قدس الأقداس الصغير » » ١٥٣

١٥ ـ زخارف في أعلى الباب الصغير » » ١٥٤

١٦ ـ رتاج قدس الاقداس الملكي ١٥٥

١٧ ـ ١: زخارف سقف قبة المذبح ٢: وصورة مار بهنام « عن بروسير » ١٥٦

١٨ ـ تمثال الامير مار بهنام الشهيد « تصوير الآثار » ١٥٨

١٩ ـ تمثال الاميرة سارة الشهيدة » » ١٥٩

٢٠ ـ رتاج بيت القديسين (مدفن الآباء) » » ١٦٠

٢١ ـ باب المصلى الشمالي » » ١٦٢

٢٢ ـ زخارف سقف قبة هذا المصلى الفخمة » » ١٦٣

٢٣ ـ ضريح مار بهنام الامير الشهيد » » ١٧٣

١٤ ـ لوحة أثرية نفيسة بالجب في أسفلها كتابة ارمنية قديمة » » ١٧٦

موقع دير مار بهنام

من الموصل الى دير مار بهنام الشهيد :

يقع دير مار بهنام الشهيد ، على مسافة ٣٥ كيلومتراً ، جنوب شرقي الموصل ، على ربوة تطل على برية فسيحة الأرجاء ، بين دجلة والزاب الكبير ، تقطع السيارة هذه المسافة بنحو ساعة او أقل ، عن طريق الموصل ـ الكوير .

نمتطي سيارة من الموصل ، فتجتاز بنا الجسر الحديدي الممتد فوق نهر دجلة . ثم تسير بنا سيراً وئيداً ، متجهة الى قرية النبي يونس (يونان) جنوبي تل « قوينجق » حيث تتمثل أمامنا مدينة عريقة في القدم ، تعيد الى الأذهان ذكريات تاريخية ، خلدتها القرون الغابرة للاجيال التابعة ، تلك هي نينوى .

فاذا ما اجتزنا قرية النبي يونس المذكورة ، تنعطف سيارتنا ، نحو الجنوب ، في طريق معبدة ، موازية لأسوار نينوى المندرسة ، فتنهب بنا الأرض نهباً ، وسط حقول ممرعة فسيحة ، يتخللها منخفضات ووهاد ومرتفعات ونجاد ، وهذه الحقول الفيحاء ، خلفها لنا أجدادنا ، تراثا ثميناً ، لتكون رمزاً خالداً للمدنية العراقية الخالدة .

تقطع سيارتنا ، مسافة خمسة وثلاثين كيلومتراً ، فتبلغ بنيانا شامخاً مهيباً ، طاول القرون بروعته وجلاله ، صابراً على محن الدهر وحدثان الزمان ، هو « دير مار بهنام نخر الشهداء » . مأوى فريق من الرهبان والعباد السريان الذين زهدوا في الدنيا وحطامها ، وانقطعوا الى عبادة الله عز شأنه ، محتبسين ضمن جدرانه ، ليعيدوا ويحيوا الأثر الطيب واليقين الثابت بالله الواحد القهار ، خاصة في هذا العصر الذي يتمخض عن مبادىء فاسدة ، هي ضد الدين والاخلاق والشرائع الطبيعية .

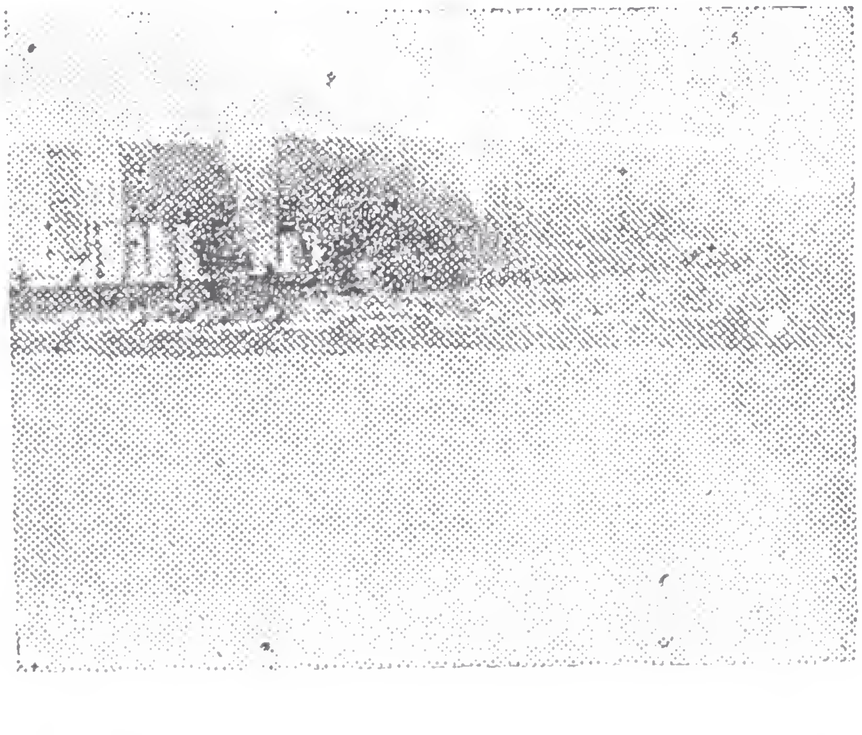

﴿ جناح الدير الشمالي من الخارج ﴾

﴿ جناح الدير الشمالي من الداخل ﴾

عندما يدخل الانسان في الدير ، يقابله باب رحيب مرتفع ، وما ان يجتازه حتى يقابله فناء فسيح «وهو الفناء الخارجي» ، في وسطه حديقة صغيرة ، وفيه غرف عدة معدة لزائري الدير الذين لا ينقطع سيلهم طوال أشهر السنة ، للتمتع بآثاره التاريخية وبمناخه اللطيف وهوائه العليل

والى يسار الداخل ، تقع كنيسة القديس التي يرتقي عهد بنائها الى صدر القرن الخامس للميلاد ، وهي في الحقيقة من ابدع وأفخم وأجمل كنائس الشرق الأثرية ، بشهادة الكثيرين من الاجانب ، وهي من الآثار العراقية التاريخية الخالدة ، لما فيها من الآثار النفيسة التي تنطق بما للعراقي ، منذ القدم من عبقرية فذة ، وذكاء خارق .

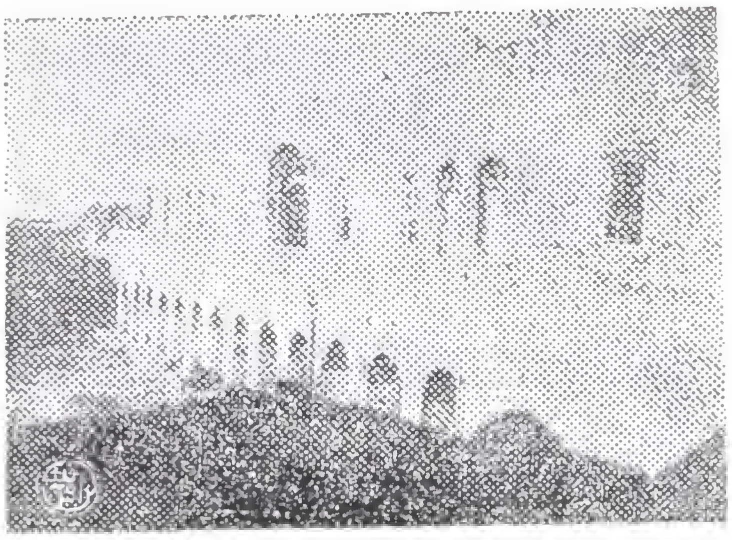

(منظر الكنيسة العام من حوش الدير)

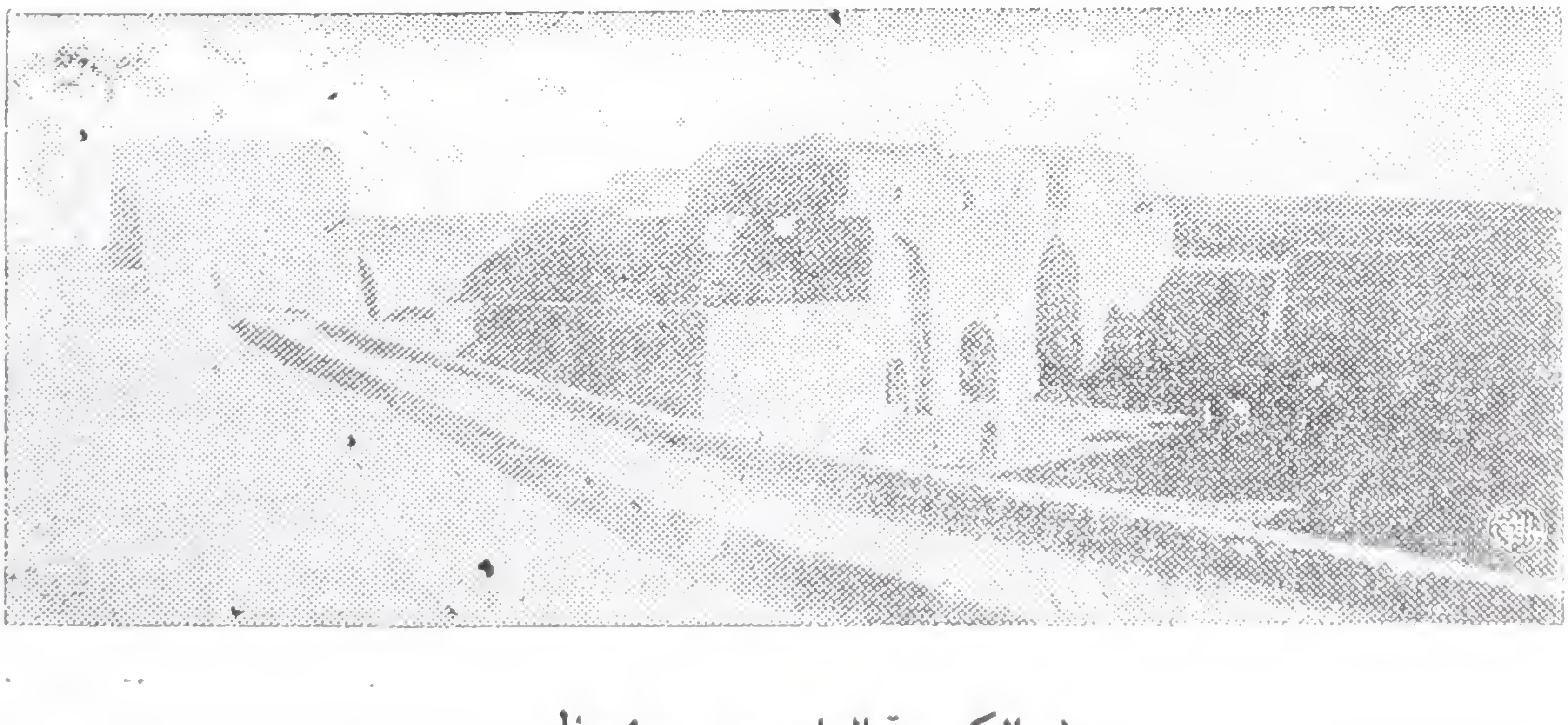

منظر الكنيسة العام من حوش الدير

الباب الاول

أخبار مار بهنام الشهيد المعظم

....

الفصل الاول

ملخص ترجمة مار بهنام الشهيد

هو بهنام (١) بن سنحاريب (٢) ملك ولاية آثور (٣)، قادته النعمة الآلهية من ظلمة الوثنية وضلالها، الى نور الديانة المسيحية وجلالها. فاذ كان الامير الشاب يلهو بالقنص، كعادة اولاد الملوك، في ذلك الزمن، مع اربعين جنديا من أعوانه، لاح لهم أيل عظيم، فحملوا عليه، ولم يزالوا يطلبونه، حتى بلغ بهم الى سفح الجبل المقلوب (٤)

---

١) (بهنام) كلمة فارسية معناها (الحسن الاسم) او (الجميل الاسم)

٢) (سنحاريب) كلمة اشورية معناها (سين - آخي - اربا): (سين اي القمر يكثر الاخوة) او (سين المحارب) وسنحاريب هذا. ليس بسنحاريب الكبير الذى عاش قبل المسيح بنيف وسبعمائة سنة (٧٠٥-٧٨١ ق.م) بل هو سنحاريب آخر، من سلالة داريوش، عاش فى القرن الرابع الميلادي، وكان عاملا لشابور الثانى(٣٠٩-٣٧٩م) في ولاية آشور التي قاعدتها نمرود. وعن سنحاريب هذا، جاء فى تاريخ الرهاوي المجهول: « وفى هذا الزمن (عام ٣٥٩م) استشهد مار بهنام واخته سارة على يدي ابيهما سنحاريب ملك آثور ». وقال هذا المؤلف ايضا نقلا عن رسالة يوليانس الجاحد (٣٦١ - ٣٦٣) الى القديس باسيليوس حينما ازمع محاربة شابور: « اني مستعد للتوجه الى بلاد الفرس لاقهر سنحاريب، حفيد داريوش، وأرغمه على ان يؤدي لي الجزية ويخضع لي صاغراً. » وعلق هنا المؤرخ المذكور حاشية قال فيها: يتصل نسب سنحاريب بداريوش، معاصر اسكندر الكبير. وسنحاريب هذا هو والد مار بهنام، وكان يسكن يومئذ، آثور. اما شابور فكان مركزه في بلاد الفرس السفلى (طالع الرهاوى المجهول الذي نشره البطريرك افرام رحماني في مطبعته بدير الشرفة ص ٨٩-٩٢ وحياة الاميرين للمؤلف ص٧-١٤

٣) ان المملكة الفارسية كانت مقسمة الى عدة امارات او ممالك صغيرة، لكل منها، عامل يعينه الملك الاعظم. وكان العمال العظام على الولايات الكبرى، يدعون في ذلك العهد (ملوكا) ولو كانوا خاضعين للملك الفارسى « ملك الملوك ». فيكون سنحاريب احد هؤلاء الولاة العظام او الملوك (اطلب ذخيرة الاذهان للقس بطرس نصري ١ : ٨٩ وتاريخ الموصل ١ : ٢٠)

٤) سمي هذا الجبل « بالمقلوب » لان الطبقات الصخرية في منحدراته، ترى هاوية متناسقة، بشكل رائع.

فتسلق الجبل وتوارى عن أبصارهم . ولما كانت الشمس قد جنحت الى المغيب ، وقد أنهكهم التعب ، باتوا حيث انتهوا ، الارض وطاؤهم وأديم السماء غطاؤهم .

وبعد هدأة من ذلك الليل الدامس ، تراءى ملاك النور للامير الشاب ، مبشراً اياه بان رب السماء قد اختاره اناء مصطفى ، وأشار عليه بان يقصد شيخاً ناسكا ، مقيما في هذا الجبل يدعى «متى» (١) فيذعن لارشاداته .

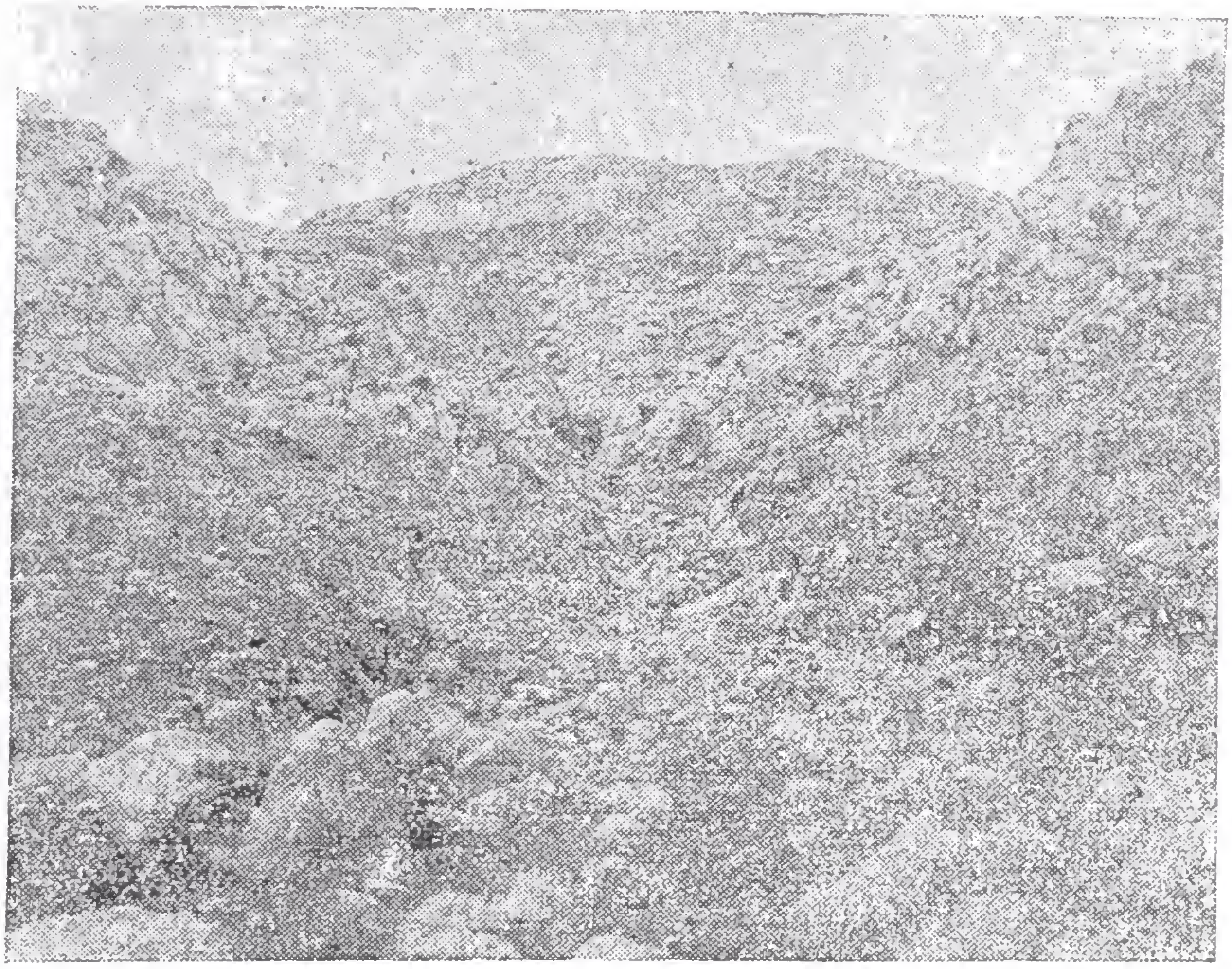

الجبل المقلوب الذى انزوى فيه مار متى ورهبانه
(تصوير الأب اوباك - مونسرا)

لبى بهنام الدعوة السموية ، بوداعة وخضوع ، ورجاء وخشوع ، ورغب في الديانة المسيحية واستمسك بعروتها الوثقى ، عن اقتناع راسخ ، ويقين صادق ، خصوصاً بعد شفاء اخته الاميرة سارة من دائها «الجذام» ، لدى قبولها العماذ في عين ماء أنبعها مار متى الشيخ المذكور في الارض اليابسة ، بآية باهرة ، فانتهجت هي ايضاً

١) كان مار متى من قرية تطل على دجلة تدعى (ابجرشاط) في الجهة الجنوبية من مدينة آمد (دياربكر) هجر وطنه ولجأ بفئة من النساك الى بلادفارس هربا من اضطهاد يوليانوس الجاحد (٣٦١ -٣٦٣م) وانزوى في الجبل المعروف اليوم باسمه ، وتوفي في سلخ المئة الرابعة .

نهج أخيها ، وآمنت بالمسيح وحذا حذوهما رفاقها الاربعون فارساً .

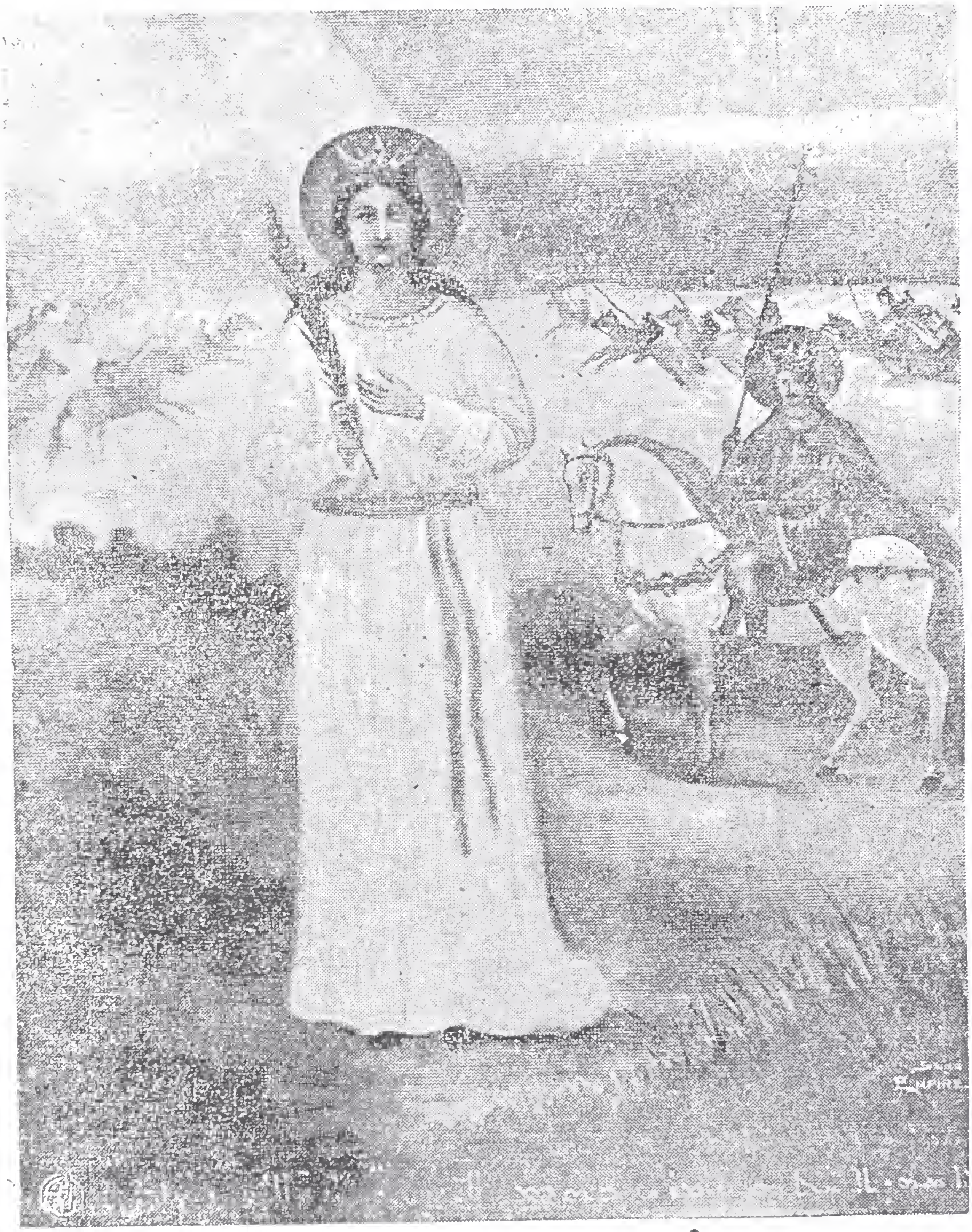

الأميرة سارة بعد شفائها العجيب

تلقى سنحاريب نبأ تنصر ولديه باستياء شديد واستنكار بالغ، وحاول ردعهما عما اعتنقا ، متذرعا بكل الوسائل . اما هما ، فلم ينثنيا عن عزمهما، بل ازدادا تمسكا ورسوخا. ولما لم ينجع فيهما وعده ، ولم يرهبهما وعيده ، صمم على قتلهما .

رأى الامير الشاب بهنام ان يجتمع بمعلمه متى ليتزود من نصائحه الثمينة وبركته الأبوية الاخيرة . فقصده ، غلساً ، مستصحباً اخته وأعوانه الاربعين . فوشي بهما الى

أبيهما ، بأنهما وأتباعهما ، خرجوا عليه متمردين . فأنفذ في الحال أمره الى من يتقفون أثرهم ، ليأتوا اليه برؤوسهم . فأدركوهم ، على بضعة أميال من المدينة ، جالسين الى

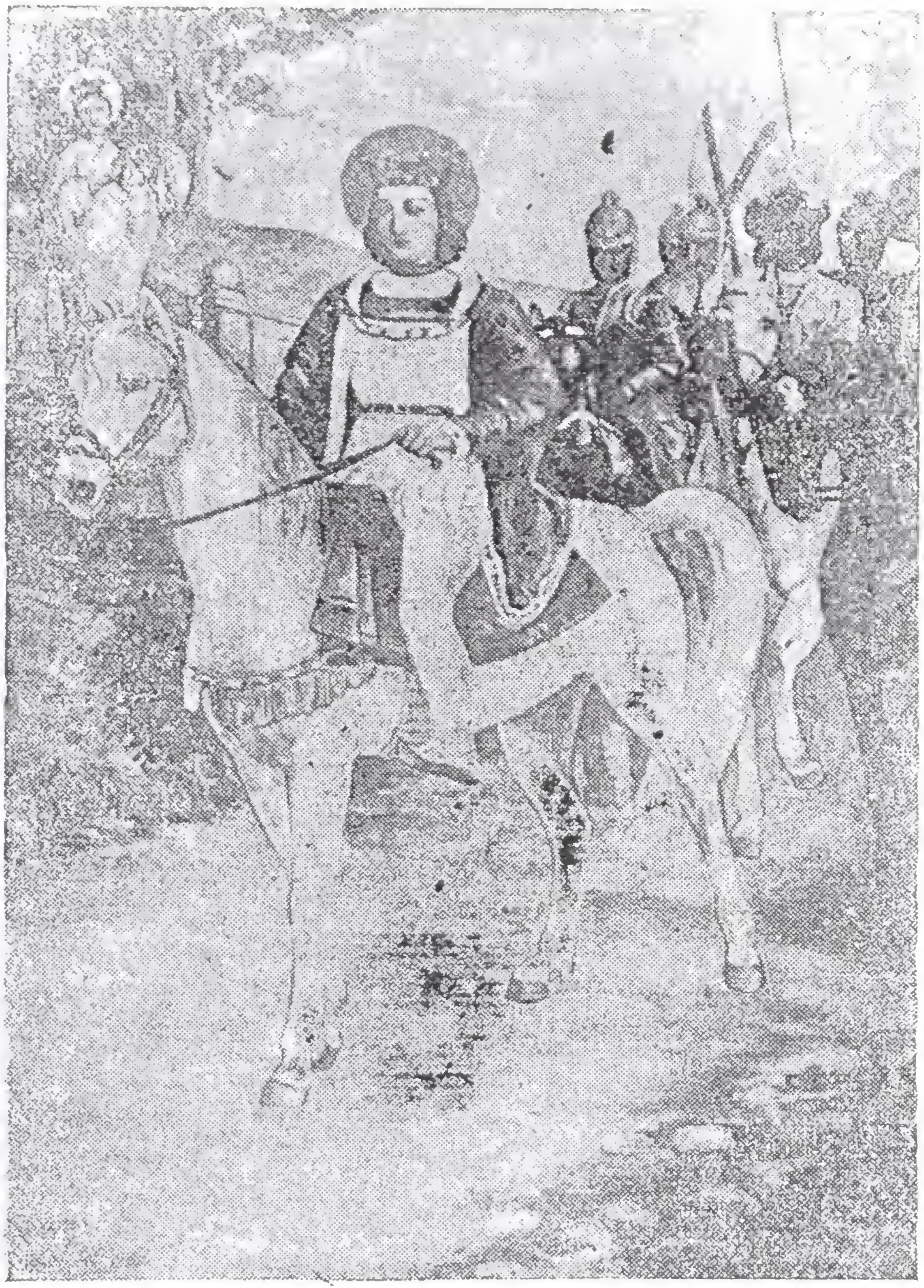

الأمير بهنام في طريقه للاجتماع بمار متى

لمقتل ، فذبحوهم ، على بكرة أبيهم ، ذبح النعاج ، غير راحمين ولا ملتفتين الى الشباب الغض ولا مفكرين بالايمان الصحيح .

وبينما كان الجند يحاولون اضرام النار لاحراقهم بامر سنحاريب أبيهم، كي لا يبقى لهم أثر على الارض ، حدث زلزال ودوي هائل، فانشقت الارض ، بقدرة العلي القوي،

فوارت أشلاء المطوبين (١) .

لم يمض زمن طويل ، على هذا الحادث الأليم ، حتى أصيب سنحاريب بداء وبيل ذهب بعقله ، ثم ثاب اليه رشده ، على يد مار متى الشيخ الفاضل فتنصر . وشاد من ثم

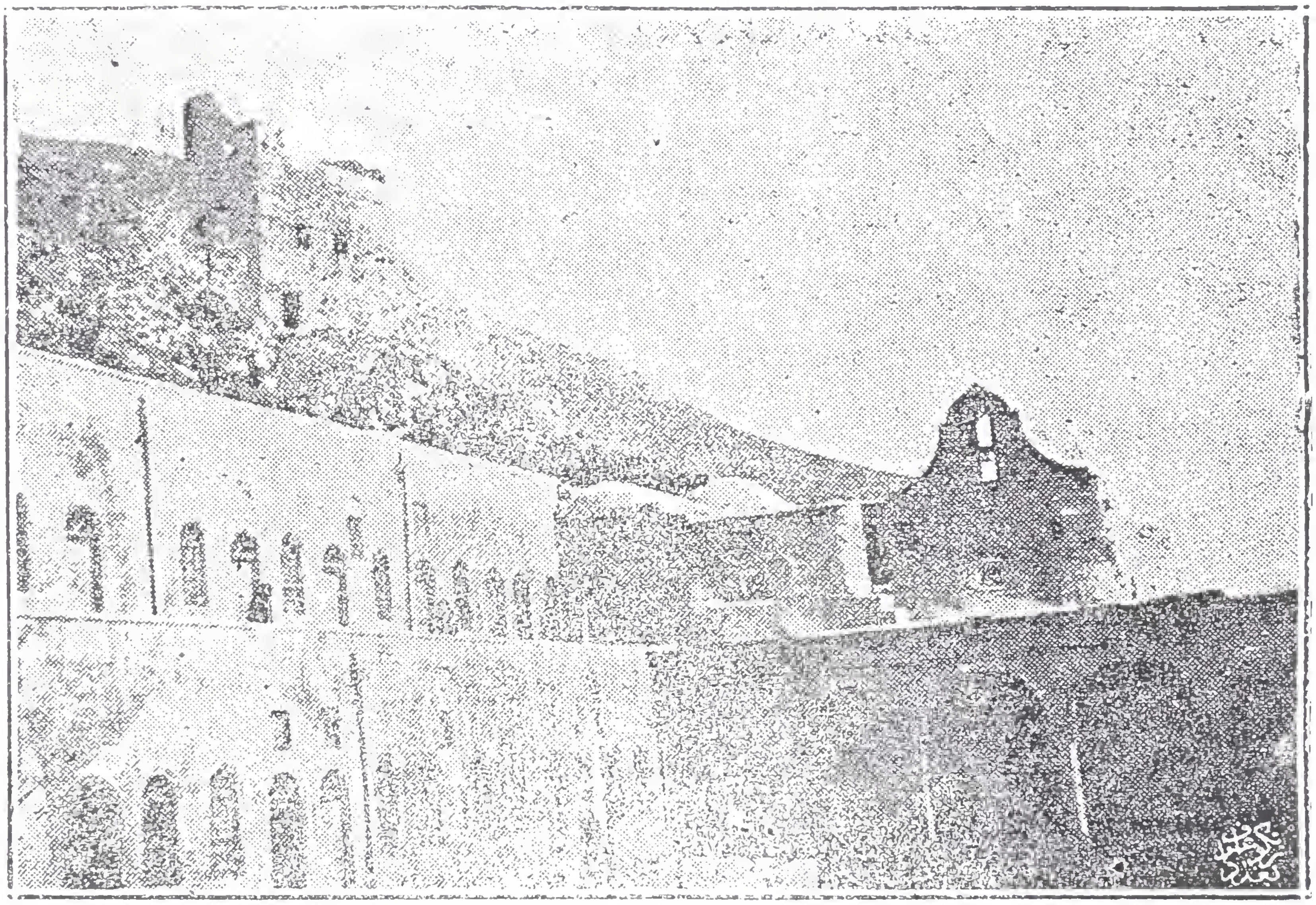

(كنيسة دير مار متى)

لمار متى ديراً في جبل الفاف (٢) ومعبداً لأبنيه ، في موضع استشهادهما ، صان فيه رفاتهما ورفات الاربعين ، وهو معبد الضريح المعروف اليوم « بالجب » (٣) .

١) يستنتج من هذا وجود « جب » قديم في هذه البقعة لان التل وما يجاوره ، اطلال اثار مندرسة قد تكون حوت فيها اجساد الشهداء على اثر الزلزال المذكور . وقد حدث هذا طبيعياً بل باية سموية لان الله عز شأنه يسخر غالبا الطبيعة لتحقيق رغائبه السامية (طالع حياة الاميرين ٢٢-٢٣)

٢) دعي « الجبل المقلوب » او « جبل الشيخ متي » جبل الفاف نسبة الى الوف الرهبان الذين اجتمعوا فيه في غضون القرن الخامس .

٣) من تحليل سير الحوادث التاريخية ، نرى ان سنحاريب لم يجد فرصة سانحة ليعلن فيها اعتناقه الديانة المسيحية ويشيد معبداً لابنيه وديراً لمار متى ، الا فى عهد خلفاء شابور الثاني المسالمين وذلك فى العقد الاخير من المئة الرابعة .

فاصبح هذا المثوى ، منذ سنئتئذ ، مجيداً نظراً الى الكرامات العديدة التي شاءت العناية الالهية اجراءها بشفـاعة شهيده الامين ، على توالي الايام ، وكر الاعوام . بل غدا محجاً يؤمه القاصي والداني ، من مختلف الانام ، التماساً لنعمة او طلباً لازالة نقمة .

في تلك الأثناء ، مر بهذا المقام المجيد تاجر فارسي يدعى اسحق ، كان قاصـداً اورشليم ، وهو مع حشد عظيم . فصلى هذا الى الشهيد ليشفى عبده الممسوس ، فاجيب الى طلبه . حينئذ شاد اجلالا للامير الشهيد ، كنيسة فخمة ومسا كن ، أوى اليها نساك زهدوا في حطام الدنيا ، كان دأبهم العناية بالمرضى المصابين بشتى العاهات، المتقاطرين الى هذا الدير ، طلباً للشفاء .

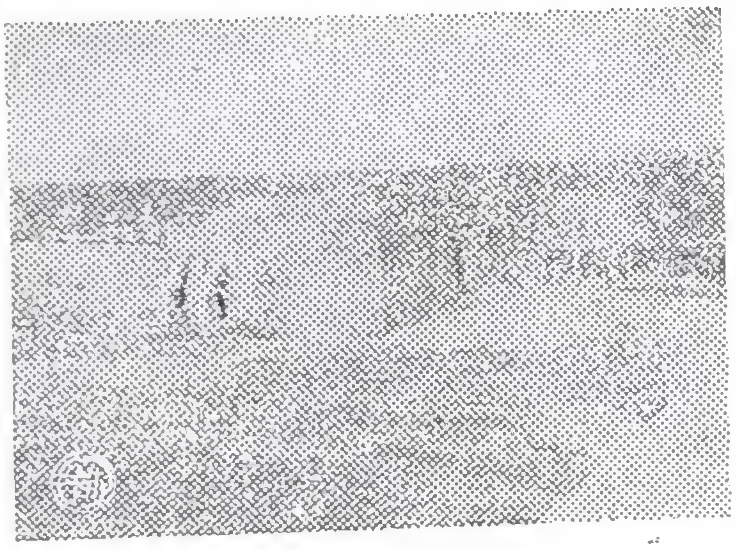

(قسم من الدير الجنوبي من الخارج)

بعد هذا ، نقلت ذخائر الاميرين الشهيدين من معبد الجب الى هذه الكنيسة فعرف « بدير الجب » (١) واشتهر أخيراً، على توالي الاحقـاب « بدير مار بهنـام الشهيد » (٢) او « دير الخضر » (٣) .

١) عرف « بدير الجب » لنقل رفات الاميرين الشهيدين من معبـد الجب حيث استشهدا ، الى كنيسة هذا الدير ، بعد الفراغ من بنائها . وظلت هذه التسمية شائعة قرونا عـدة . كذا اسماه ياقوت الحموي والقزويني وغيرهما . ولا تزال تسمية الجب مستعملة حتى اليوم ، الا انها انحصرت في المعبد الحاوي رفات الشهداء (طالع معجم البلدان ٢ : ٦٦١ والقزويني ٢ : ٢٤٧ ومراصد الاطلاع ص ٤٢٧ وحياة الاميرين ٢٢-٢٣ و ٥٥ وفهرس مكتبة لندن ص١١٣٥)

٢) اما ابن العبري فيعرفه تارة (بدير الجب) وطوراً باسم (دير مار بهنام) - التاريخ الكنسى ٢ : ٣٢٩

٣) يعرفه غير المسيحيين (بدير الخضر) او (خضر الياس) نسبة الى الكرامات العديدة التي يجريها الله عز شأنه على ضريح صفيه مار بهنام . وتسمية مار بهنام « بالخضر » قديمة ، نجدها لاول مرة في مطلع القرن الرابع عشر ، مسطورة باللغة الايغورية (التركية القديمة) فوق ضريح مار بهنام بالجب (انظر حياة الاميرين ١٦-١٨)

الفصل الثانى

عهد كتابة هذه الترجمة

ذهب بعض الباحثين المدققين الى ان هذه السيرة ، بنصها الحالي (١) ، هي من وضع القرن السابع . قال مار ادي شير : « ان كاتب هذهالسيرة عاش بعد الجيل السادس(٢) . وأكد غبطة البطريرك افرام برصوم بأنها كتبت حوالي القرن السابع(٣). وقال الدكتور محمد حمدي البكري مدرس اللغات السامية في جامعة فؤاد الاول : « لا شك في ان نص هذه السيرة قد ظهر في العصر الذي انتشرت فيه الدعوة اليعقوبية في الدولة الساسانية ، في السنوات القليلة السابقة على ظهور الاسلام » (٤) .

الا ان هذا ، لا يعني ان هذه السيرة ، لم تكتب سابقاً، بنص آخر ، بعد مدة وجيزة ، من عهد استشهاد مار بهنام وتنصر والده ، لأسباب أخصها : ان الرهبان كانوا يجدون من أنفسهم دافعاً قويا لتدوين الاخبار الصحيحة والحوادث الهامة التي تقع في عصرهم ، وخاصة سير الشهداء والقديسين .

وعليه ، فلا يعقل والحالة هذه ، ان رهبان دير مار متى ، وكانوا جماً غفيراً ، في صدر القرن الخامس ، قد تغافلوا عن تدوين سيرة معلمهم الفاضل مار متى ، مهملين الحوادث التي رافقت حياته وعظمت شأنه ، كهداية مار بهنام واستشهاده وشفاء سنحاريب وتنصره وبنائه ديراً لهم ومعبداً لأبنه الشهيد .

فالارجح ، ان النص القديم فقد يوم اغتصب برصوما النسطوري (٥) مطران

---

١) طالع اخبار الشهداء والقديسين : بيجان ٢ : ٣٩٧ - ٤٤١ واشهر شهداء المشرق ١ : ٢٩١ - ٣٠٦

٢) تاريخ كلدو وآثور ٢ : ٩٣

٣) اللؤلؤ المنثور ص ١٣٩

٤) تاريخ الادب السرياني من نشأته الى الفتح الاسلامى ص ١٩٢

٥) كان برصوما احد تلامذة مدرسة الرها وتشرب فيها بتعاليم نسطور ، فطرد منها . فلجأ مع بعض اصحابه الى بلاد فارس وهناك اقيم اسقفاً على نصيبين . فتذرع حينئذ بحيل شتى لنشر مبادئه . فكان يموه الحقائق ويصانع ، مثيراً الاغراض السياسية والعداء المتبادل بين المملكتين الفارسية والرومية ، مصوراً لفيروز الملك (٤٥٧-٤٨٤م) ان نصاري مملكته لا يخلصون له الطاعة ما داموا

نصيبين (٤٩٥م) ، دير مار متى من السريان ، وقتل رهبانه وأحرق مكتبته وأنزل الخراب والدمار بغيره من الاديرة والمعاهد السريانية. ومما لاريب فيه ان مصير دير مار بهنام، في هذه الكارثة ، كان كحظ دير مار متى .

اما النص الحالي لهذه الحياة ، فانما كتب ، بعد اعادة دير مار متى ، الى السريان على يد جبرائيل السنجاري (١) (٦١٠) ، طبيب خسرو الثاني (٥٩٠-٦٢٨) ، الساعي بكل الوسائل في ازدهار دير مار متى بالرهبان السريان ، واذاعة المنوفستية ، في آثور وجوارها . وقد ألفها واضعها ، ولعله أحد رهبان دير مار متى ، معتمداً على التقليد القديم المتداول في الكتب او نقلا عن الروايات . وقد تحرى هذا المؤلف ، بكل تدقيق ، تحديد الاماكن والمواقع المهمة ، بايضاح وبيان ما عليها من مزيد حتى كأنه يحرض المؤمنين ، على بذل كل مجهود ، في معرفتها واجلالها . فيخبرنا ، ان المكان الذي تكلل فيه القديس باكليل الاستشهاد ، هو بجانب اكمة . وان الكنيسة شيدت على رمية حجر من القبر الى الغرب . وان هناك عينا تعمدت بها القديسة سارة . والكل على خط مستقيم بين مدينة نمرود والجبل المقلوب ، حيث دير مار متى الشيخ .

ان هذه الترجمة ، وقد مضى على وضعها ، ما ينيف على ١٣٠٠ سنة ، هي خليقة بالثقة ، لان ماجاء فيها يطابق ، تمام المطابقة ، موقع الدير الجغرافي ، كأن اخبارها تنطق بحقيقتها ، في عهدنا : فهنا ، كما ترى ، أكمة في لحفها معبد الجب ، والى جانبه الدير المسمى باسم مار بهنام ، وعلى مسافة نحو ثلاثة كيلومترات ، من هذه الابنية ، وانت تتجه الى الجبل المقلوب ، حيث دير مار متى الشيخ ، تشاهد عين ماء ، تدعى اليوم «عين سارة» او «عين الجرب» ، كما يدعوها العامة من أهل القرى ، اشارة الى شفاء

مصرين على عدائهم لنسطور الذي يكرهه الروم . وهكذا فاز بمرغوبه ، مستخدما جيشاً فارسياً لارغام مناقضيه (طالع ذخيرة الاذهان ١ : ١٢٥-١٤٠)

١) كان جبرائيل نسطوريا وقد اتخذ امرأة على امرأته ، فحرمه سبريشوع الجاثليق (٥٩٦-٦٠٤) فانقلب جبرائيل عدواً لدوداً للنساطرة واضر بهم كثيراً . فضبط منهم ديورة وكنائس وسلمها الى السريان الذين انحاز اليهم . توفي سنة (٦١٠م) وبموته تضعضعت ديورة السريان وتبلبلت احوال الطائفة (طالع تاريخ كلدو وآثور ٢ : ٢٢٤-٢٢٦ وذخيرة الاذهان ١ : ٢٤٦ و ٣١٧ والتاريخ الكنسي ٢ : ١٠٩ والآثار الشرقية مجلد ٣ ص ١٧)

سارة من برصها ، ولا تبعد هذه المواقع عن الجبل المقلوب، اكثر من مسيرة يوم واحد.

اليس هذا اكبر دليل وأنصع برهان وأقطع حجة على حقيقة هذه الحياة التاريخية ومصدرها الاكيد ، على الرغم مما يجد فيها الناقد من بعض الشوائب او الهفوات ، وقد أدخلها النساخ المتطفلون عمداً او سهواً او جهلا ليس الا . قال غبطة البطريرك افرام برصوم : « ان محصول الناقد من سيرتي مار متى ومار بهنام ضئيل »(١) .

الفصل الثالث

مسقط رأس مار بهنام

جاء في سيرة مار بهنام : « حينئذ أخذ القديس متى واحداً من الرهبان ، ونزلا من الجبل وقطعا مسيرة يوم ، فوصلا الى سهل قريب من مدينة آثور ، فآثر القديس ان يمكث هناك ، لانه لا يريد الدخول في البلد »(٢) .

وجاء ايضاً : « واستصحب مار متى خمسة اخوة ، وما عتموا ان وصلوا حيث مقتل شهداء المسيح ، فوقفوا وجثوا على ركبهم وابتهلوا الى الله تعالى ، ثم واصلوا سيرهم الى مدينة آثور » (٣) .

يظهر ، من هذه البينات ، وجود مدينة تدعى آثور ، كانت مسقط رأس مار بهنام .

يؤيد ذلك كتابة سطرنجيلية قديمة ، محفورة على جدار كنيسة دير مار بهنام في الناحية الجنوبية جاء فيها : « في السنة ١٢٩٥ م وافى قآن بيدو الملك المظفر ، قريباً من آثور ، مدينة القديس مار بهنام » .

وجاء ايضا ، في تاريخ الرهاوي المجهول (٤) : « وفي هذا الزمن (سنة ٣٥٩) هرب مار

---

١) اللؤلؤ المنثور ص١٣٩–١٤٠

٢) اخبار الشهداء والقديسين بيجان ٢ : ٤٠٧

٣) اخبار الشهداء والقديسين بيجان ٢ : ٤٢٥

٤) الرهاوي المجهول ولد في الرها حوالي سنة ١١٦٠ وتوفي بعيد ١٢٣٤ م ، ويظن انه كان راهبا في دير مار برصوم عمل تاريخا في مجلدين ، تناول في الاول احداث العالم من بدء الخليقة حتى سنة ١٢٣٤ ، واشتمل الثاني على احداث الكنيسة من عهد قسطنطين الكبير حتى سنة ١٢٠٧ ، والمجلد الاخير نشره المثلث الرحمة البطريرك افرام رحماني في مطبعته البطريركية في دير الشرفة سنة ١٩٠٠

متى ، من آمد (ديار بكر) مع تلاميذه ، وتوجه ، نحو جبل الالوف ، قرب آثور ونينوى » (١) .

اذن ، تحقق وجود مدينة ، في ذلك العهد ، تدعى آثور ، وهي كانت مسقط رأس مار بهنام (٢) .

موقع مدينة آثور :

لا يقصد ، بلفظة آثور ، في العبارات الآنفة الذكر ، البلاد الآثورية التي كانت تشمل الارض الواقعة على جانبي نهر دجلة من خط العرض السابع والثلاثين شمالا الى مصب نهر العظيم جنوبا (٣) ، بل مدينة تدعى بهذا الاسم .

ثم ان مدينة آثور هذه ليست بمدينة آثور القديمة المندرسة حيث شرقاط اليوم . اولا لوقوعها ، على الجانب الآخر من نهر دجلة . ثانيا ، لبعدها عن موقع الدير بعداً يجعل حادث مار بهنام متعذر الوقوع ، بالنوع الذي تم . اذ انه ، من الغريب والصعب ، ان يعبر مار بهنام ورفاقه نهر دجلة العظيم ، وان يتوغلوا داخل هذه البلاد ، مسيرة ايام ، طلباً للصيد . وهذا مناقض لما جاء في السيرة ، بان هذه المدينة لا تبعد عن الجبل المقلوب اكثر من مسيرة يوم واحد (٤) .

ونرى ايضا مار بهنام ورفاقه، مغادرين هذه المدينة، وقد حلوا عند أكمة قريبة منها . وبلحف هذه الرابية ، نالوا اكليل الشهادة (٥) ، حيث معبد الجب والدير اليوم. وورد ايضا ، انمار متى وصل الى سهل قريب منهذه المدينة ، حيث عين سارةاليوم. ثم ان سنحاريب بعد تنصره ، شيع مار متى ، حتى مقتل الشهداء (٦) . وهذا كله

---

١) الرهاوي المجهول : رحماني ص ٨٩

٢) ولقد اورد المؤرخ عمرو بن متى (الجيل ١٣) فى كتابه المسمى المجدل اسم آثور بين مطرانيات الكرسى المشرقي ، قال ص ١٢٦ : واما مطارنة فطرك المشرق ..... ومطران الموصل وآثور ...

٣) دليل المتحف العراقي ص٢٨

٤) اخبار الشهداء والقديسين بيجان ٢ : ٤٠٧

٥) بيجان ٢ : ٤٢٢

٦) بيجان ٢ : ٤٢٧

ينتفي تحقيقه ، لو فرضنا ، ان مدينة آثور واقعة ، حيث شرقاط اليوم .

فاستناداً على هذه البينات ، يتحتم ان تكون مدينة آثور هذه ، قريبة من دير مار بهنام الحالي ، ولا تبعد عن جبل الشيخ متى اكثر من مسيرة يوم واحد، وان مسرح أعمال حادث مار بهنام قد تمت في الشقة الواقعة بين هذه المدينة والجبل المقلوب.

وبناء على ذلك نقول : ان كل الظواهر والادلة والقرائن تحمل على الظن ، بل تدل دلالة صريحة ، على ان مدينة آثور ، وطن مار بهنام ، هي حيث أطلال مدينة نمرود اليوم ، اذ لا أثر البتة ، في هذه الديار ، لاطلال عمران ، غير الآنفة الذكر .

وعليه ، اننا نرى ان مدينة آثور التي يدور البحث عنها كانت حيث اطلال نمرود اليوم ، او هي مدينة نمرود نفسها ، وقد اطلق عليها تارة اسم نمرود ، وعرفت طوراً بمدينة آثور . ولقد كانت عامرة آهلة ، في العهد الساساني وما بعده باجيال ، اذ ورد في كتاب العفة ليشوعدناح مطران البصرة (نهاية القرن الثامن) : ان الانبا يوسف حزايا هو فارسي الأصل، ومدينته تدعى « نمرود » . ولما كان عمر بن الخطاب (٦٣٤م) ماسكا صولجان مملكة العرب رفعت عليه هذه المدينة لواء العصيان ولم تفتح له ابوابها . . . ولما كان الأنبا يوسف المذكور رئيس دير بوختيشوع المدعو دير مركانا بجوار قرية زيناي ، أتى اليه أخوه عبد يشوع من « نمرود مدينته » واقتبل العماذ واعتنق النسك (١) .

وبقيت هذه المدينة عامرة ، حتى أواخر القرن الثالث عشر ، ودمرتها الجيوش التترية الغازية عام ١٢٩٥ (٢)

فلم يبق اذن مجال للارتياب ، ان مدينة « نمرود » هذه، وبتعبير آخر ان مدينة « آثور » كانت عامرة ، في القرن الرابع الميلادي ، وهي كانت موطن الأمير الشهيد .

فموقعها مطابق تمام المطابقة ، لما جاء في سيرتي مار بهنام ، ومار متى . فهي على خط مستقيم والجبل المقلوب ، وان مقتل الشهداء قريب منها ، لا يبعد عنها الا بضعة

---

١) الديورة في مملكتي الفرس والعرب : نقله الى العربية القس (المطران) بولس شيخو ص ٧٥ - ٧٦

٢) كتابة تاريخية على جدار كنيسة دير مار بهنام الجنوبية.

كيلومترات . وكذلك « عين سارة » حيث توقف مار متى منتظراً رجوع مار بهنام باخته الطوباوية لشفائها . وهذه كلها واقعة باتجاه واحد متسلسل ، في الشقة القائمة بين نقطتي الاتصال هاتين ، اي من أطلال نمرود الحالية الى الجبل المقلوب ، والمسافة بينهما لا تزيد على مسيرة يوم واحد .

فهذه كلها أدلة ناصعة وبراهين واقعية قاطعة ، على ان مسقط رأس مار بهنام كان حيث أطلال مدينة نمرود الحالية . هذا فضلا عن ان التقليد السائد حتى اليوم ، بين طبقات القبائل المختلفة ، في هذه الديار ، يؤيد هذه النظرية ويثبت هذا الاعتقاد .

الفصل الرابع

تاريخ استشهاد مار بهنام

لقد تضاربت المصادر التاريخية في سنة استشهاد مار بهنام . جاء في السيرة ، ان الامير استشهد في عهد يوليانس الجاحد (١) سنة (٣٥٢م) . وروى المؤرخ الرهاوي: وفي هذا الزمن ، عام (٣٥٩م) هرب مار متى من آمد « ديار بكر » مع تلاميذه وتوجه نحو جبل الألوف قرب آثور ونينوى . وأردف قوله : وفي هذا الزمن ايضاً ، استشهد مار بهنام . ووجد تاريخ في كنيسة مار بهنام بالجزيرة العمرية ، جاء فيه ان القديس نال اكليل الاستشهاد عام ٣٨٢م .

في نظرنا ونظر كل باحث نزيه ، ان هذا الاختلاف الوارد ، بين هذه المصادر ، ليس بغلطة تاريخية يعتد بها ، انما يعزى الى جهل النساخ للوقائع التاريخية بالتدقيق ، او هو زلة قلم ، او قل انه صادر عن خطأ ، وقع في النسخ ، لتشويه في المتن ، وقد يكون

١) كان يوليانس من سلالة قسطنطين الكبير . ولما اغتال قسطنطين ٣٥٣-٣٦١ ابني عمه استبقى يوليانس لصغر سنه . ثم عهد اليه بالولاية على فرنسا . واشتهر بغزواته للجرمانيين وظهوره عليهم في ستراسبورغ سنة ٣٥٧ . ثم تمرد على قسطنطين وزحف بجيش كثيف على قسطنطينية . وفي تلك الغضون توفي قسطنس سنة ٤٦١ بينما كان زاحفا الى محاربة الفرس. فاستبد يوليانس في الملك . وكان يوليانس اولا مسيحيا يكثر التردد الى الكنائس والاديرة ثم جحد الايمان المسيحي وانحاز الى الوثنية . وجاهر بكفره خاصة بعد ان استوى على اريكة الملك ولذلك لقب بالجاحد او الملحد . وقد امتهن المسيحيين في امكنة كثيرة وأذلهم ومات قتيلا في حرب مع الفرس سنة ٣٦٣ ﴿ راجع تاريخ سوريا الجزء الثاني والمجلد الرابع ص٩٧-١٠٤ والدرر النفيسة ٥٠٥-٥٠٧ ومختصر تاريخ الكنيسة ص١٨١-١٨٧ ﴾

توهما في الحروف الكتابية ، لخلو الكتابة ، في الأزمنة الغابرة ، من الضوابط اللغوية او الفوارق والتشكيل . وفي ظننا ، ان هـذا هو نتيجة طبيعية لعظيم تداول هذه السيرة وكثرة كتابها ، في ازمان متباينة وأقلام عديدة غير اكيدة .

وهناك ، حقيقة تاريخية راهنة ، هي ان مار متى التجأ الى هذه الديار ، هربا من اضطهاد يوليانس المنافق للديانة المسيحية ، ويوليانس هذا قد تبوأ عرش الامبراطورية الرومانية سنة (٣٦١-٣٦٣م) ، فيكون حادث مار بهنام ، بعد مصرع هـذا الكافر ، ببضع سنوات على أقل تقدير ، لأن مجرى الامور الطبيعية ، يفرض حتما فترة من الزمن ، بين التجاء مار متى الى الجبل المقلوب ، حيث عاش في بادىء الأمر محتجبا عن الأنظار ، خوفا من الاضطهاد المشتعلة نيرانه في المملكة الفارسية ، وبين هداية مار بهنام واستشهاده .

فالظاهر ، ان مار بهنام ، هو احد ضحايا اضطهاد شابور الاربعيني (٣٣٩ - ٣٧٩م) . وقد كان هذا ، في ايام هذا الطاغية الاخيرة او في عهد خلفه ارداشير الثاني (٣٧٩-٣٨٣م) ، وذلك بين سنتي ٣٧٢ و ٣٨٢ .

اما عدم ورود تاريخ حياة مار بهنام في كتاب قصص الشهداء الذى عني بجمعه مار ماروثا مطران ميافرقين(١) الشهير الذى أقبل مراراً بسفارة جليلة من قبل ملوك الروم ، الى يزدجرد الأول ملك الفرس (٣٩٩-٤٢٠م) ، وذلك في السنة ٣٩٩م ثم في ٤٠٨ واخيراً سنة٤١٨ ، فلا يثير ارتيابا فيصحة وقوع هذا الحادث . ان عددالشهداء الذين قتلوا على عهد شابور الملك (٣١٠-٣٧٩م) ، في زمن اضطهاده لنصارى مملكته ، لا يكاد يحيط به احصاء . وان الفرس والسريانيين ، والرهاويين ، مع انهـم اعتنوا في ذلك كثيراً ، لم يتمكنوا من معرفة أسمائهم بعينها وتعدادها .

فقد روى سوزومين المؤرخ اليوناني، ان الشهداء المقتولين في الاضطهادالاربعيني الشابوري ، والمعروفة أسماؤهم فقط ، يبلغون نحو ١٦٠ الفا ، اما المجهولون فـلا يحصى

---

١) « ميافرقين » مدينة من اشهر مدن ديار بكر في شماليها الشرقي ، وهي الان بليدة ، وتعرف ايضاً بمدينة الشهداء لكثرة الذخائر التى اودعتها بيعها (راجع ذخائر الاذهان ١ : ١١١)

عددهم (١) . وروى ماري المؤرخ ويشوعياب النصيبيني وعمرو ، ان المقتولين بامر شابور يجملون نحو ١٨٠ الفا (٢) ، فتأمل .

فمن هذا العدد الهائل ، لم يذكر مار ماروثا إلا النزر القليل ، وقد فاتته أخبار الجماهير الاخرى بالكلية ، اذ لم يتوصل الى معرفة أسمائهم ولاعددهم ولامحل استشهادهم . ومار ماروثا نفسه يقر معترفا بانه لم يكتب إلا قليلا من كثير(٣) .

فحادث مار بهنام ، لانه كان محليا او بعيداً عن المراكز الهامة والمدن الشهيرة التي مر بها مار ماروثا ، لم يصله خبره ، ولهذا لم يرد ذكره في كتابه . وقد اشتهر أمر مار بهنام بعد عهد قريب على يد الرهبان السريان ، عندما شاء الله عز شأنه ان يمجد هذا القديس بالكرامات . فعدم ذكره اذن في مجموعة قصص الشهداء الذين اهتم في جمعه مار ماروثا ، ليس من شأنه ان يؤثر في صدق هذا الحادث التاريخي الخالد .

الفصل الخامس

تسمية مار بهنام « بخضر الياس »

١- المقصود بكلمة « خضر » نبي او قديس او ولي ، ويراد بها خاصة كل قوة تأتي باعمال خارقة وكرامات .

اما المقصود من « خضر الياس » فهو ايليا النبي المذكور في التوراة على عهد اخاب ملك اسرائيل نحو سنة (٩١٧-٨٩٧ ق. م.) وقد سمي « بالخضر » لاجتراحه العجائب(٤) ، ثم أطلقت هذه التسمية استعارة على غيره من صانعي المعجزات ، منهم مار جرجس ومار بهنام الشهيدين .

٢- تاريخ هذه النسبة الى مار بهنام : ان تسمية مار بهنام « بالخضر » ليست

١) التاريخ الكنسي ٢ : ١٤

٢) ادى شير تاريخ كلدو وآثور ٢ : ٦٦ وذخيرة الاذهان ١ : ٧٦-٧٩ و ٨٩-٩٢

٣) طالع اخبار الشهداء والقديسين بيجان ٢ : ٣٩٤-٣٩٦

٤) طالع سفر الملوك الاول الفصل ١٧-٢١ وسفر الملوك الثاني الفصل ٢

وليدة اليوم ، بل انها قديمة العهد عريقة . نراهـا لأول مرة منقورة باللغـة الايغورية (التركية القديمة) في أعلى قمة ضريح مار بهنام بالجب . وقد نحتت نحتاً نافراً على الحجارة الرخامية ، عند تركيبها عام ١٣٠٠م .

اننا لا نجد في التاريخ أثراً لهذه النسبة قبل هـذا العهد ، خاصة وان ياقوت الحموي (١٢٢٨م) لا يسمي الدير بغير « دير الجب » (١) . اما ابن العبري (١٢٨٦) (٢) فيعرفه تارة باسم دير الجب ، وطوراً باسم دير مار بهنام .

٣ـ سبب هذه التسمية : ليس لدينا مصادر تاريخية لمعرفة السبب الحقيقي لهذه التسمية ، وكل ما هناك فرضيات وتخمينات .

روى بادجر الانكليزي الذى زار الدير عام ١٨٤٤ ان الرهبان نسبوا دير مار بهنام الى خضر الياس حتى يأمنوا غائلة العرب (٣) ، اما يونيون الفرنسـي فيرى نسبة دير مار بهنام الى الخضر أي « مار جرجس » هي اختراع الرهبان ايضاً ، لدفع عدوان التتر عنهم (٤) .

هذا ، وناهيك انه كان في الديار الشرقية معابد اخرى عديدة موسومة باسم مار جرجس ، والتاريخ لم ينوه باحترام التتر اياها .

فالسبب الوحيد الذى نراه في تسمية مار بهنام « بالخضر » هو كثرة العجائب التي كرم بها الله عز وجل صفيه بهنام ، منذ مهد عهده . وقد عرفه العرب والتتر بهذه الصفة ، فأجلوه واحترموه ، ولم يمسوا ديره بضرر او أذى .

---

١) معجم البلدان ٢ : ٦٦١ اطلب القزويني ٢ : ٢٤٧ ومراصد الاطلاع ص٤٢٧

٢) هو ابو الفرج المشهور بابن العبري ١٢٢٦ـ١٢٨٦ نصب مطرانا ١٢٤٦ اي عن عشرين سنة ومفريانا ١٢٦٤ ، ويعد في الطليعة العليا بين ائمة السريان وبين مشاهير كتابها . واطلق عليه المؤرخون والمستشرقون بلقب « دائرة المعارف » نظراً الى ما خلفـه من الثروة العلمية في كل فن ومطلب (انباء الزمان ٤٠ـ٤١ اللؤلؤ المنثور ٤٢١ وعصر السريان الذهبي ص٥ وذخيرة الاذهان ٢ : ٦١ـ٧١)

٣) *The Nestorians and their Rituals. Vol I. P. 96*

٤) *Inscriptions Semitiques, P. 142*

الفصل السادس

مار بهنام قديس عجائبي قدير

ان « مار بهنام قديس عجائبي قدير » . هـذه عقيدة أجيال ، يؤيدها التاريخ واجماع يقين الجميع .

١- فقرات من ترجمة هذا القديس :

جاء في هذه الترجمة ان المرضى والسقماء نالوا البرء بالتجائهم الى اولئك الشهداء ، واستفاض خبر الأشفية التي جرت على أيديهم في بلاد فارس باسرها . واخذت الناس تتقاطر لطلب الشفاء من كل صوب ، ولم يكن لهم موضع يجتمعون فيه ، حتى شاد لهم اسحق الفارسي بيوتا ، على أثر شفاء عبده الممسوس (١) .

٢- الكتابات الأثرية :

على جدران كنيسة الدير الرخامية وأبوابها ، وفي معبد الضريح ، كتابات عديدة قديمة العهد محفورة او منقورة ، ان هي إلا صرخة النفوس الألمة البائسة والقلوب الجريحة المستنجدة المستغيثة بالشهيد المعظم منها :

« ها ان المرضى يقرعون بابك، راجين شفاعتك ، ليبرأوا من أسقامهم. ياطبيب الرحمة ، ليحل حنوك ويجبر كلومهم . لقد جعل ضريحك معيناً دفاقاً تجري منه جميع انواع المساعدات . يقصده المرضى فينالون الشفاء . السلام عليك يا مانح الشفاء لجميع السائلين . السلام عليك يا ينبوعا تفيض منه الفوائد للمعذبين البائسين » .

٣- شهادات المؤرخين :

قال مار يوحنا مطران ماردين (٢) (١١٢٥-١١٦٥) « ان المعجزات التي

١) اخبار الشهداء بيجان ٢ : ٤٣٢-٤٤٠

٢) ولد يوحنا في الرها حوالي سنة ١٠٨٨ واعتنق السيرة الرهبانية في بعض اديارها . وسنة ١١٢٥ رقاه اثناسيوس السابع ١٠٩١-١١٢٩ مطرانا على كرسي ماردين وكفرتوت ، فانصرف الى صوالح ابرشيته الواسعة . وكان ثاقب العقل عالي الهمة خبيراً بالعلوم البيعية ماهراً بالهندسة ، فرمم

يجترحها مار بهنام المغبوط ، في عصرنا هذا ، والكرامات التي يصنعها في جميع الذين يستغيثون به ، بثقة وإيمان ، تحاكي عدداً تلك التي كانت تجترح في عهد الرسل » .

وقال ياقوت الحموي (١٢٢٨) « دير الجب ، دير شرقي الموصل ، مشهور يقصده الناس لأجل الصرع ويبرأ منه بذلك كثير » ، وكذلك القزويني (١) .

٤ـ المخطوطات :

هناك ، في خزائن الكتب العالمية ، مخطوطات ترجع الى القرن الثاني عشر وما يليه ، تلقب الامير الشهيد : « بطارد الشياطين » « قاهر الأبالسة » « وشافي المرضى » (٢) .

في مكتبة الدير الحالية ، مخطوط قديم يتضمن سير بعض القديسين ، بينها سيرة مار بهنام ورد في آخرها ما ملخصه :

« لو تحرى كاتب تدوين اخبار هذا القديس ، لحاكى من هو جالس على ساحل البحر ويحاول احصاء أمواجه المترادفة ، فلا بد ان يصيبه الوهن ويعتريه الملل . هكذا عجائب هذا القديس فانها لا تحصى » .

لا شك ان في ذلك مغالاة ، لكننا نجد فيه دليلا على اجماع شعوب هذه الديار على الاعتقاد بمار بهنام قديسا قديراً عجائبيا .

وعصرنا هذا ليس بأقل حظاً من الأجيال السالفة ، فقد شاء سبحانه وتعالى ان يحصل أناس كثيرون ، على مختلف النعم ، بالتجائهم الى هذا القديس العظيم ، وما تقاطر جماهير الزائرين على هذا المعبد ، إلا أنصع برهان محسوس على ما ذهبنا اليه . فالشعب اذا أجمعت كلمته على أمر وتوحدت عقيدته كانت ولا شك مبنية على حقيقة تاريخية ودعائم متينة ، وهذه عقيدة أجيال وقرون .

وجدد ديورة كثيرة وشيد كنائس عديدة وجلب مياه العيون الى هذه الديورة . وكان فوق ذلك كلفاً بالكتب ، وقد جمع منها عدداً وافراً واشتهر خاصة بالرأفة والشفقة على الرهاويين المنكوبين . توفي سنة ١٦٦٥ (طالع نزهة الاذهان ٥٢ـ٧٥ والزهرة الذكية ص٦١ وذخيرة الاذهان ١ : ٥٣٢ ـ ٥٣٥ .

١) معجم البلدان ٢ : ٦٦١ والقزويني ٢ : ٢٤٧

٢) مخطوط باريس عدد ٣٣/٣ ص١٨٢ لندن عدد ٩٣١ : ١١٨٠ ، ٩٦٠/٧٠ ص١١٣٥ ، ٩٦٤/٣ ص١١٤٦ ، برلين عدد ١٥٤ ص٤٨٠ ، والسمعاني المكتبة الشرقية عدد ٣٦ ص٢٢٣

الباب الثاني

أثر مار بهنام التاريخي في المجتمع الشرقي

ذاعت أنباء الكرامات الفائقة والخوارق العجيبة التي أجراها الله تعالى على يد صفيه مار بهنام فطبقت ، منذ القرون الاولى ، التي عقبت استشهاده ، الامصار الشرقية برمتها وانتشرت انتشاراً منقطع النظير اولاً في بلاد فارس كما ورد في سيرته : « واستفاض خبر الاشفية التي جرت على أيديهم في بلاد العجم باسرها » (١) . ثم نقل خبرها التكريتيون ، رهباناً وتجاراً ، الى سوريا ومصر ولاسيما بعد ان تحررت الحدود المانعة على أثر الفتوحات العربية .

فكان لهذا الانتشار العجيب أثره العظيم ، في الامصار الشرقية برمتها ، وبين كل طبقات الناس ، في هذه الديار . وقد بالغوا جميعاً في تكريم هذا القديس وتعظيم شأنه ورفع قدره . ولهذا التكريم أدلة شتى منها :

١ـ ادراج اسم مار بهنام في سفر الحياة .

٢ـ وفرة التقاريظ والمدائح التي تغنوا بها لاظهار محاسنه .

٣ـ كثرة من بينهم ممن يحملون أسمه الكريم تيمناً .

٤ـ كثرة ماله في طول الشرق وعرضه من معاهد للعبادة : من أديار وكنائس ومذابح او مزارات ، شيدها السلف على اسمه ، شهادة ناطقة على ما كانوا يحفظون له من حب واجلال .

---

١) اخبار الشهداء والقديسين بيجان ٢ : ٤٣٢

الفصل الاول

ادراج اسم مار بهنام في سفر الحياة

لقد أدرج اسم الامير الشهيد بهنام في سفر الحياة بين جمهرة القديسين ، في كلندار الكنائس الشرقية السريانية والأرمنية والقبطية ، منذ القرون العريقة في القدم. وكانت هذه الطوائف تحتفل بعيده ، في اليوم العاشر من كانون الاول ، وهو يوم استشهاده . وفي الكلندار القبطي ، يأتي ذكره في ١٤ كيهك الموافق للعاشر من الشهر المذكور (١) .

في المكتبة الواتيكانية مخطوط ، نسخه سيرتا بن عزيز النبكي ، في بلدة صدد (٢) في كنيسة والدة الله مريم ، سنة (١٥٦٤م) ، يروي فيه ان عدد قديسي السريان العظام هم ١٤ قديساً ويجعل مار بهنام الثاني رتبة بينهم (٣) .

حوت هذه المكتبة مخطوطاً آخر ، يورد فيه ناسخه ذكر ٥١ قديساً من أعظم أولياء الله ، في العهدين القديم والجديد ، ويحصي هذا الكاتب مار بهنام واخته سارة في زمرتهم . (٤) .

وبين محتويات هذه المكتبة ، مخطوط موسوم « بسفر الحياة » اي ذيبتيختا ، فيه ذكر مار بهنام واخته سارة ورفاقها الاربعين ، كان ينادى به ، في جملة اباء الكنيسة والمجامع ، رتب حسب ترتيب بيعة العذراء ، في حلب ، بامر البطريرك شمعون سنة (١٦٤٨) (٥) .

---

١) اطلب فهرس مكتبة برلين رقم٢٢٣ ص٧٠١-٧٠٤ ورقم ٢٤٨ ص٧٦١ والمكتبة الواتيكانية ج ٢ رقم ٢٧ عدد ١٨ ص ٢٥٠ ، ورقم ٣٩ عدد ٢٩ ص٢٧٧ ، ورقم ٩٨ عدد ١٢ ص ٣٩٧ ، ورقم ٦٩ ص٤٠٣ ومن المجلد الثالث رقم ٢٤٧ عدد ٢١ و ٢٤ ص٥٣٣ ومعجم التاريخ والجغرافية الكنسي الجزء السابع صفحة ٤٧٧

٢) صدد بليدة قديمة جنوبي شرقي حمص على طريق دمشق ، مرحلة يوم عنها ، آهلة بنحو اربعة آلاف من السريان .

٣) فهرس المكتبة الواتيكانية المجلد الثاني رقم ٦٧ صفحة ٣٧٣

٤) المكتبة الواتيكانية المجلد الثالث رقم ١٥٥ صفحة ٢٩٤

٥) المكتبة الواتيكانية مجلد ٢ رقم ١٦/٣٩ صفحة ٢٧٧

وظل عيد مار بهنام محتفلا به ، في الطائفة السريانية جمعاء ، الى ان حـوله الى تذكار السيد يوسف قدسي مطران اورشليم القائم بتدبير شؤون السريان المنضمين الى الكنيسة الكاثوليكية يومئذ باسم الكرسي الرسولي، اجابة الى طلب الحلبيين المتكثلكين الذين كانوا يصلون يومئذ خارجا عن كنيسة السريان وقد سألوه ان يساويهم مع طائفة الروم في الاعياد والأصوام . ففسح لهم ، برسالة كتبها في دير الأم المحزونة بزوق مصبح (١) ، تاريخها ٢٥ نيسان سنة ١٧٧٦ مآلها الاقتصار على البطالة من الشغل ، يومين فقط ، لكل من عيدي الميلاد والغطاس ، بدلا من ثلاثة ايام وتحويل أعيـاد مار بهنام ومار أفرام ومار يليان ومار موسى الحبشي الى تذكارات ، مع انها كانت أعيـاد بطالة وفسح لهم ايضاً باكل السمك ، ايام الصوم الكبير وصوم العذارى الذي يقـال له صوم نينوى (٢) .

الفصل الثاني

التقاريظ والمدائح

الصلوات الفرضية :

ما برحت الكنائس الشرقية : السريانية والقبطية والارمنية ، حتى يومنا هـذا ، ولا سيما الكنيسة السريانية ، تعظم القديس بهنام وتتغنى في مدحه . وقد تسابق أئمتها في انشاء صلوات طقسية ، أطنبوا فيها في أوصافه وهم يتلونها كل سنـة ، يوم عيده في ١٠ كانون الاول .

وبين محتويات المكتبة الواتيكانية ، مخطوط يشتمل على الصلوات القانونية التي تتلى في الآحاد السابقة لعيد الميلاد ، منذ أحد تجديد البيعة ، طبقاً للطقس الماروني . وقد

١) دير أسسه المطران غريغوريوس شكر الله جروة (١٧٧٣ +) مركزاً للكرسي الاورشليمي سنة ١٧٦٣ فوق هضبة في قرية زوق مصبح بكسروان (لبنان) باعه خلفـه السيد يوسف قدسي المذكور فعفت معالمه (طالع اصدق ما كان المجلد الثاني صفحة ٢٦٩-٢٧١

٢) عناية الرحمن صفحة ١٩٦-١٩٧

ضم الناسخ اليها صلاة لعيد مار بهنام الشهيد في ١٠ كانون الاول. اما ناسخ هذا المخطوط فقد دون اسمه في السريانية ، واليك تعريبه « انتهى على يد الخاطىء عطا الله زندة القسيس الماروني » (١) .

ولأبي نصر البرطلي من آل حبو كني (١٢٩٠) حساية « صلاة استغفارية » في حق مار بهنام بانشاء فصيح منسجم ، وعبارات جزلة أنيقة (٢) .

وفي مكتبة دير مار بهنام الحالية، مخطوط يتألف من ٣٠٠ صفحة ، يتضمن مجموع ما كتب عن هذا القديس من الصلوات والتقاريظ والمدائح ، والى القارىء بعض فقرات من هذه المصنفات :

« في شهر كانون ، حيث تملك الشمس والنهار ينهب الليل ، أشرق لنا المسيح الشمس في بيت لحم ، وارسل نجمه الى فارس القاهرة ، فجذب المجوس ملوكها وأتوا بهم الى السجود لربوبيته ، وهو ايضا بذاته بعث برحمته الى آثور ، في الشهر المبارك عينه ، واتته يشابه مار بهنام المختار . أخرجه صياد البشر ، بحجة الصيد ، وأعد امامه طعمة تلائمه هي حيوان بهي المنظر ، فتسبب بصيد الفتى ، ولي عهد المملكة العلوية . مبارك المسيح الذى انتخبه من البطن وجعله اناء لكرامته ، فالتسبيح لمن اصطفاه ».

« انك يا رب ، يا من أرسلت ابنك الوحيد الحبيب ليفدي جنس البشر وينشلهم من وهدة الهلاك الأبدي . لما رأيت فئة بني آثور ميراثك ، متوغلة في حفرة الطغيان وعبادة الأوثان العمياء . أشفقت عليها فحركت النجل العجيب الفاضل بهنام بن سنحاريب الملك واخرجته الى القنص والصيد مع جماعته الاربعين جنديا . فالقيت لقط التعليم امامهم واقتنصتهم بشبكة عنايتك . وذلك انك اوصيت بالرؤيا الى الناسك الفاضل متى الذى كان عابداً في سفح جبل الفاف ، فاهتدى بهنام مع رفاقه الى معرفة الحق بمشورة

١) المكتبة الواتيكانية المجلد ٣ رقم ٣٣/٣٤٨ صفحة ٥٣٥ واصدق ماكان المجلد الاول صفحة ٨٦-١٨٧

٢) ترهب في دير مار متى ويظن انه ترأس عليه عام ١٢٦٠ والف بانشاء فصيح سهل وكلام جزل اربعا وتسعين حساية من اروعها حساية لمار بهنام (راجع تاريخ الزمان لابن العبري صفحة ٥١٧ واللؤلؤ المنثور صفحة ٤٣٣)

هذا الشيخ الموقر وارشاده ، وتمسكوا بالمذهب المستقيم . فيا لها من اعجوبة لا توصف. كيف ان الذئاب الخاطفة قد اضحت للوقت خرافا وديعة . وكيف ان البزاة الكاسرة قد أمست كالحمام ».

« من يا ترى ، كفؤ ان يصف كما يجب مدائحك ايها الشهيد الباسل مار بهنام الشريف الحاسن . ان خبرك يغلب الواصفين وقصتك تبهر السامعين . ربك وحده يستطيع توفية وصف خبرك العظيم العجيب . مبارك الذي اكثر مناقبك وكرم وعظم ذكرك ».

« من يا ترى يسعه احصاء محاسنك ، ايها الشهيد مار بهنام ، لأنها تفوق الوصف وتتجاوز طور العقل والفهم . فليجد علي الروح القدس الذي زانك وكللك وبجلك باصباغ تليق بصورتك البهية الشهية . مباركة القوة الغالبة التي كللت وعظمت نصرتك . طوباك ، يا مار بهنام الشهيد الصنديد المجيد ، والمجاهد النشيط ، لأنك زهدت في المملكة الزائلة ».

« أيها الجميل ، باية ألوان أصور صورتك . لأني مفتقر جد الافتقار الى الاصباغ اللائقة بتزويقك . كيف أضفر اكليلا يجدر ببسالتك ؟ ومن أين لي المواد الخليقة باكليل رأسك ؟ ».

« أيها السامعون ، اصغوا بآذانكم ، وانصتوا بعقولكم لنبأ مار بهنام البهي ، فهو بتول مختار ، وقديس وفتى شهي وجميل بل شاب نقي طاهر ، ومجاهد ومكافح باسل صنديد ، ملك الملوك ورب التيجان ، هوي هذا الشاب ، رأى حسنه فتاق اليه ، استنشق عبيره فتلذذ به ، ذاق حلاوته فسر به ، تبصر في استقامته فرغب فيه ، ابتهج تجاه تواضعه وطرب بشجاعته ».

« ان الروح القدس عقد لك تاجا مثلما تستحق ، وبه مزدانة هامتك النقية زينة سنية . بم أدعوك ، يا ولي عهد المملكة ، وبم أسميك ، فانك تحولت من مملكة الى مملكة اخرى . لقد نزعت عن عنقك طوق الذهب والزبارج وزينته بطوق الدم القرمزي لقد تضوع شذا قتلك ، يا مار بهنام الشهيد ، في المسكونة باسرها ، نظير أريج الطيوب

الفاخرة، فتاقت الشعوب البعيدة والقريبة الى تحيتك، لينالوا منك البركات والمعونات».

« ان ذكرك، يا مار بهنام، لهو أعذب من العطور ويشرق اكليلك متلألئاً أبهى من الحجارة الكريمة. مبارك الذي اصطفاك وارتضى بك وجعلك ميناء للمتضايقين كافة وبرجاً حصيناً وسوراً عالياً لميراثه. فاشفع، ايها الشهيد المبارك، مار بهنام، لدى الذي وضعك في بيعته ينبوعا للمعونات في الجماهير التي احتفت بتذكارك واطلب للمرضى شفاء، وللضعفاء قوة ومعونة، وللخطأة مغفرة، وللموتى راحة وهناء ».

« مار بهنام حجر كريم، جميل، غالي الثمن، يتلألأ في تاج البيعة المقدسة. مار بهنام ارزة سامية، نصبت في فردوس الله. مار بهنام تفاحة بهية المنظر، لذيذة الطعم، وذكية الرائحة، تزهو الآن في الجنة السموية. مار بهنام درة يتيمة، وأخته القديسة سارة جوهرة صافية، نظما في قلادة الأمة الآرامية. مار بهنام زمردة بارعة الجمال، تضيء في اكليل العروس السموي ».

« ان مار بهنام وأخته سارة مصباحان مفعمان نوراً. وقد ارتكزا فوق، في فلك الايمان الحقيقي. فمار بهنام هو زبرجدة وأخته حجر كريم، صعدا من بحر الخداع ونظما في قلادة الكنيسة. فلذلك نتقدم اليهما بالمدائح الرفيعة السامية وننشدهما قائلين:

« هنيئاً لكما أيها القديسان بهنام وسارة أخته الجليلان، لانكما قد حزتما اكليل الغلبة كلاكما وأحصيتما في مصاف الشهداء المختارين. طوبى لكما لانكما خطبتما أنفسكما للملك السموي. أنتما السروتان العظيمتان المنصوبتان في جنة عدن. أنتما الدرتان الكريمتان المرصوعتان في تاج البيعة المقدسة. طوبى لك أيتها الطاهرة القديسة سارة، الجفنة النضيرة باثمار الفضائل وازهار الاعمال الصالحة. طوبى لك ايها القديس المصطفى بهنام الطاهر، الذي لا عيب فيه. يا من يرفل في جنة الانوار بفرح وابتهاج لا يزول. هنيئاً لك أيتها الفتاة الوديعة سارة، لانك بصفاء قلبك أبهجت الملائكة وفرحت المؤمنين وحزت اكليل الشرف. هنيئاً لك يا بهنام، النسر الخفيف الطيران، يا من ارتقى باجنحة سريعة الى العلى وجعل محل سكناه في مدينة القديسين ».

« من يسعه أن يحصي المعونات التي منحها الله بواسطة عظام الشهيد الباسل مار

بهنام . فان الأشفية فاضت منها نظير جيحون متدفقة على المعمورة مثل فيشون . مبارك الذي وضع في الشرق ذخيرة حبيبه ، نظير سور يحتاط بالمسكونة ، وبه تنجو من كل الآفات . ان بهنام الفتى المحبوب وأخته سارة الشهيدين الشهيرين قتلهما الملك في آثور فأنهما الشرق ممونات وطفقا يشفيان فيه الاسقام والامراض بقوة العلي القدوس » .

« من يستطيع ان يصف الآيات التي جرت في شأنك ، يا ايها الشهيد مار بهنام النبيل . ان ملائكة النور قد وفدت الى سلامك وأبا النساك والزهاد ، متى الشيخ ، قد منحك صبغة العماذ . والارض اليابسة قد انبعت ماء اصبغتك . ثم انها انغلقت وأخفت جسمك . ووالديك مالا عن مذهبهما الوثني بسبب قتلك . واحصيا في قطيع المسيح ربك . آثور تجددت بموتك . والسموات سرت بقتلك وتكليلك . والارض ابتهجت في يوم انتصارك . »

« في هذا اليوم يجذل مار متى النسر الشهم الخفيف في وكره لانه رأى ابناءه قد ضفروا لهم أجنحة وحلقوا نحو العلى وها انهم يفرحون ويتنعمون في أغصان شجرة الحياة . »

« ونحن العبيد الذين نقضي ، في هذا اليوم ، تذكار انتصارك يسوغ لنا ان نقول مع صاحب المزامير : هذا هو اليوم الذى صنعه الرب . تعالوا نسر ونفرح به . نعم اليوم يفرح الملائكة الذين وافوا لسلامك . ويبتهج أهل الامراض والأسقام الذين حازوا الشفاء على يدك . ويهتش في يوم تذكارك القانتون والقانتات الذين زهدوا في الدنيا وحبسوا أنفسهم في ديرك . اليوم تهنئك الافواه وتغبطك الالسن قاطبة . وتوافيك الشعوب كافة بالنذور والهدايا . فتقبل ايها الشهيد الجليل هذه الهدايا . وقدمها الى مولاك الآلهي الذى عظم شأنك . ليرحمنا ويسبغ علينا نعمه الروحية والجسدية ويوفقنا ان نسبحه نحن وامواتنا تسبيحا غير فاتر » .

« والان نستمين ، يا رب ، بشفاعة محبيك المختارين بهنام وأخته سارة . ونتوسل اليك بجاهها لتغفر خطايانا وتصفح عن زلاتنا ، وتبعد عنا كل ما يضر النفس والجسد

وتؤازرنا بعونك لنقهر الشيطان ونغلب خدائعه اقتداء بشهدائك المختارين الذين نعيد اليوم عيدهم فنسبحك بصحبتهم في نعيمك .. » (١) .

ومن يتصفح الكتب الخطية القديمة المحفوظة في أمهات خزائن كتب اوربا ، يعثر على أبيات عديدة مبعثرة ، تتضمن استغاثات بهذا القديس ، كانت تتلى في نهاية القداس الالهي او في أثناء تلاوة الصلوات الفرضية القانونية . (٢) .

الفصل الثالث

انتشار سيرة مار بهنام

لما كانت سمعة مار بهنام قد ذاعت في البلاد الشرقية قاطبة ، بات لتاريخ سيرته شأن عظيم . فتداولتها أيدي الكتاب والادباء شرقا وغربا ، وتلذذ بذكره المؤمنون منذ أعرق العصور. من ذلك سيرته التي نسخها قسطنطين بن يعقوب في انطاكية ، بين عام (١١١٢ و ١١٩٢م) وهي محفوظة في مكتبة باريس الاهلية (٣) .

وفي مكتبة لندن ، خمس نسخ لسيرة أميرنا الشهيد . الاولى خطها عام (١١٩٧م) الراهب يوسف من رهبان أبي غالب في دير برصوما بحمص . والثانية خطها الراهب زكي في دير والدة الله ببرية الصعيد (٤) سنة (١١٩٩م) . والثالثة خطت في

١) طالع فنقيث الصلوات الفرضية طبقا للطقس السرياني الجزء الاول طبعة الموصل صفحة ٤١٣-٤٣٢ وكتاب الحايات القسم الثاني صفحة ٣٩٢-٣٩٧ ومخطوطة في مكتبة دير مار بهنام تنطوي على قسم هام من هذه المصنفات .

٢) اطلب فهرس المكتبة الواتيكانية مجلد اول رقم ١٧/٣٦ صفحة ٢٢١ ورقم ٦٨ صفحة ٣٩٧ والمجلد الثاني رقم ٢/٢٥ صفحة ٢١٣ ورقم ٢٦ صفحة ٢١٦ ومكتبة باريس رقم ٣/١٠٩ صفحة ٦٧ ورقم ٥/٢٠٩ صفحة ١٦١

٣) فهرست مكتبة باريس رقم ٣/٢٣٤ صفحة ١٨٢

٤) دير السريان ، باسم دير والدة الله ، في برية الصعيد بمصر . يظن انه بني في القرن الخامس . ابتاعه ماروثا التاجر التكريتي في اواسط المئة السادسة من الاقباط وأوقفه على الرهبان السريان وكان يحوي منهم سبعين راهباً عام ١٠٨٤ وظل آهلا بهم الى منتصف المئة السابعة عشرة . ويسكنه في هذا الوقت رهبان اقباط .

دير والدة الله بجبل الرها (١) في القرنين الثاني عشر او الثالث عشر . والرابعة والخامسة نسختا في القرنين المذكورين ايضاً (٢) .

وقد صانت لنا المكتبة الواتيكانية ومكتبة برلين نسختين من اعمال هذا الشهيد، عول عليهما الاب بولس بيجان الامازري لما نشر في باريس عام (١٨٩١) سيرة شهيدنا المعظم (٣) .

وفي غيرها من المكاتب ، نسخ قديمة مخطوطة لهذه السيرة ، منها نسختان قديمتان في دير مار بهنام الحالية ، وثلاث نسخ في المكتبة السريانية الكلدانية لدير السيدة حافظة الزروع بجوار القوش (٤) ونسخة في مكتبة كمبردج (٥) ونسخة في مكتبة دير الشرفة الخطية (٦) ونسخة في مكتبة البطريركية السريانية الانطاكية في بيروت (٧) ونسخة في مكتبة بكركي كرسي بطريركية السريان الموارنة في لبنان (٨) . وهناك نسخ منها عديدة في مكتبة كنيسة الطاهرة بقرةقوش ، وسواها ، وفي بعض البيوتات .

الفصل الرابع

القصائد والأرجوزات في مديح مار بهنام

مما يدل على شهرة مار بهنام الواسعة في الامصار الشرقية ، وجليل قدره وعظم شأنه ، وفرة القصائد والارجوزات التي خلفها السلف ، في مديح هذا القديس في القرون التي عقبت استشهاده .

---

١) دير والدة الله او دير المتوحدين الغرباء في جبل الرها ، ذكره الراهب الزوقنيني المؤرخ في حدود سنة ٧٥١ وكان عامراً في المئة الثالثة عشرة (اللؤلؤ المنثور صفحة ٥١٥)

٢) فهرس مكتبة لندن صفحة ١١٣٥ و ١١٤١ و ١١٤٦ و ١١٤٨

٣) اخبار الشهداء والقديسين بيجان ٢ : صفحة ١٠ و ٣٩٧-٤٤١ والاثار الشرقية مجلد٢: ٣٩

٤) فهرس المكتبة الكلدانية للاب فوستي رقم ٢١٣ و ٢١٤ و ٢١٧

٥) مكتبة كمبردج رقم ٢٨٨١

٦) مكتبة بكركي رقم ١٥ صفحة ٢٥١

٧) الطرفة في مخطوطات دير الشرفة للخوري اسحق ارملة عدد ١١/١٧ صفحة ٢١٩

٨) فهرس المخطوطات السريانية الخطي نمرة ١٦٠

فقد تنافس الكتاب والادباء والشعراء في وصف امجاد مار بهنام ، ونظموا القصائد الرنانة في اجلاله وتقريظ استشهاده ، وكالوا له الاوصاف الجيدة ونعتوه بالقاب جليلة فدعوه :

القديس الشهير ، والكوكب اللامع المنير ، وأسموه عظيم الشهداء ، والقديس السني الطاهر ، وتاج الشهداء ، وطبيب المرضى ، وطارد الشياطين ، وقاهر الابالسة ، الى غير ذلك من النعوت الرائعة (١).

لابي نصر البرطلي من آل حبوكني (١٢٩٠) السالف الذكر، أرجوزة من الوزن السباعي ، ضمنها سيرة مار متى الناسك وأفاض في مدحه ومدح قديسنا ، تقع في ٣٣ صفحة (٢) .

وهناك ايضاً قصيدتان عامرتان ، تقعان في ستين صفحة ، نظمها البطريرك بهنام الحدلي (٣) (١٤٥٤ +) في مديح مار بهنام ، منها نسخة في مكتبة دير مار متى ، ونسخة ناقصة في برمنكهام ، ونسختان في مكتبة قرهقوش . كتبت احداها سنة ١٥٨٨ والثانية سنة ١٧٢٥ ، ونسخة في مكتبة غبطة البطريرك افرام برصوم ، ونسخة في مكتبة دير مار بهنام الحالية (٤) .

---

١) اطلب فهارس مكتبة باريس رقم ١٣/٧٤ ص٤٤ ورقم ٣/١٠٦ ص٦٤ ورقم ٣/٢٣٤ ص١٨٢ ومكتبة لندن عدد ٩٣١ ص١٠٨٠ وعدد ٧٠/٩٦٠ ص١١٣٥ وعدد ٣/٩٦٤ ص١١٤٦ ومكتبة برلين عدد ١٥٤ ص٤٨٠ وعدد ١٨٤ ص٥٩٩ وعدد ٢٥٩ ص٧٩٠ والسمعاني عدد ٣٦ ص ٢٢٣ والواتيكانية المجلد الثاني عدد ٢/٢٥ ص٢١٣و٢١٦ والاثار الشرقية مجلد ص٣٩٣-٤٤

٢) مكتبة برلين رقم ١٧٨ صفحة ٥٧٥-٥٧٦.

٣) هو بهنام بن يوحنا من آل حبوكني البرطلي الاصل الحدلي المولد ترهب في دير قرتمين بطورعبدين ، ورسم قساً وأكب على الدرس حتى غدا كاتباً ماهراً وشارحا بارعا وخطيبا مصقعا . فرسم مفريانا سنة ١٤٠٤ وخلف البطريرك بن غريب في كرسي ماردين سنة ١٤١٢ وبعد وفاة البطريرك باسيليوس الخامس نودي به بطريركا انطاكيا سنة ١٤٤٥ وحلت وفاته عام ١٤٥٤ (اللؤلؤ المنثور ٤٤٦ وانباء الزمان ٤٣-٤٤ وذخيرة الاذهان ٢: ١٣٢-١٣٣

٤) فهرس مكتبة برمنكهام عدد ٤٠٢ واللؤلؤ المنثور ٤٤٦

وللبطريرك سركيس الرزي الماروني (١٥٨١-١٥٩٧) زجلية في مار بهنام ، نظمها عام ١٥٧٩ يوم كان حبيساً في دير مار بيشوي ، بجانب دير قزحيا (لبنان) مؤلفة من مائة وواحد وتسعين بيتاً (١) ، منها نسخة في مكتبة دير مار بهنام الحالية ٠

وفي ابرشيه الموصل ، زجليات اخرى في مديح هذا القديس ، عثرنا على بعضها ، أشهرها هي التي نظمها المرحوم القس يوسف مروكي البمشيقي ومطلعها « تعالوا نمدح ٠٠ » وتقع في خمسة وسبعين بيتاً ، وقد طبعت في كتاب حياة الاميرين (٢) ٠

كل هذه أدلة صريحة ناطقة على ما كان يتمتع به مار بهنام من الشهرة الواسعة ، وسمو المقام ، وعلو الشأن ، عبر الاجيال الذاهبة السحيقة ، في الديار الشرقية ٠

الفصل الخامس

اتخاذ اسم مار بهنام تيمناً به منذ القديم

في الوقت الذى تبارت قرائح الادباء ، في نظم الأناشيد بمديح مار بهنام ، ووصف مناقبه صار الناس يتخذون اسمه الكريم تيمنا به ، واقراراً بجميله واحسانه بشفاعاته وذلك منذ القرون الاولى لاستشهاده .

لا يتأتى لنا الالمام بكل الاعلام المشاهير والكتاب النحارير الذين حملوا اسم مار بهنام المجيد ، في القرون الاولى لاستشهاده ، انما نجتزىء ، في هذا المقام ، بذكر من عثرنا عليهم ، في اثناء بحثنا ، وتنقيبنا في المراجع النادرة التى سلمت لنا من غير الزمان .

١- اول من عثرنا عليه ممن تسموا باسم مار بهنام الكريم ، هو بهنام جد والد الطبيب الشهير ، ابي الخير الحسن ، بن سوار ، بن بابا ، بن بهنام المعروف بابن الخمار الذى رأى النور في بغداد ، عام « ٩٤٢ م » ، فيكون بهنام هذا من مواليد منسلخ

---

١) فهرس مكتبة بكركي رقم ١٥ واصدق ما كان ٢:١٩١ و ٢٠٦

٢) حياة الاميرين صفحة ٥٦-٦٢.

المئة الثامنة او صدر التاسعة (١) .

٢ـ بهنام تلميذ يوحنا مطران باعرابايا (٢) ، عام (١١٩٤) ، وكان راهباً في دير مار سركيس ومار زعورا (٣) ، في جبل المطشان ، وهو ناسخ مخطوط باريس المشتمل على سيرة ٢٧ قديساً (٤) .

٣ـ الربان «بهنام» المعروف بابي الحسن ابن القس يوسف ابن ابي الفرج السجستاني (١٢٢٢ـ١٢٥٤) (٥) وقد نسخ كتابا ، في دير الانبأ يوحنا الصغير ، في برية الصعيد بارض مصر ، ويحتوي على رسائل مار بولس بالسريانية ، ورد فيه ما يلي : «انتهى هذا الكتاب في حزيران ١٢٥٤ ، في دير الانبا يوحنا الصغير ابي المتوحدين ، في برية الصعيد بارض مصر.. كتبه بهنام السجستاني (٦) ».

٤ـ «القس بهنام» الذى رقاه المفريان اغناطيوس صليبا الى الدرجة الكهنوتية ، على بيعة مار تئودورس في بحديدات بلبنان سنة (١٢٥٦م) (٧) .

٥ـ «اثناسيوس بهنام» المعروف بابن سومانة ، اسقف بانو هدرا عام ١٢٧٩ ، والمدفون في دير الشيخ متى (٨) .

٦ـ الثري بهنام الفارسي في همذان وقد أولم وليمة كبرى لأباقاخان بن هولاكو ، سنة ١٢٨٢م (٩) .

٧ـ الشماس بهنام حبوكني الطبيب والاديب البرطلي عام ١٢٩٢م (١٠).

---

١) طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ١ : ٣٢٢

٢) «باعربايا» اقليم صغير كان بين نصيبين والموصل

٣) ويدعى ايضا دير المعلق ، على قلة الجبل القاحل ، فوق مدينة بلد ، بثلاثة فراسخ ، وهو بينها وبين سنجار غربي الموصل ، يظن ان بناءه تم في المئة الخامسة وصار كرسيا اسقفيا سنة ١١٦٧ ـ ١٣٤٥ ، ثم انطمس خبره وعفا اثره (اللؤلؤ المنثور صفحة ٥١٥)

٤) مكتبة باريس رقم ٢٣٦ صفحة ١٨٧ـ١٨٨

٥) سجستان ولاية واسعة جنوبي هرات في افغانستان الحالية

٦) مخطوط لندن رقم ١٤٧ صفحة ٩٤

٧) عصر السريان الذهبي صفحة ٥٢ واصدق ما كان ١ : ٢٢٤

٨) ذخيرة الاذهان ٢ : ٦٣

٩) تاريخ الدول السرياني صفحة ٥٤٧

١٠) خزانة فلورنسا عدد ٢٠٨

٨- القس بهنام المانعمي ، حوالي عام ١٣٥٠م (١).

٩- وفي سنة ١٤٠٤ ، نجد مفريانا بهذا الاسم ثم ارتقى الى السدة البطريركية عام ١٩١٢ ، وهو بهنام بن يوحنا من آل حبوكني البرطلي الأصل الحدلي المولد (٢)، وكان أمهر اهل زمانه في الكتابة وأشعرهم ، توفي عام ١٤٥٤م (٣).

١٠- وخلفه مفريان آخر بهذا الاسم وهو ديوسقورس بهنام شتي الاربوي(٤) (١٤١٥-١٤١٧) وقبره في مدفن آباء هذا الدير .

١١- الخطاط الراهب القس بهنام ابن القس سابا المذياتي (٥) (١٤٦٥-١٤٧٣م).

١٢- بهنام زنبور السبيريني (١٤٦٥-١٥١٢) .

١٣- ديوسقورس بهنام الأول ، رئيس دير الزعفران (١٥٠٨-١٥٢٨) ويعرف بابن برصوم المنصوري(٦) ، توفي بعيد (١٥٤١م) (٧) .

١٤- بهنام بن شمعون مطران كرسي مار يعقوب اخي الرب ، وله مخطوط كتبه في دير مار الحاي بدير السنبل سنة ١٦٠٦(٨) .

١٥- غريغوريوس بهنام بن حبيب الأربوي الأصل القصوري المنزل ، مطران اورشليم (١٥٦٧-١٦١٤) (٩) .

١٦- باسيليوس بهنام الثالث بن حبيب الباني مفريان المشرق (١٦٤٥-١٦٥٥) وقد نال قسطا وافراً من الأدب السرياني وحسن الخط (١٠) .

---

١) اللؤلؤ المنثور ٤٨٩

٢) حدل قرية بطورعبدين غربي آزخ

٣) انباء الزمان صفحة ٤٣ وذخيرة الاذهان ٢ : ١٣٢-١٣٣

٤) نسبة الى اربو ، قرية بطورعبدين . انباء الزمان ٤٣-٤٤ وذخيرة الاذهان ٢ : ١٣٣-١٣٤

٥) نسبة الى مذيات وهي قصبة طورعبدين الحافل باديار كثيرة والمكتظ بنيف وخمسين قرية ثلثا اهلها سريان وقد هاجر معظمهم الى الجزيرة العليا.

٦) نسبة الى منصورية قرية بجوار ماردين

٧) نزهة الاذهان صفحة ٨٣

٨) مكتبة لندن رقم ١٠٠٢ صفحة ١١٨٢

٩) السريان في القطر المصري صفحة ٥٣

١٠) اللؤلؤ المنثور ٤٩٥

١٧- المطران ديونوسيوس بهنام روحيجان رئيس اساقفة حلب السرياني الكاثوليكي (١٦٦٢) (١).

١٨- البطريرك بهنام الثاني الذى رسم بطريركا سنة١٨١٩ ثم اغتيل في دير شمشم.

١٩- الاسقف قورلس بهنام أخطل (١٧٩٠-١٨٢٨) مطران دير مار بهنام وقره قوش (٢).

٢٠- المفريان باسيليوس بهنام الثالث بن فتوتة الموصلي ١٨٣٩-١٨٥٩ وهو آخر المفارنة وخاتمهم(٣)، فالبطريرك بهنام بني ١٨٩٣-١٨٩٧ سليل اسرة حسيبة معروفة من الموصل، وديونوسيوس بهنام عبدالله سمرجي واثناسيوس بهنام قليان رئيس دير مار بهنام ١٩٠٩-١٩٢٢ ومطران بغداد ١٩٢٩-١٩٤٩.

وهناك غيرهم كثيرون تسموا بهذا الاسم المجيد في الأقطار المختلفة من الديار الشرقية منذ اجيال قديمة.

وانك تكاد لا تجد اليوم، في الموصل وضواحيها، عائلة تخلو من هذا الاسم الجميل. وقد تعدى العراق الى الخارج مثل بيروت والشام وحلب ومصر والى ما وراء البحار في اميركا.

وللسريان في راشيا (٤) جماعة قديمة العهد خاضعة في سياستها البيعية لمطرانية دمشق جاء عنها انه في القرن الخامس عشر انضمت اليها أسر شتى نزحت عن «عين حليا» بقضاء الزبداني، كان من أشهرها يومئذ «آل بهنا» (٥).

وفي حلب اليوم أسرة اخرى بهذا الاسم وهي قديمة، ومن فروعها اشخاص في الاسكندرية وفي باريس. ما هذا، لعمري، الا دليل واضح، على اتساع شهرة مار بهنام، في البلدان الشرقية الفسيحة.

---

١) السلاسل التاريخية ٢٠٠-٢٠٢
٢) كذا ١٣٢-١٣٨
٣) انباء الزمان ٥٦-٥٧
٤) راشيا بلدة واقعة عند جبل الشيخ يقطنها فريق من السريان وفريق من الدروز
٥) اصدق ماكان ١ : ٣٦٥

الفصل السادس

الكنائس التي شيدت على اسم مار بهنام

في الوقت الذي تبارت قرائح الالباء ، في نظم الأناشيد بمديح مار بهنام ، وصار الناس يتخذون اسمه الكريم تيمناً به ، تسابقت البلدان الشرقية الواسعة ، في تشييد الكنائس على اسمه أخصها :

١ـ كنيسة طرابلس :

شيدت هذه الكنيسة على اسم مار بهنام ، عام (٩٦١م) كما أثبت ابن العبري في تاريخه (١) فاتخذها رعاة الابرشية مركزاً لهم . وفيها دفن المفريان اغناطيوس صليبا الثالث سنة (١٢٥٨م) (٢) واليها كان يختلف ابن العبري مع زميله المفريان صليبا المذكور يوم كانا يحصلان المعارف ، في مدينة طرابلس ، ثم تقوضت اركانها في حرب وقعت سنة ١٢٨٩م فعفت آثارها (٣) .

والظاهر انه أنشيء في هذه المدينة ، في الاحقاب التالية ، كنيسة اخرى على اسم السيدة العذراء ومار بهنام ، كانت قائمة حتى سنة ١٧٨٥م .

في مكتبة باريس مخطوط بالعربي موسوم باسم « وصية التكليل المبارك برسم الكنيسة المحروسة مار بهنام ، كتبه الشماس كوركيس بن يوسف من مدينة آمد في جزيرة قبرص للكاهنين ميخائيل وفرج سنة ١٦٥٥ يونانيـة ١٣٤٤م (٤) الا انه لا يذكر أي كنيسة لمار بهنام ، ويقرب على الظن انها كنيسة طرابلس ، وقد جاء ما يؤكد وجود هذه الكنيسة في رسالة القس عطا الله يازجي الامدي ، كاهن رعية هـذه المدينة ، الى البطريرك ميخائيل جروة (١٧٨٢ـ١٨٠٠) ما ياتي ، ننقله على علاته بالحرف الواحد « ان

١) تاريخ الدول السرياني ص ١٨٤

٢) انباء الزمان ص٣٩ـ٤٠

٣) اصدق ما كان ١:٢٥٧

٤) رسالة القس عطا الله الى البطريرك جروة بتاريخ ١٨ آب سنة ١٧٨٥ (من مخطوطات دير الشرفة)

البيعة تشتمل على هيكلين ، بينهما حائط ، فالواحد على اسم السيدة ، والآخر على اسم ماري بهنام ، ولكن مكانات صغار وعتق وخالين من الأواني » (١) .

٢- كنيسة القاهرة في مصر :

ولمار بهنام كنيسة في مصر القديمة ، قرب مقبرة اللاتين ، عند فم خليج أمير المؤمنين ، يظن انها قديمة العهد شادها التكريتيون (٢) منذ القرون الاولى من استشهاد هذا القديس (٣) ، ورد ذكرها في مخطوط مكتبة برلين ، كان أهدي اليها سنة ١٧٣٤ ، جاء فيه « نظر في هذا الكتاب الراهب هندي بن اسحق الموصلي خادم دير مار بهنام المكون ، في محروسة مصر القاهرة سنة ١٧٩٦م (٤) وظلت هذه الكنيسة في حوزة السريان ، حتى اغتصبها الاقباط وبدلوا اسمها الاصلي باسم « مينا » واستبدوا بها استبدادهم بسائر الكنائس والاديار التي كانت تخص بالسريان في وادي النيل » (٥) .

وفي هذه الكنيسة ، حتى اليوم ، صورة كبيرة رائعة تمثل أدوار حياة مار بهنام بريشة حنا كربيد الأرمني القدسي ، سنة ١٧٨٢ ، نشرت عام ١٩٤٦م (٦) .

٣- كنيسة أربيل :

في سنة ١٢٦٢م غزا المغول بلاد اشور ، فغادر جمهور عظيم من السريان بلدة الموصل ونينوى ولجأوا الى أربيل ، حيث شيد لهم الجاثليق دنحا النسطوري كنيسة على اسم مار بهنام ، الحق بها داراً للاسقف وديراً للرهبان ولزوار مار بهنام ، دمرت

---

١) توافد التكريتيون الى الديار المصرية تجاراً ورهباناً منذ صدر القرن السادس للميلاد ، وبلغ عددهم نحو عشرة آلاف نسمة في القرن السابع او الثامن ، وكان لهم ديوره عديدة وكنائس عد منها الخوري اسحق ارملة ١٧ كنيسة وديراً (السريان في القطر المصري ٣٠-٤١ ومخطوط المتحف البريطاني المنسوخ سنة ٦٠٣م عدد ٦٧٢ ومخطوط باريس عدد ٧٢ ص١١) .

٢) السريان فى القطر المصري ص٣٣ والسلاسل التاريخية ص٣٨١

٣) مكتبة برلين عدد ٢٥٩ ص٧٩٠

٤) السريان فى القطر المصري ص٣٣-٣٤

٥) طالع *The Icons of Yuhanna and Ibrahim the Scribe. Cawthra Muloek Martin Telles Langdon, London p. 21 58—599.*

٦) المكتبة الشرقية للسمعاني ٢ عدد ٣٩ :٤٥٣-٤٥٥ وذخيرة الاذهان ٢ :٦٠

هذه الكنيسة عام ١٣٧٥م وانطمست أخبارها وعفت آثارها (١) .

٤ـ كنيسة ماردين :

في ماردين كنيسة قديمة العهد ، على اسم مار بهنام واخته سارة والاربعين شهيداً ، نهبت عام ١٣٤٣م فندبها الراهب يشوع بن خيرون ، ١٣٣٥م برثاة بليغة(٢) ثم ورد ذكرها ، في مجموعة ألحان المطران شمعون العيندوري ١٤٦٨م (٣) وفي بيثكاز يخص مكتبة السريان بديار بكر جاء فيه انه كتب سنة ١٥٥٥ في ١٠ كانون الثاني بماردين في بيعة الأربعين شهيداً على عهد عبدالله البطريرك (٤) ، ولا تزال هذه الكنيسة قائمة حتى اليوم ، وتعرف بكنيسة الاربعين شهيداً .

٥ـ كنيسة دمشق :

هي الكنيسة الكبرى ، على اسم العذراء الجيدة مريم ومار بهنام ، كانت قائمة ، في عام ١٦٥٤م (٥) ثم ورد ذكرها باسم مار بهنام فقط ، في مخطوط مكتبة باريس ، المنسوخ سنة ١٩٩٢ يونانية وسنة ١٠٩٢ هجرية (١٦٨١م) ، بيد الخوري موسى بن الكن خادم كنيسة مار بهنام في دمشق ، على عهد البطريرك عبدالمسيح (٦) .

وجاء عن جبرائيل حوا مطران قبرس الماروني انه رقي الى درجة الكهنوت ، في كنيسة مدرسة برو بكندا ، القس جبرائيل طيشون الدمشقي على كنيسة مار بهنام ، بدمشق سنة ١٧٢٣ م (٧) .

وفي ٢٥ حزيران ١٧٨٥م سمى البطريرك اغناطيوس ميخائيل الثالث السيد ايونيس نعمة الله ثابت مطراناً على الشام وراشيا وحصبيا ودفع اليه منشوراً بطريركياً ،

---

١) انباء الزمان ص٤٣ وذخيرة الاذهان ٢ : ١١٩

٢) فهرس مكتبة باريس الاهلية عدد ٢٧٦

٣) اللؤلؤ المنثور ص٨٥

٤) ذخيرة الاذهان ٢ : ٢١٨

٥) هامش كتاب عناية الرحمن ص٢٧٧

٦) فهرس مكتبة باريس رقم ٢٢٨ صفحة ١٧٦

٧) عناية الرحمن صفحة ١٧١

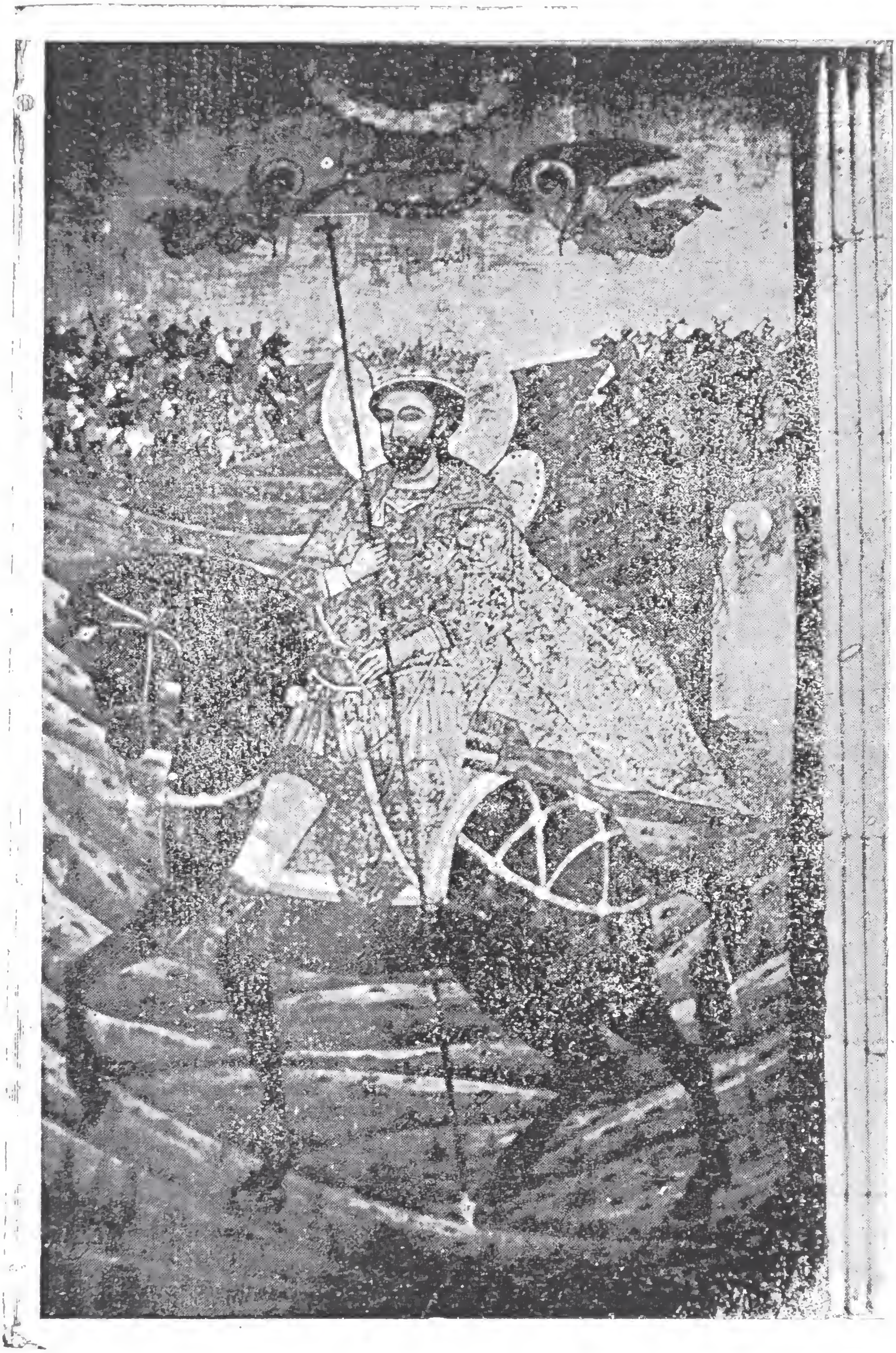

فيه يسمي جماعات الشام ، مرعيث مار بهنام (١) .

وفي مخطوط ببرلين ، كتب فيه بالكرشونية ما يلي :

« ان البطريرك كوركيس الرابع حضر دمشق سنة ٢١٣٥ يونانية ١٨٢٤م ، وانتخب المطران عبد المسيح الآمدي والربان اسحق والربان عبد الواحد والربان بشارة ابن ارميا من بيت ترزي كاتب هذه الاسطر ليرسلهم الى الهند لادارة الطائفة هناك وقد ربطوا كلامهم مع بعضهم بعض بدمشق الشام امام القديس الشهير مار بهنام (٢) .

وكانت هذه الكنيسة موسومة باسم مار بهنام وموسى الحبشي سنة ١٨٢٨ (٣) وظلت كذلك حتى أسماها الثلث الرحمة المطران يوسف داود باسم مار بولس .

وفي هذه الكنيسة صينية قديمة كتب فيها ما نصه : « اوقف هذه الصينية المباركة القسيس بطرس بن المخملي الحلبي على كنيسة السيدة ومار بهنام في مدينة دمشق المعروفة بالسريان على روحه وروح والديه ، فكل من غيرها عن الوقفية ، تكون حصته مع صالبي المسيح ، في سنة ١٧٢٠ مسيحية » .

وما برحت صورة مار بهنام ، في هذه الكنيسة ، في صدر مذبح خاص به ، على يمين الداخل الى الكنيسة .

والصورة مرسومة بريشة نعمة ناصر حمصي طولها ١ر٢٥ متر وعرضها متر واحد وهي تمثل مار بهنام ممتطيا جواداً احمر اللون ، قائما امام رابية ، وبيده رمح يعلوه صليب وعلى رأسه تاج مرصع بجواهر كريمة ، وعند رأسه ملاكان قابضان باليد الواحدة على سعفة نخل ويمسكان باليد الاخرى اكليلا من ورد يمقدانه على هامته ، وقد كتب بجانب الاكليل : « القديس بهنام الشهيد » .

اما القديسة سارة فواقفة من ورائه مرتدية حلة صفراء وعليها شبه عباءة حمراء موشاة بذهب ومتحزمة بزنار اخضر وبيدها سعفة نخل ، وقد كتب بجانبها « الشهيدة سارة » .

---

١) اصدق ما كان ١ : ٣٦٧-٣٣٨

٢) مخطوط مكتبة برلين رقم ٢٥٩ صفحة ٧٩٠-٧٩١

٣) عناية الرحمن صفحة ٤٨٣

ثم على جانبي الاكمة الشرقي والغربي يقف الى الوراء، عشرون فارساً، ويملو الصورة رسم للسيد المسيح، فوق غمامة، تحف به هالة، وقد فتح ذراعيه لاستقبالهم.

٦- كنيسة مار بهنام في جزيرة ابن عمر :

فى جزيرة ابن عمر كنيسة، على اسم مار بهنام، كانت بيد السريان الكاثوليك عام ١٧٩٤م (١) ثم تولاها السريان الارثوذكس وقد وجد على جدارها تاريخ يذكر ان مار بهنام استشهد في سنة ٣٨٢م .

٧- بيعة مار بهنام فى تنورين :

تنورين، بلدة في لبنان الشمالي، كان يقطنها عدد عظيم من الاسر السريانية، قبل القرن الرابع عشر وبعده . ومن البيع التي شادوها فيها، بيعة مار بهنام الشهيد (٢)

٨- بيعة العذراء والشهيدين سرجيس وبهنام في كفر حورا :

كفر حورا، قرية قديمة، في شمالي لبنان، بقضاء زغرتا، ضمت في سالف الأزمنة، عدداً غير يسير من السريان، وابتنوا فيها بيعة على اسم العذراء المجيدة، والشهيدين سرجيس وبهنام (٣) .

٩- بيعة مار بهنام بجوار اللاذقية :

كان في ضواحي مدينة اللاذقية، على ساحل البحر المتوسط، كنيسة قديمة العهد، شيدت تيمنا باسم مار بهنام وظلت عامرة حتى اوائل القرن التاسع عشر . ويستفاد من مخطوطات دير الشرفة انه وجد في هذه الكنيسة، قبل اندثارها، صورة قديمة لمار بهنام، وكتابة سطرنجيلية نقرت على الحنية الشرقية وراء المذبح (٤) .

١٠- كنيسة مار بهنام في بلاد الحبشة :

جاء في معجم التاريخ والجغرافية الكنسي للكردينال بودريار، ان الكاهن يوحنا

---

١) عناية الرحمن صفحة ٣٦٣

٢) اصدق ما كان ١ : ٢٤٥

٣) مخطوطات بيعة حلب السريانية : تقرير انطون زكار واصدق ما كان ١ : ٢٥٤

٤) رسالة للخوري ميخائيل ازرق (١٨٧٦ +) من مخطوطات دير الشرفة، واصدق ما كان ١ : ٢٦٩

الانبأ رئيس دير بيزان ، في الحبشة ، سمى كنيسة في بلاده باسم مار بهنام (١) .

١١- كنيسة مار بهنام في حلب :

وينقل الخلف عن السلف انه كان ، في حلب ، كنيسة او معبد على اسم مار بهنام عفت آثارها واستولى عليها الفاتحون .

ولمار بهنام اليوم ، في حلب، صورة قديمة تمثله راكباً حصاناً، في كنيسة الارمن الأرثوذكس ، ينيف طولها على المتر .

١٢- هيكل مار بهنام في كنيسة بنابيل :

بنابيل ، هي قرية عامرة ، في الشمال الشرقي من ماردين ، على مسافة ساعتين ونصف منها ، آهلة بالسريان ، وفيها بساتين وحدائق غناء، ومياه غزيرة ، فيها لمار بهنام هيكل منقور في الصخرة (٢) .

١٣- هيكل على اسم مار بهنام بالقدس :

وعلى اسم مار بهنام ، في كنيسة دير مارمرقس للسريان الأرثوذكس ، في القدس هيكل خصوصي يقدم عليه الذبيحة الالهية الكهنة المتزوجون .

١٤- مذبح مار بهنام في معبد سيدة النورية في بيروت :

ولمار بهنام في بيروت مذبح ، في صدره صورة لهذا القديس بمعبد سيدة النورية للروم الارثوذكس . وتظهر على هذه الصورة علائم القدم ، وهي تمثل مار بهنام ، على صهوة جواده ، وبيده رمح يطعن به ابليس اللعين وقد تجندل ، عند حوافر حصانه ، ويعلوه من الجانب الواحد ملاك يروم ان يكلله بتاج الظفر ، وفي الجانب الاخر ، وعلى ارتفاع قليل ، صورة السيد المسيح يتحفز لاستقباله .

---

١) معجم التاريخ والجغرافية المجلد السابع ص٤٧٧

٢) نزهة الاذهان ص ٦٩

الفصل السابع

الديورة التي شيدت على اسم مار بهنام

١- دير على اسم مار بهنام في جوار كوي سنجق :

لمار بهنام ، دير ثان عظيم ، لا تزال أطلاله قائمة ، في جوار كويسنجق في تخوم بلاد العجم ، بينها وبين ارموتا ، مسافة نصف ساعة ، وهو الى ارموتا أقرب منه الى كوي سنجاق ، وان أهل كوي سنجاق وارموتا يقيمون لهذا القديس عيداً حافلا، كل عام (١) .

ولعله الدير الذي شاده الجاثليق دنحا سنة ١٢٦٢م ، للسريان الذين ظعنوا من الموصل ونينوى واطرافها واستوطنوا اربيل ، عندما غزا المغول بلاد آشور وعاثوا بها سبياً وقتلا (٢).

وكتب لنا عنه سيادة مطران كركوك على الكلدان مار اسطيفانوس جبري الجزيل الاحترام بتاريخ ٢٥/٦/٤٦ ما يلي ننقله بالحرف :

« ان ما يعرفه اهالي كويسنجق وارموته عن هذا الدير انه كنيسة قديمة على اسم القديس مار بينا . وقد زرناه قبل عدة سنوات ، فرأيناه على هيئة كنيسة متقوضة ، يذكر على رأس بنيانها ان بانيها واحد من آل اوغنا ، وحسب التقليد ان ارموته كانت واسعة جداً وان كثيرين من عائلاتها نزحوا عنها واستوطنوا قرى اخرى مثل كرمليس ولا سيما عينكاوة . وفي هذه القرية اليوم عدة عائلات باقية الآن ، منها عائلة الخوري شمعيا اوغنا . ويبان ان الذى أتينا على ذكره اعلاه ، في بناية دير القديس مار بينا هو من هذه العائلة » .

٢- ولمار بهنام دير آخر في مدينة لقحا في خورسان :

جاء في رحلة برصوما الى الشرق (٣) ان الجاثليق دنحا (٤) حبس شمعون بن

---

١) شهداء المشرق ١ : ٣٠٥   ٢) السمعاني المجلد الاول عدد ٣٩ ص٤٥٥

٣) كان الربان برصوما مبعوثا لسلاطين المغول الى ملوك اوربا ، فزار عواصمها وأقام مدة في روما.

٤) هو مرقس المغولي وقد ارتسم بطريركا لكنيسة النساطرة في الشرق باسم يابالاها الثالث.

قاليج المسمى سمعان اسقف الطوس(١) في خورسان ، وكان قد رسمه مطرانا على الصين سنة ١٢٧٩م . فكبر شأن قاليج على الجاثليق وتجرأ عليه . فاستدعاه الجاثليق الى استو(٢) وحبسه في دير مار بهنام الكائن في مدينة لقخا(٣) .

٣- دير مار بهنام فوق دير الزعفران :

ولمار بهنام، فوق دير الزعفران، دير او صومعة تكنى بدير الكهف، وهو صومعة يوسي او فطروس ، نسبة الى بطرس الحبيس الذي كان ساكناً فيه سنة ١٥٢٣م . وهو عبارة عن كهف مجاور لدير مار يعقوب كان أهلا بنفر من النساك ، في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، ومن رهبانه عبدالعظيم ابن الشماس يوسف الكليبيني عام (١٦٠١ -١٦١٢م) وبهنام الباتي الذي سمي مفريانا سنة ١٦٥٣-١٦٥٥ وكان قد أجاد الآداب السريانية وخطها وكان معه ، في الحبسة ، الربان جورجيس سنة ١٦٤٥ ، ومن رهبان هذا الدير ايضا ، الراهب القس يشوع سنة (١٦٦٩م) (٤) .

اما تاريخ تشييد هذه الديورة والكنائس بالدقة فمجهول، لضياع المراجع التاريخية لما انتاب هذه البلاد من النوائب والمحن . وقد ذكرناها مستندين على مصادر أدرجتها عما قبلها ، مؤملين ان يتصدى غيرنا من المؤرخين المحققين الاعلام الى ما ابتدأنا به وجعلناه بمثابة أساس لبنيان أعظم وتمحيص ما قدمناه الآن فيزيده جلاء وتدقيقاً واثباتا .

خلاصة ما قدمناه انه كان للامير الشهيد العظيم مار بهنام ، في الاقطار الشرقية جمعاء ، مركز رفيع ومقام سام ، نظراً الى الكرامات التي أجراها الله على يد وليه ، الا ان الدهر قد قضى على عز هذه الشهرة لما انتاب هذه البلاد من الويلات والنكبات ولم

---

١) تدعى اليوم « مشهد »

٢) بلدة كردية مشهورة في تجارة المواشي والخيل .

٣) رحلة الربان برصوما المترجمة عن السريانية الى الانكليزية ص ٦٠ سنة ١٩٢٨ بقلم - *Sir E. A. — Wallis Budge*.

٤) اطلب اللؤلؤ المنثور ص٤٩٥ ونزهة الاذهان ص١٥٨ وفهرس مكتبة برلين رقم ١٨٤ ص٥٩٩ -٦٠٠ ورقم ٢٤٣ ص٧٤٠

يبق لها الا أثر ضئيل ، لكنها استأنفت انتشارها وانتعشت سمعتها منذ غرة هذا القرن في عهد افتتاح وتجديد ديره ، الذي يدور بحثنا عنه ، وقد افتتحه وجدد شبابه المثلث الرحمات البطريرك اغناطيوس أفرام الثاني رحماني سنة ١٩٠١ . ومنذئذ أخذ الناس من كل صوب ، على اختلاف المذاهب ، يقصدون هذا الدير ، في نذور وتقادم ، اطلب نعمة او زوال نقمة . نفعنا الله بشفاعة هذا القديس وصلواته .

البـــاب الثالث

تاريخ دير مار بهنام في عصوره الاولى

الفصل الاول

مخطط دير مار بهنام

١ـ مخطط هذا الدير قديماً :

مما لا جدال فيه ان مخطط دير مار بهنام لم يكن عند تأسيسه على الشكل الذى نراه اليوم . كان عند نشأته عبارة عن بعض غرف ألحقت بالكنيسة لمأوى من يؤمه من ذوي العاهات ، يحيط به سور (١)

ثم اتخذ على توالي الايام اوضاعا عدة يتعذر وصفها ، كما تبدلت ريازة عمارته بتعاقب الأجيال . فاتلفت الأحداث الطارئة كل حدث يدل على هذه التطورات ، وكل أثر ينبيء عن وضعه وشكله الهندسي .

ومن يحاول ان يجري اليوم تنقيبات بين جدرانه ولا سيما في فناء كنيسته يلاحظان الانقاض المتراكمة على سطحه قد كونت طبقة سميكة لا يقل معدل ثخنها على المتر ونصف

١) اخبار الشهداء والقديسين بيجان ٢ : ٤٤٠

المتر في معظم أقسامها ويكتشف من ثم أرضاً مبلطة برخام ، كما انه يتوصل الى اظهار تفاصيل كثيرة عن مخطط الدير القديم اذ يعثر على اسس أبنية مندرسة ودعائم مبعثرة لا جامع بينها .

ان هذا لدليل على ان البلى والخراب قد استوليا على هذا الدير ، وتهدم مراراً على كرور القرون وأعيد بناؤه وتركت الأنقاض المتراكمة في محلها ، واكتفى سكانه بتعميره على الأسس القديمة منحرفين احياناً عن بعضها او تاركينها بالكلية . فليس سوى إزالة

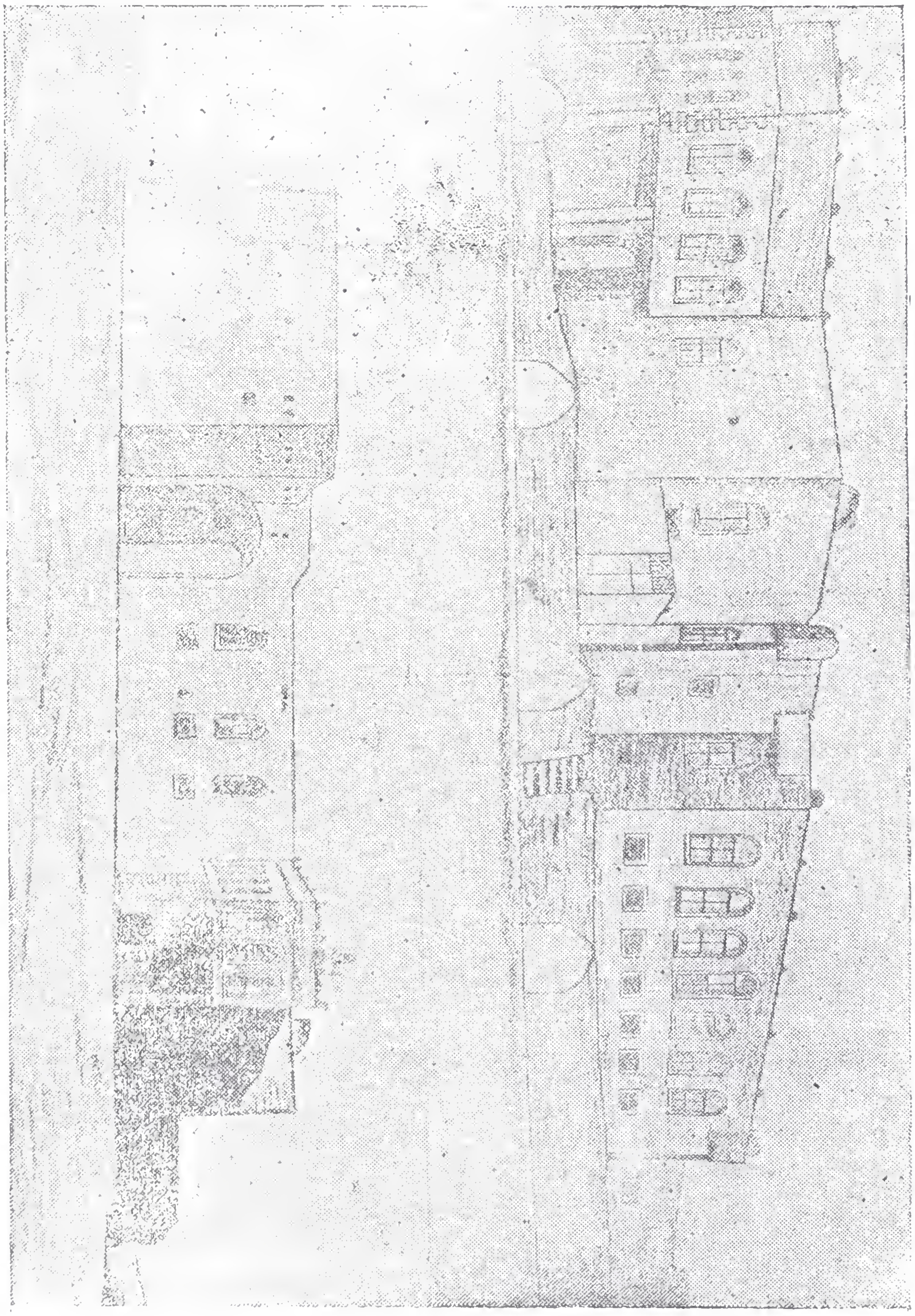

١- في الأعلى : جهة دير مار بهنام الشمالية .
٢- في الأسفل : مدخل الدير وجهة الكنيسة الشرقية .

هذه الأنقاض المدفونة ، فيظهر جلياً مخطط الدير القديم والتعميرات الاضافية التي ادخلت عليه في مختلف العصور .

ويبدو للباحث المنقب ان بنيان الدير القديم كان اكثر سعة من البنيان الحالي ، اذ عثرنا على أساسات قديمة تمتد خارج الدير مسافة نحو خمسين متراً من جهة الشرق ، فيستنتج من ذلك ان الكنيسة الحالية كانت في وسط الدير يحيط بها فناء من الجهة الشرقية في ضمنه معبد الضريح .

وكانت جدران هذا الدير عالية مجهزة بقلاع لحمايته والدفاع عنه من الهجمات المتوقعة . واما مدخل الدير فكان صغيراً ضيقاً جداً الى الجهة القبلية ، في اعلاه ثغر للدفاع عنه .

الفصل الثاني

تاريخ بناء دير مار بهنام وكنيسته الأثرية

اننا لم نعثر على أثر في التاريخ ، عن عهد عمارة دير مار بهنام وكنيسته الأثرية بصورة حاسمة ، خاصة وانهما خاليان من كتابة تدل على شيء عن تاريخ تأسيسهما .

فالوثيقة الوحيدة المتصلة بنا عن ذلك العهد ، هي ترجمة مار بهنام . فاذا وثقنا بحقيقة هذه السيرة التاريخية وصحة مصدرها ، لا نجد مجالا للشك ، بان الدير وكنيسته هما من مباني العهد الساساني (١) رفع بناءهما اسحق الفارسي مدفوعا بالشهامة والعاطفة الدينية والعرفان نحو الأمير الشهيد ، وتخليداً لذكرى شفاء عبده الممسوس ، اذ كان قاصداً اورشليم وقد مر بهذا المكان (٢) .

في تحليلنا الحوادث التاريخية ، نجد من الدلائل ما يحملنا على الاعتقاد ، بان الفرصة الوحيدة السانحة لاسحق الفارسي ، لحج الأراضي المقدسة ، كانت في عهد خلفاء شابور الثاني ٣٠٩-٣٧٩م ، وذلك لأن احوال النصارى كانت قد تحسنت في ذلك

---

١) اسس الدولة الساسانية اردشير بن بابك من آل ساسان سنة ٢٢٦م وانقرضت على يد العرب سنة ٦٣٦م

٢) اخبار الشهداء والقديسين بيجان ٢ : ٤٣٤-٤٤٠

العصر ، ولا سيما في ايام شابور الثالث ٣٨٣-٣٨٨ م ، وبهرام الرابع ٣٨٨-٣٩٩ م ، وعلى الأخص في عهد يزدجرد الاول ٣٩٩-٤٢٠ م ، حيث توطدت دعائم الصلح بينه وبين الامبراطورين الرومانيين ، ارقاديوس ٣٩٥-٤٠٨ م ، وتاودوسيوس الثاني ٤٠٨-٤٥٠ م ، بمساعي مار ماروثا (١) مطران ميافرقين ، المتوفى سنة ٤٢١ م ، ومار اسحق (٢) جاثليق المدائن ، المتوفى سنة ٤١٠ م .

وهنا يجب ان لا يعزب عن البال ، ان يزدجرد الاول المذكور كان قد أمر ، في السنة الاخيرة من حكمه (٤٢٠م) باضطهاد النصارى واقتص أثره ابنه بهرام جور (٤٢٠-٤٣٨) ، ويزدجرد الثانى فيروز (٤٣٨-٤٥٧) ، ولم تخمد نيران هذا الاضطهاد الا بعد وفاة هرمزد الثالث فيروز «٤٥٧-٤٨٤» (٣) .

اذاً تكون الفترة الموجودة ، بين سنتي «٣٨٤و٤١٩» هي الوحيدة التى ظل فيها الشرق في سلام ، وتمتع المسيحيون بحرية الدين وسمح لهم بتشييد كنائس وأديرة وترميم ما تهدم منها .

ومن ثم ، فتحت الطرق وسارت القوافل ، بين المملكتين المتناحرتين : «الرومانية والفارسية » ، فصار في استطاعة نصارى المملكة الفارسية ، زيارة الاراضي المقدسة(٤)

---

١) تجمل مار ماروثا منذ نعومة اظفاره بالفضائل وتضلع بالعلوم البيعية والطب ونبغ فيها كل النبوغ ، ثم خلف والده ليوتا فى ولاية مدينة سرقينا ، فابدى من الفطنة والحنكة فضلا عن الرسوخ في الصلاح والتقوى ما حمل الاساقفة عصره على انتخابه اسقفا لمدينة ميافرقين ، فضاعف نشاطه فى الحقلين الديني والمدني معاً حتى غدا من افاضل الولاة وجهابذة الاحبار . ومما اشتهر به ، قيامه ثلاث مرات سفيراً من قبل ملك الروم الى يزدجرد الاول ، وحضوره مجمع سليق سنة ٤١٠ ، وفي هذه المناسبة جمع اعمال الشهداء وكتبها بلهجة بليغة ونقل شيئا كثيراً من ذخائرهم الى ميافرقين فدعيت لذلك مدينة الشهداء - راجع انباء الزمان ص١٦ وذخيرة الاذهان ١ : ١١١-١١٣

٢) ولد مار اسحق في كشكر وخص بالذكاء وتوقد الذهن وتبوأ كرسي المدائن سنة ٣٩٩ واشتهر بعقده مجمعاً في المدائن يعرف بمجمع سليق الثانى ، وحلت وفاته سنة ٤١٠ ودفن في المدائن في مقبرة الجثالقة بدير قني - طالع انباء الزمان ١٥-١٦ وذخيرة الاذهان ١ : ١٠١ - ١٠٢ و ١٠٦ -١٠٧ واخبار بطاركة كرسى المشرق ٢٩-٣١ والمجدل ٢٢-٢٤ والتاريخ الكنسى ٤٧ - ٤٨ وتاريخ كلدو وآثور ٢ : ٢٤ و ٩٥ والنصرانية فى مملكة فارس للابور ٨٧-٩٢

٣) شهداء المشرق ٢ : ٢٢٤-٢٣٧ وتاريخ كلدو وآثور ٢ : ١٠٦-١١٨

٤) تاريخ كلدو وآثور ٢ : ٩٥-٩٩ واخبار الشهداء والقديسين بيجان ٢ : ٤٣٤

ولهذا نرى اسحق الفارسي قاصداً اورشليم بحشد كبير مطمئن البال غير وجـل . وعلى هذا تسنى له ان يقوم بعمله المبرور ، اي بناء هذا الدير وكنيسته الأثرية الخالدة الأمر الذي يتعذر القيـام به ، في غير هذا العهد ، لتوالي الاضطهادات العنيفة على نصارى هذه البلاد كما سبق الكلام .

فيكون اذن ، عهد بناء دير مار بهنام وكنيسته التاريخية ، في منسلخ القرن الرابع ، او بالاحرى في صدر المئة الخامسة .

ومما يؤيد هذا الاعتقاد رسوخا ان الملكة شيرين (١) والدة مار بهنام كانت لما تزل في قيد الحياة وقد اشتركت في البناء (٢) .

الفصل الثالث

دير مار بهنام في بدء دوره التأسيسي

قلما أفادنا التاريخ عن دير مار بهنام ، في عصوره الاولى ، وسبب ذلك يعزى ، اما الى فقدان المصادر التاريخية لتتابع المحن وتوالي النكبات على هذه الديار ، او لأنه لم يوجد من يهتم بتدوين أخباره في تلك الأحقاب النائية . ولافتقارنا الى احاج قديمة صريحة ، ومعلومات تاريخية ثابتة لا سبيل لنا الى معرفة تاريخ هذا الدير ، في تلك العصور المظلمة ، سوى الاستدلال من حوادث التـاريخ والاستنتاج من تطورات وماجريات الوقائع الراهنة .

ان كل ما في أيدينا من المصادر التي تمهد لنا السبيل في هذا البحث ، انمـا هو سيرة صاحب هذا المقام ، فانها تعطينا وصفاً موجزاً ، عن الغاية من تأسيس هذا الدير والعوامل التي أدت الى انشائه .

أقيم هذا الدير ، باديء ذي بدء ، معقلا للمرضى وملجأ لذوي العاهات الذين

١) « شيرين » كلمة فارسية معناها جميلة .

٢) اخبار الشهداء والقديسين بيجان ٢ : ٤٣٩-٤٤٠

كان يكتظ بهم معبد الضريح المعروف بالجب ، وكانت عجائب القديس كثيرة مع زائريه . لذا ذاع صيته في البلاد الفارسية ، حتى عرفه القاصي والداني . فتقاطر اليه الناس قادمين من كل حدب وصوب، توصلا الى ضريح الشهداء حاملين مرضاهم بعامل العبادة الصادقة والتقوى الخاشعة ، بل بذرف الدموع السخينة ، حيث لا مأوى لهم غير الأرض العراء وأديم السماء .

بعد هذا بمدة قصيرة ، بنى لهم رجل البر والثراء اسحق الفارسي بعض غرف ألحقها بالكنيسة التي شادها مدفوعا بعاطفة العرفان نحو الأمير الشهيد عن المعجزة الباهرة التي افتعلها مع عبده الممسوس ، وأحاط اخيراً هذا البناء بسور ضخم، وقد شاده غربي معبد الضريح ، على مسافة رمية حجر ، ايحاء من الأمير الشهيد الجليل ، اذ تراءى لمار ابراهيم في الحلم ليلا . ولهذا ترى الدير منفصلا عن معبد الضريح حتى يومنا هذا (١).

هكذا نشأ هذا الدير ، وظل حقبة من الدهر كعبة للزوار المرضى الوافدين عليه للاستشفاء يتعهده رهبان من دير مار متى(٢) ، وبقي على هذه الحالة مدة وحدة الأمة المسيحية ، أي قبل الانشقاقات ، وحيث كان يجمعها ايمان واحد بالمسيح .

على اننا اذا استقرينا التاريخ ، نجد الشرق المسيحي في اواخر المئة الخامسة للميلاد ، منقسما الى فئتين متناقضتين في الاعتقاد ، متشابكتين في صراع عنيف ، مكافحتين بلا هوادة ، هما النسطورية والمنوفيزيتية (٣) ونرى ان كل فئة منها تتزلف الى الاكاسرة ، أسياد البلاد ، لينتصروا لها ، وعند الفوز بالمرغوب توسع الجانب الآخر ضربات هائلة مميتة .

لقد نجم عن هذا التطاحن الديني المرير ، من عوامل الحقد والشحناء والانحلال الخلقي، ما يندى منه الجبين ، وقد أودى بحياة كثيرين ووقف حائلا دون انتشار النصرانية (٤) .

---

١) اخبار الشهداء والقديسين بيجان ٢ : ٤٤٠

٢) اخبار الشهداء والقديسين بيجان ٢ : ٤٣٣-٤٤١ والاثار الشرقية مجلد ٣ ص ١٢

٣) « المنوفيزيتي » هو القائل بطبيعة واحدة في السيد المسيح

٤) النصرانية وآدابها ١ : ٨٦ وتاريخ كلدو وآثور ٢ : ١٢٨-١٧١ وذخيرة الاذهان ١ : ١٣٢

هذا ما سعى اليه برصوما مطران نصيبين النسطوري في نحو سنة ٤٨٤م، فاستحصل من فيروز الملك ٤٥٧-٤٨٤ م ، أمراً يجزم على جميع نصارى مملكته، باتباع مذهب نسطور ، مستخدماً جيوشاً فارسية لتحقيق رغائبه الفظيعة . فشتت شملهم وأباد منهم خلقاً كثيراً ، واغتصب بيعهم وديورتهم ، من ذلك انه استولى على دير مار متى ومثل في رهبانه قتلا وتنكيلا ، وأحرق خزانة كتبه ، وقد حدث مثل ذلك في سائر أطراف البلاد الخاضعة للدولة الفارسية (١) .

ان حظ دير مار بهنام ، في هذه الكارثة الأليمة ، لم يكن باسعد من حظ دير مار متى ، اذ استولى عليه النساطرة في تلك الغضون ، وظل في حوزتهم حتى أواخر القرن السادس للميلاد (٢) فأعاده اذ ذاك جبرائيل السنجاري ، رئيس أطباء الملك خسرو ابرويز ٥٩٠-٦٢٨م ، يوم اغتصب منهم دير مار متى (٣) .

فاصبح منذئذ ، دير مار بهنام منسكا لرهبان سريان ، فضلا عن كونه مزاراً ، ارتادوه من القرى المجاورة التي اعتنقت المذهب المنوفيزيتي بمساعي جبرائيل المذكور(٤)

-٣١٩ والنصرانية في مملكة فارس للابور ٢٤٨-٢٦٠ والتاريخ الكنسي ١ : ٤٠٤ وتاريخ نصارى العراق : ١٦

١) راجع تاريخ كلدو واثور ٢ : ١٣٧-١٥٩ وذخيرة الاذهان ١ : ١٣٦-١٤٠ وميخائيل الكبير ٣ ٤٢٣-٤٢٧ ومجلة الاثار الشرقية مجلد ٣ ص١٢

٢) ذخيرة الاذهان ١ : ٣١٨-٣١٩

٣) كلدو واثور ٢ : ٢٢٤-٢٢٦ وذخيرة الاذهان ١ : ٢٤٦ و ٣١٧ والتاريخ الكنسي ٢: ١٠٩ والاثار الشرقية مجلد ٣ ص١٧

٤) تاريخ كلدو واثور ٢ : ٢٢٦

الباب الرابع

دير مار بهنام في حكم العرب

الفصل الاول

فذلكة تاريخية

لما ظهر العرب وسارت جحافلهم الجرارة في أرجاء المعمور، للفتح والتبسط في الآفاق، كان العالم المعروف يومئذ منقسماً الى مملكتين عظيمتين تتنازعان السيادة على البلاد الشرقية، هما المملكة الرومانية وعاصمتها بيزنطية (١) او قسطنطينية، ومملكة الفرس الساسانية ٢٢٦-٦٣٦ م وكانت عاصمتها المدائن او قطيسفون (٢)، وقد حدثت بينهما حروب طاحنة دامت قرونا، أنهكت قواهما، كانت نتيجتها اخيراً سقوط الدولة الساسانية بيد العرب سنة ٦٣٦ م وزوال العلم البيزنطي عن قسم عظيم من الديار الشرقية.

وليس بخاف، ان النصارى عامة قد تواطأوا مع الفاتحين لتسليم البلاد بغضة للفرس المجوس وتخلصاً من الروم. واما نصارى هذه الديار فقد ساهموا مساهمة فعالة بالفتح العربي، فساعد أهل الحيرة النصارى سنة ٦٣٢ م خالد بن الوليد لفتح العراق ورحبوا به وأنزلوا جنوده في كنائسهم وديورتهم (٣)، وقبائل تغلب وغمر وأياد النصرانية، ومنهم الشهارجة، واذ كانوا يحاربون تحت لواء الاروام، انقلبوا عليهم ناصرين بني أمتهم، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً (٤). وعلى أثر هذا استولى العرب على

١) اسسها بيزس الميغاري نحو القرن السادس ق.م

٢) «المدائن» كانت عاصمة مملكة الفرتيين (٢٥٠ق م ٣٠-٢٢٦م) فالساسانيين (٢٢٦-٦٥١م) وانما سماها العرب «المدائن» لانها كانت سبع مدائن بين كل مدينة واخرى مسافة قريبة او بعيدة وموقعها اليوم في جنوبي بغداد حيث سلمان باك بقضاء العزيزية.

٣) تاريخ مختصر الدول ص١٦٩ وتاريخ الامم والملوك ٤:١٢ وتاريخ الكامل ٢ : ١٤٧-١٥٠ وتاريخ كلدو واثور ٢ : ٢٥٢ وتاريخ نصارى العراق ص٥٥-٥٦

٤) الطبري ٤ : ١٨٦

الحصنين الشهيرين : الموصل ونينوى (١) .

ظلت الموصل تحت حكم الخلفاء الراشدين ٦٣٢-٦٦١ م حتى مبايعة معاوية بالخلافة ، فساءت حالة هذه البلاد على عهد الامويين ٦٦١-٧٥٠ م ، لظلم ولاتهم وعتوهم ، فكرهتهم النفوس ومالت الى مبايعة بني العباس ٧٥٠-١٢٥٨ م (٢) .

أحب الخلفاء العباسيون العشرة الاولون ٧٥٠-٨٦١م العلم فاشتغلوا به وعقدوا مجالس ادبية للجدل والمباحث العلمية ، واستقدموا اليهم العلماء والادباء من البلدان المختلفة ، وكان اكثرهم من النصارى السريان ، واستعانوا بهم بنقل كتب الحكمة والعلوم الاخرى من اللغات الاجنبية الى العربية وغمروا هؤلاء العلماء والشعراء بالعطايا والجوائز المالية ، وقلدوهم مناصب رفيعة حتى الوزارة ، فتفجرت ينابيع المعارف على يدهم ، وسالت الصحف باقلام مترجميهم ومصنفيهم وأطبائهم في طول البلاد وعرضها ، وأغنوا العالم بنفائس الاسفار التي استخرجوها الى العربية عن اللغات السريانية واليونانية والفارسية فكثر في بغداد باعة الكتب وتعددت مجالس الادب، وكان الأمن مخيما على البلاد والرخاء واسعاً شاملا . فانكب الناس على المطالعة والبحث والتنقيب ، فبلغت دولة العلم ايام عز الخلافة العباسية شأواً بعيداً قلما ذكر الكتاب مثله في العصور الخوالي ولقب هذا العصر بالعصر الذهبي (٣) .

وكانت الديورة ، في هذه الحركة المباركة هي محور الدائرة العلمية واليها يرجع الفضل الاكبر والحظ الاوفر في نقل علوم اليونان الى اللغة العربية ، وقد تعهد الخلفاء بعض الاديار وبروا باهلها (٤) .

---

١) ابن الاثير ٢: ٢٢١ وتاريخ نصارى العراق ١٨-١٩ وتاريخ الموصل ١ : ٥٧-٦١

٢) تاريخ الموصل ٦١-٦٨

٣) تاريخ الامة العربية قديما وحديثا الجزء الثاني مطبعة الارض المقدسة ص٣٨-٤٠ و ٥٠-٥٣ وعصر السريان الذهبي صفحة ١٨-٢١ وتاريخ نصارى العراق ٦٦-٧١

٤) طالع عصر السريان الذهبي صفحة ٢١ والديارات النصرانية في الاسلام ٣٠ و ٤٤-٤٥ واللؤلؤ المنثور ٥١٠ وكتاب العفة ليشوع دناح واصدق ما كان ١: ٢٦٩-٢٧٢ وتاريخ نصارى العراق ٨٨ ومعجم البلدان ٢: ٦٣٩-٧١٠ ومراصد الاطلاع ١ : ٤٢٦ - ٤٤٠ والنصرانية في فارس للابور ٣٠٢ - ٣٢٤ ودائرة المعارف للبستاني مجلد ٨ : ١٩٠ - ٢١٠

لم تكن الموصل وضواحيها أقل حظاً من سواها ، فقد أحرزت في هذه النهضة العلمية نصيبها الوافر لان النصرانية كانت منتشرة في ربوعها انتشاراً عظيماً حافلة بأديارها العديدة المكتظة بالوف من الرهبان المنقطعين الى الله . وقد كثر بينهم من تفرغ للتهذيب والتعليم ونسخ الكتب والترجمة والتأليف . فاقتنوا مكاتب واسعة تضم بين جدرانها المصاحف النفيسة والاسفار الثمينة النادرة المثال (١).

الفصل الثاني

دير مار بهنام في هذه الحقبة

يبدو لنا على ضوء هذه البينات ان دير مار بهنام لم يتخلف في هذا العصر الزاهر عن مباراة سائر الديورة في نهضتها العلمية ، لقربه من منهلها ، بل كان له في تلك الحلبة المجيدة القسط الوافر والقدح المعلى ، وقد انضوى تحت سقفه جم غفير من الرهبان تقاطروا اليه من هذه البقعة وكانت عامرة بقراها الكثيرة المسيحية ، فانقطع فريق منهم الى النسك والعبادة ، وفريق الى مزاولة الحراثة والزراعة ، وتفرغ قوم للاستنساخ والترجمة ، فانشأوا فيه مكتبة تحوي أقدم الصحف وأثمن المخطوطات ، اغتالتها يد الضياع وعبثت بها كوارث الحروب والغزوات الماحقة(٢) .

كان الناس يقصدون هذا الدير للاستشفاء حاملين اليه الهدايا ، راجين شفاعة ولي الله مار بهنام ، وقد اجمعوا على اختلاف اعتقادهم وتضارب آرائهم ، على تعظيم هذا القديس واجلاله لكثرة ما كان يأتيه الله جل ثناؤه على يد وليه من الكرامات .

فنمت مرافقه الحيوية وكثر عدد رهبانه واتسع عمرانه وامتدت أبنيته ، حتى أصبح معبد الضريح الذي هو اليوم خارج دائرة الدير ، ضمن انشاءات جديدة .

١) عصر السريان الذهبي ٩٢ - ١٠٢ ؛ وتاريخ نصارى العراق ٢٢ - ٢٦ و ٤٧-٤٧ و ٨٦-٩٠ والآثار الشرقية مجلد ٣ : ١٧ - ٢١ وتاريخ كلدو واثور ٢ : ٤٣/٤١ وخزائن الكتب القديمة في العراق منذ اقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ هـ لكوركيس عواد صفحة ٧٨/٧٩

٢) عصر السريان الذهبي صفحة ١٠٢

والدليل على ذلك وجود آثار أبنية مندرسة تبعد مسافة نحو خمسين متراً ، شرقي هذا المعبد . واستمر هذا الدير في نمو وازدهـار حتى بعد انحطاط الدولة العباسية ٨٦١ ـ ١٢٥٨م لاستيلاء الحمدانيين الحكم على هذه الديار .

الفصل الثالث

فذلكة تاريخية في أدوار انحطاط الدولة العباسية

ان للموضوع هذا علاقة ببحثنا ، لاننـا منه نستوحي اخبار الدير واحـواله العمرانية ، لذلك نقدم للقارىء إلمامة مختصرة عن مراحل انحطاط الدولة العباسية .

لهذا العصر ثلاثة أدوار او مراحل سياسية :

١ـ الدور العسكري : الحكم بيد القواد الاتراك من سنة ٨٤٧ـ٩٤٥ م

استخدم الخلفاء العباسيون المماليك الاتراك في الجندية وأسندوا اليهم مناصب عالية في الدولة . فعظم شأنهم واستفحل أمرهم، فاستبدوا بشؤون الدولة وقتلوا المتوكل ٨٤٧ـ٨٦١ م ، وبذلك دخلت الدولة في عصر الانحطاط ، واصبح الخلفاء آلة في أيديهم وكان همهم الوحيد اختزان الاموال . فعم الظلم ، وسادت الفوضى ، وزال الامـان ، وكانت نتيجة ما ذكرناه ان ذهبت هيبة الخلفاء ، وسهل على الحكام المقيمين بأطراف المملكة ان يستقلوا في أعمالهم السياسية والادارية . فتجزأت المملكة العربية الى عدة امارات ، ودويلات اقليمية مستقلة في الشرق والغرب . فكان بعضها فارسياً ، وبعضها تركياً او كرديا او عربياً ، ولم يبق للخلفاء إلا السلطة الدينية ، واقتصرت سلطتهم المدنية على بغداد وضواحيها يديرها كتابهم غير العرب .

اما الموصل فتولى حكمها الحمدانيون (١) واستقلوا فيها وبلغت هذه البلاد ، في أيامهم ، الى ذروة العز والسؤدد بامنها الشامل ونجاحها الكامل بعلمائها وشعرائها ودامت

---

١) الحمدانيون عرب من بني تغلب كانوا مقيمين في ديار ربيعة (ما بين النهرين) تاريخ الموصل ١ : ١٢١/١١٨

اربعاً وسبعين سنة ٩٠٥-٩٧٩م حتى قضى عليها البويهيون .

٢- الدور الفارسي : الحكم بيد بني بويه ٩٤٥-١٠٥٥م

« البويهيون » (١) فرس دخلوا بغداد سنة ٩٤٥م ، وكان الأتراك قد هربوا منها واستبدوا بالخلفاء ولم يبقوا لهم سوى الاسم الديني سياسة ثم استولوا على الموصل سنة ٩٧٩م وظلت تحت سيطرتهم نحو عشرين عاما كان حكمهم عليها وبالا ومبدأ خراب لعظم شرهم ومظالمهم .

ثم استبد بالموصل بنو عقيل (٢) وكان أمرهم قد استفحل ، بعد فشل دولة بني حمدان . وفي عهدهم أغار الغز (٣) على الموصل ودخلوها عنوة سنة ١٠٤٣م ، وأعملوا فيها السيف وطال مقامهم فيها ، وهم يشنون الغارات على الأطراف وينهبون (٤) فطردهم منها اخيراً قرداش ، أحد ملوك دولة بني عقيل ، ودامت هذه الدولة ، نحو مائة سنة ٩٩٧-١٠٩٥ تقهقرت خلالها هذه البلاد لاضطراب أحوال هذه الدولة ومنازعة رجالها الحكم ، علاوة على ما أحدثه الغز من القتل والنهب والتخريب ، فخمدت روح العلم التي كانت حية في دولة الحمدانيين ثم دخلت تحت نفوذ السلجوقيين (٥) .

٣- الدور السلجوقي : الحكم بيد السلاجقة ١٠٥٥-١٢٥٨م سنة سقوط بغداد على يد هولاكو .

والسلاجقة جماعة من قبائل الغز التركمان ، خرجوا من أواسط تركستان ، سنة ٩٥٦م بقيادة زعيمهم سلجوق . وفي سنة ١٠٥٥م كانوا على أبواب بغداد ودخلوها بقيادة طغرل بك ، فهرب منها القائد التركي الذي كان يحكم باسم البويهيين واستبدوا

---

١) نسبة الى بويه الملقب بابي شجاع الذي كان يسكن بلاد الديلم في الجنوب الغربي من بحر الخزر ، ولهذا لقبت دولتهم بالديلمية ايضا (تاريخ الموصل ١ :١٠٩/١١١

٢) بنو عقيل ويقال لهم ايضا بنو المقلد او ال المسيب وهم عرب من فخذ عامر بن صعصعة وبنو طي من كهلان (تاريخ الموصل ١ : ١٣١)

٣) الغز شعوب من الاتراك كانوا منتشرين في مفازة بخاري ، فافترقوا حوالي سنة ١٠٢٨م وساروا يعيثون بالبلاد خرابا وبلغ منهم نيف وثلاثون الفا الموصل (تاريخ الموصل ١: ١٣٧/١٤١

٤) ابن الاثير ٩ : ١٤٦

٥) تاريخ الموصل ١ : ١٤٥/١٤٩ و ١٥٣/١٦٥

بالحكم .

ثم مدوا نفوذهم على الموصل سنة ١٠٩٥ م ، في عهد كربوقا ، ودامت أمارتهم فيها اثنتين وثلاثين سنة ١٠٩٥-١١٢٧ م ، كانت ملطخة بالدماء تسودها الاضطرابات الداخلية ، منجرفة بسلسلة حروب غير منقطعة ، فخربت البلاد ونهبت القرى ومات من الاهالي خلق كثير جوعا وقتلا .

الفصل الرابع

دير مار بهنام في هذا العصر

ان انحطاط الدولة العباسية في دوره الاول ٨٤٧-٩٤٥م ، وبدء الدور الثاني ، حتى سنة ٩٧٩م لم يوقف النهضة العلمية في الموصل وضواحيها ، لوقوعها تحت حكم الحمدانيين الزاهر ٩٠٥-٩٧٩م ، وعليه نقدر ان نقول ان دير مار بهنام في هذا الدور واصل سيره الحثيث في مضمار العمران والازدهار والرقي . إلا ان الويلات كانت تصيب هذه الديار عند وقوعها بيد البويهيين ٩٧٩-٩٩٧ م فبني عقيل ٩٩٧-١٠٩٥ م فالسلجوقيين ١٠٩٥-١١٢٧م .

ولهذا نقدر ان نقول ان دير مار بهنام ، في هذه الحقبة ٩٧٩-١١٢٧ م قد عصفت النكبات باهله وأقفر من أصحابه وتقوضت أركانه خاصة مدة اقامة الغز في هذه الديار ، اذ عاثوا فيها نهباً وقتلا وتدميراً .

من الأدلة التي تحمل على هذا الاعتقاد ، وجود أنقاض متراكمة في فناء كنيسة الدير ، هي خليط من حجارة وقراميد وبقايا جص وتراب ، وقد كونت طبقة سميكة يبلغ عمقها ، نحو متر ونصف متر ، يعثر المنقب في أسفلها على أرض مبلطة بالواح رخام وعلى آثار أبنية قديمة مدفونة تحت الردم .

فلا سبيل للافتراض ، ان هذه الأنقاض قد تراكمت تباعا في القرون التالية لهذا العصر ، لأن الوثائق التاريخية الاكيدة تنطق ، ان الدير كان عامراً ومأهولا في هذه

الأحقاب . كما وانه ليس من الصـواب الادعاء جزافا ان سكان الدير قاموا فى القرون المتأخرة ، بهذه الاعمال ودفنوا أرضاً مبلطة .

فلا بد اذن من وجود فترة في التاريخ ، أخنى الدهر في أثنائها على هذا الدير وأحاقت به المحن فتقوضت أركانه وتساقطت أبنيته وتكونت هذه الطبقة من الانقاض ولا نرى حدوث ذلك إلا في ايام ، كثر شرها وعمت بلاياها وساءت أحوالها كعهد بني عقيل المشؤوم والسلاجقة .

ويبدو لنا ان الدير لم يبق وقتاً طويلا مهجوراً ، فانه ما عتم ان دبت فيه الحياة ثانية فتجدد عمرانه ووسعت كنيسته . وقد كان انبعاثه على يد التكريتيين الذين نزحوا الى هذه الربوع ، منذ أواخر القرن العاشر . وقد نما وازدهر خاصة عند استقلال الاتابكة بهذه البلاد .

هذا ملخص ما نستطيع ان نرويه ، في هذه العجالة ، عن تاريخ هـذا الدير ، فى تلك العصور المظلمة ، وهو لا يتعدى فى الحالة الحاضرة حدود الحدس والتخمين .

البـــاب الخامس

أخبار دير مار بهنام في القرون الوسطى

الفصل الاول

دير مار بهنام في عصره التاريخي الزاهي

منذ القرن الثاني عشر وما تلاه ، وردت على ذكر دير مار بهنام ، نصوص كثيرة تنطوي على أخبار زهيدة عن هذا الدير وقعت عفواً او قصداً في سطور وجيزة او كلمات معدودة مبعثرة ، في مواطن شتى من الكتب المخطوطة او المطبوعة ، نجمع شتاتها في هذه الصفحة وهو جل ما حفظه لنا التاريخ في طياته عن هذا الدير ، وما أبقته لنا صروف الدهر من الوثائق الاكيدة ، وهي لا تروي غلة الباحث ولا تسد فراغا ، انما تكشف عن زاوية من ماجريات تاريخ هذا الدير وتنطق بمجده الاثيل الغابر .

أثبت المفريان غريغوريوس ابن العبري في تاريخه الكنسي ، ان راهباً رهاويا اسمه كسرون حل في مدينة مراغة من بلاد الفرس ، بين خلق من اهل الشام جلاهم الفرس ، فزين بيعتنا ، في مراغة ، بالكتب التي حبرها بخطه وهي مصونة في نينوى الى يومنا هذا وكان كاتبا حاذقا ، قضى حياته ، في دير مار بهنام وتوفي في ١٧ كانون الاول سنة ١١٣٩م ودفن في الزاوية امام باب الهيكل الجنوبي (١) .

فلو لم يكن ديرمار بهنام في ذلك العصر ، عامراً بمنشآته ، حافلا برهبانه ، شهيراً بانظمته ، لما انزوى فيه هذا الراهب الفاضل معرضاً عن سواه من الديورة .

وما يزيد هذه الحقيقة دليلا واثباتا ، ان في جوار قدس الأقداس ، في كنيسة

١) حفظ من خطه كتاب مزامير بالقلم السطرنجيلي والغربي بحسب الترجمة البسيطة وفروق النقل السبعيني وقد علق عليه شروحا وانجزه في مدينة مراغة سنة ١١٢٧م وهو مصون في خزانة بطريركية السكلدان بالموصل (اطلب التاريخ الكنسي ٢ : ٣٢٩ واللؤلؤ المنثور ص٢٩ وذخيرة الاذهان١ :٥٦٣ وانباء الزمان ص٣٤)

الدير الحالية ، عن يمين المذبح ، على ارتفاع نحو ثلاثة امتار ، لوحة من حجر ابيض ، حفر عليها بالسطرنجيلية تاريخ تجديد هذا المذبح بمساعي الرهبان يوسف القسيس وابي الفضل وجبرائيل الشماسين والاخ حسن سنة ١٤٧٥ يونانية «١١٦٤م» وهي سنة ٥٥٩ للهجرة . في عهد الآباء المغبوطين البطريرك مار اثناسوس الانطاكي (١) ومار ايونيس الاسكندري(٢) وهي السنة التي توفي فيها مار اغناطيوس مفريان المشرق(٣) .

ثم ورد ذكر هذا الدير في بعض المراجع البلدانية باسم «دير الجب» . قال ياقوت الحموي(١٢٢٨م) : « دير الجب ، في شرقي الموصل ، بينها وبين اربل ، مشهور ، يقصده الناس لأجل الصرع ويبرأ منه بذلك الكثير » . واما القزويني فيقول : « يقصده الناس لدفع الصرع فيبرأ منه كثيراً »(٤) .

وفي خزانة المتحف البريطاني ، مخطوط للقرن الثالث عشر ، ورد في بعض هوامشه ان الراهب يوحنا الباخديدي (القرهقوشي) جاء به من دير مار متى ومار زاكاي ومار بهنام واخته سارة الى برية الصعيد (٥) .

فهذه الوثائق التاريخية أسطع دليل ناطق بعمران الدير ، في هذه القرون ، وهي تمثله لنا آهلا ذا شأن يقصده الناس زرافات ووحدانا مستنجدين بشفاعة مار بهنام القديس الجليل .

---

١) اثناسيوس الثامن هو يشوع بن قطرة الملطي انتخب بطريركا وهو شماس سنة ١١٣٩م وقضى نحبه سنة ١١٦٦م ودفن في دير برصوما .

٢) كانت العادة في العصور الخوالي ان يذكر البطريرك الاسكندري بجانب البطريرك الانطاكي في كلا القطرين السوري والمصري للدلالة على اتفاق السريان والاقباط بالمعتقد واتحادهم قلباً وقالباً .

٣) هو اغناطيوس لعازر رسمه مفريانا البطريرك اثناسيوس المار ذكره سنة ١١٤٣ وسكن اولا في تكريت ثم انتقل الى الموصل وشاد كنيسة كبرى في برطلة حوالي سنة ١١٥٢ وفي عام ١١٦١ سيره حاكم الموصل الى جورجي ملك الكرج لاطلاق الاسرى المسلمين فنجح في مسعاه ، ولما عاد الى الموصل شعر بدنو الاجل ، فرام الذهاب الى ملطية وطنه لكن المنية عاجلته في الطريق سنة ١١٦٤ فدفن في دير الزعفران .

٤) معجم البلدان ٢ : ٦٦١ والقزويني ٢ : ٢٤٧ ومراصد الاطلاع ٤٢٧ ودائرة المعارف المجلد ٨ ص١٩٥

٥) فهرس المتحف البريطاني المجلد ٣ : ١٠٧٩-١٠٨٠ نمرة ٩٣١

وفي وسعنا ان نؤكد، بان هذا الدير أخذ، في الانبعاث والسعة والازدهار بعد الدمار الذى أحاق به، منذ نزوح التكريتيين الى هذه الديار، في أواخر القرن العاشر والقرن الذي بعده، وقد تكامل سعده وبلغ أوج عمرانه في عهد الاتابكة الزاهر (١١٢٧-١٢٥٨م).

الفصل الثانى

دير مار بهنام والتكريتيون الخديديون

تضعضعت أحوال السريان بتكريت، منذ أواخر القرن العاشر، وتكامل تعسهم في القرن التالي، فلجأوا الى الفرار وتفرقوا فى أطراف البلاد ليفوزوا بالنجاة من الغدر والظلم (١).

أقام فريق منهم فى نينوى وكورتها واستوطن قوم باخديدا (قرهقوش) وما جاورها. ولما استقروا في هذه الربوع حن فريق منهم الى النسك والترهب، فى دير مار بهنام، شهيد وطنهم، مؤثرين السكنى فيه على الاقامة في دير مار متى، للموقف العدائي الشاذ الذي كان يقابل به دوما رهبان هذا الدير مفارنة تكريت (٢).

ولما كانت التكريتيون، في ذلك العصر، على جانب عظيم من الثقافة والبسطة والأدب والثروة، وقد بلغوا من النظام الاجتماعي والفن مبلغاً عظيما قلما أدركه سواهم بدليل ما خلفوه من الاثار الناطقة بعبقريتهم الفذة ونبوغهم الناضج، في كل بقعة احتلوها (٣) طفقوا يبذلون أقصى سعيهم، فى سبيل تجميل كنيسة دير مار بهنام،

---

١) انباء الزمان ٣٣ و ٣٧ ومجلة الاثار الشرقية مجلد ٣ سنة ١٩٢٨ ص ٢١

٢) كان شأن مطران دير مار متى عظيما فكان يعتبر عديلا للمفريان غير خاضع له فكان هذا اصل المشاجرات الطويلة التي كانت تنشأ بينهم (انباء الزمان ٣٣ و ٣٥ و ٣٩ وذخيرة الاذهان ١ : ٥٦٣ و ٥٦٥ و ٥٦٨ والاثار الشرقية مجلد ٣ ص ٢٢

٣) كانت تكريت في ذلك العصر من امهات المدن السريانية الثقافية احرزت فيها دولة العلم مكانة سامية بفضل المفارنة الذين اقاموا فيها من سنة ٦٢٨ حتى منسلخ المائة الثانية عشرة.

تجميلا ياخذ بمجامع الألباب . فبالغوا في تنميقها ، بشتى المحاسن ، وعنوا كثيراً بزخرفها واهتموا اكثر بتصاويرها . فما زخارف كنيسة هذا الدير الحالي ورسومها

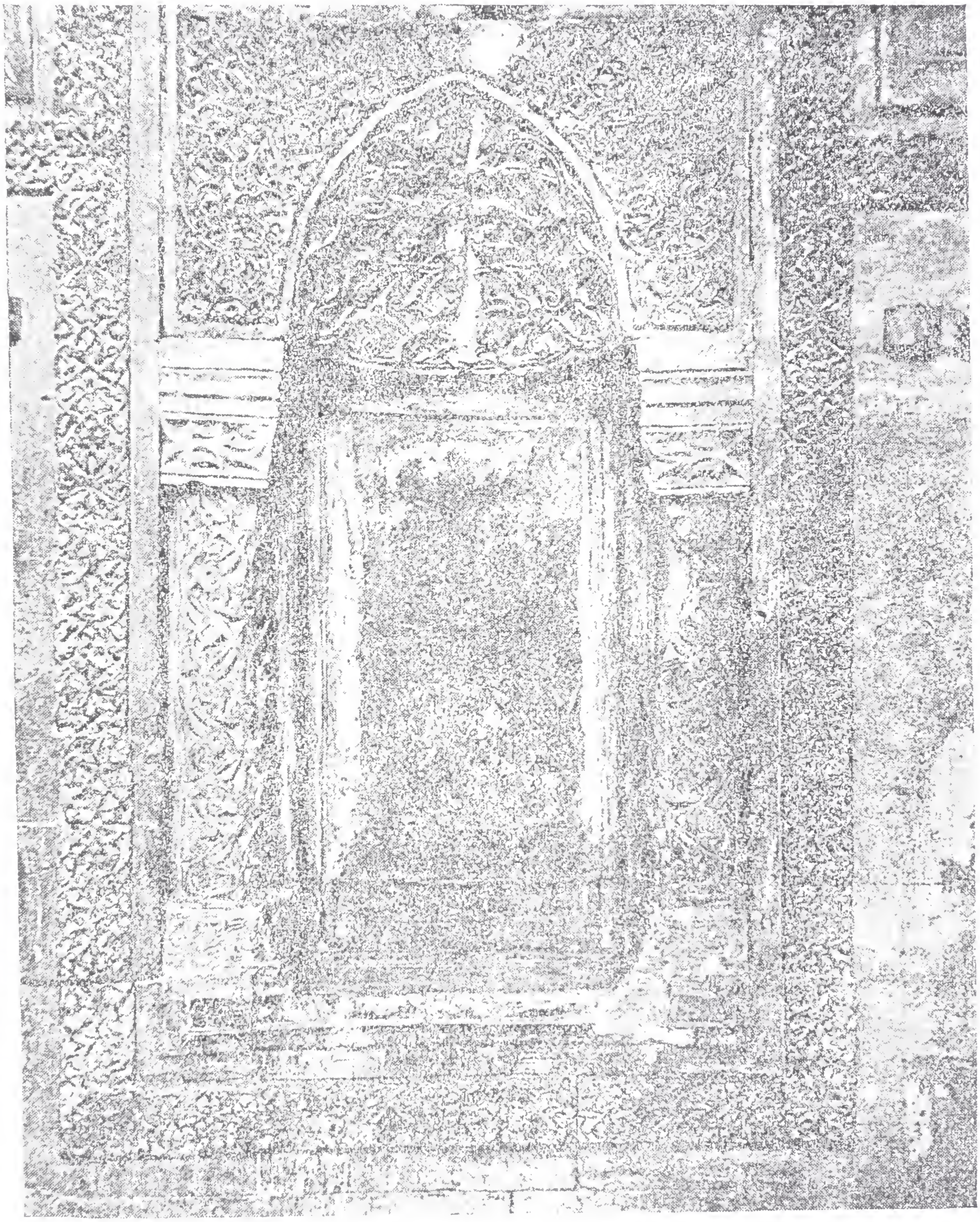

نموذج من زخارف رواق الكنيسة

المستظرفة والكتابات المنتشرة في أرجائها إلا من مآثرهم اللامعة وثمار عقولهم (١).

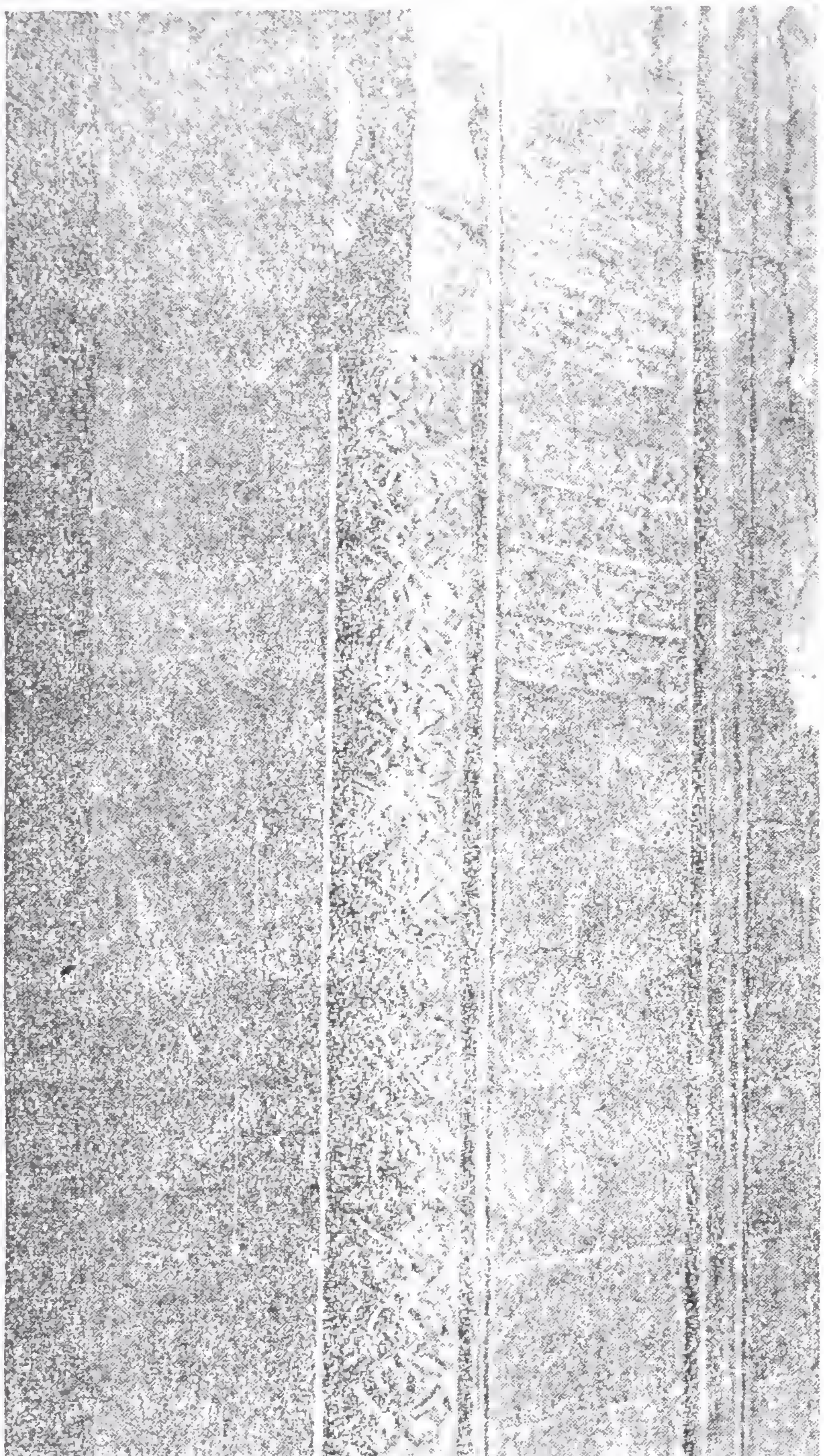

تفاصيل الزخارف فى أحد الأبواب

١) والدليل على ذلك ان اسماء كتابها ومزخرفيها الفنانين والرهبان الساعين فى ذلك عربية بحتة لم يعهد لهذا الانتشار مثيل في جميع نصارى سكان هذه الديار بينما كان هذا معهوداً شائعاً في تكريت وبغداد وضواحيهما من هذه الاسماء : ابو سالم وابو نصر وابو الفضل والاخ حسن وابو الفتح وابو البركات وابو الخير وابو عيسى وابو الحسن ... وما يزيد هذا الاعتقاد دليلا ، وفرة زخرف الجص المنتشرة في ارجاء هذه الكنيسة وقد اقتبس التكريتيون هذه الصناعة من سر من رأى (سامراء) وأتوا بها الى هنا .

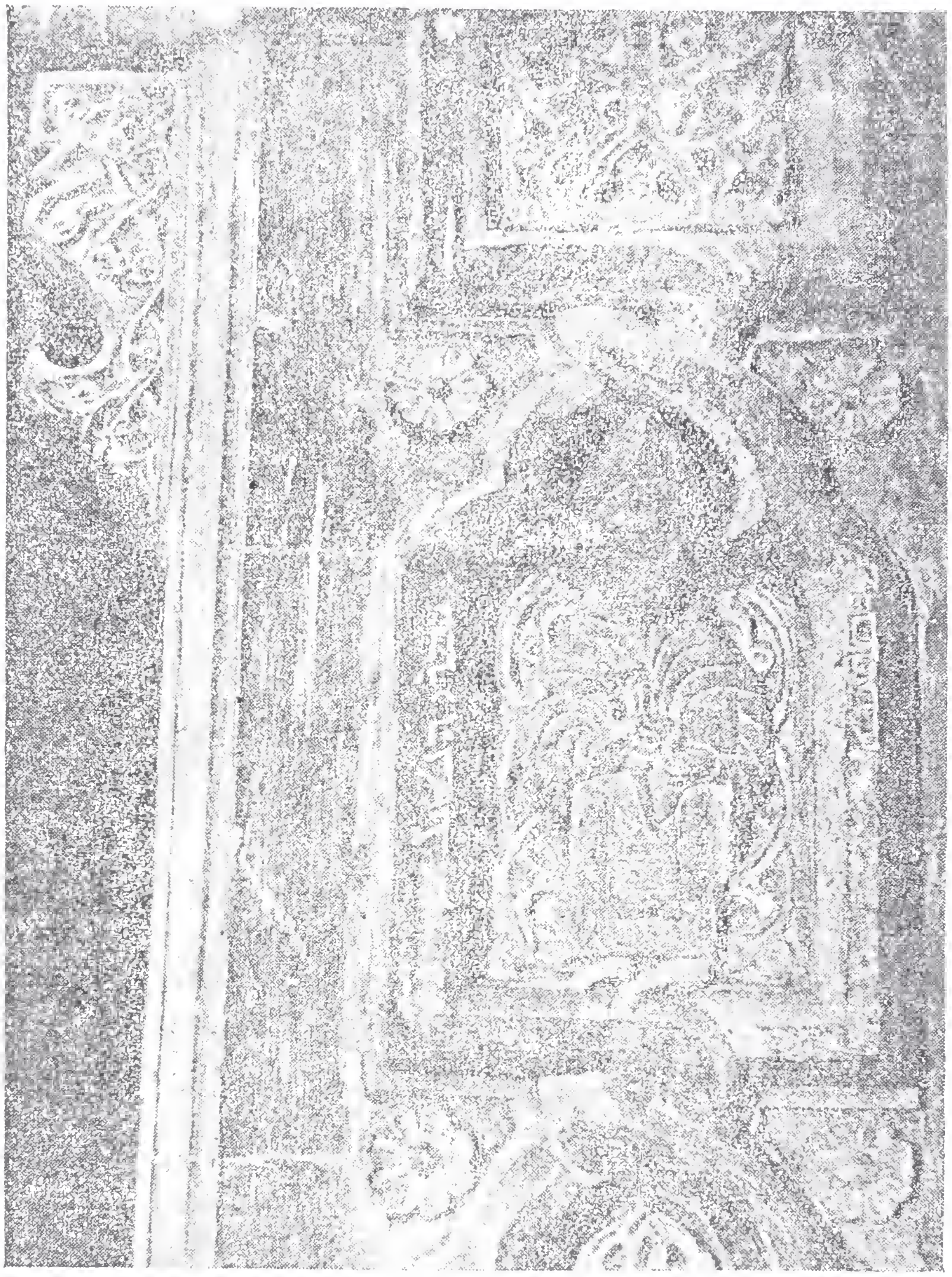

نموذج من صور وزخارف أحد الأبواب الداخلية

فاصبح دير مار بهنام ، في عهدهم ، ديراً مشهوراً ، كما ألمع الى ذلك ياقوت الحموي(١) ، وهذا ما جنح بكسرون الرهاوي الخطاط المشهور ، ان يقضي حياته فيه (٢).

وقد تيسر سكان هذا الدير القيام بهذه الاعمال المجيدة لتولي الاتابكيين (٣)

١) معجم البلدان ٢ : ٦٦١

٢) التاريخ الكنسي ٢ : ٣٢٩ وذخيرة الاذهان ١ : ٥٦٣

٣) كان السلاجقة يقيمون على الولايات قواداً من مماليكهم يسمونهم « الاتابكة » (جمع اتابك

الحكم على هذه البلاد (١١٢٧-١٢٥٨م) وازدهار دولتهم بمشاريع عمرانية كثيرة واسعة فبنوا القصور الفخمة والمساجد والمدارس وشجعوا التجارة وأنعشوا الصناعة واعتنوا بتحسين الزراعة ، فأخصبت الارض واعطت غلالا كثيرة ، وكان الامن مخيما على البلاد والناس راتعين في راحة ورفاهية من العيش لا يعكر احد صفاء أنسهم (١) ، ودامت الحال كذلك حتى قدوم المغول .

الفصل الثالث

دير مار بهنام بعد انهيار الدولة العباسية

فذلكة تاريخية في المغول او التتر

المغول او التتر (٢) ، قبائل من سكان آسيا الوسطى ، جنوبي سيبريا ، استفحل امرهم وسارت جيوشهم الجرارة الى الفتح والتبسط بزعامة جنكيزخان (١٢٠٤-١٢٢٦م) (٣) ، وبمدة وجيزة ، أنشأوا لهم امبراطورية واسعة الأطراف . وكانوا أينما حلوا ينشرون الذعر بين الناس ، ويخربون البلاد التي تطأها ارجلهم ويفتكون باهلها

ومعناه مربي الامير) ولما وهنت سيطرتهم استبد هؤلاء القواد وانشأوا عدة ممالك مستقلة في البلدان المختلفة منها الدولة الزنكية في الموصل وديار بكر نسبة الى عماد الدين زنكي مؤسسها . قام في هذه الدولة تسعة ملوك (١١٢٧-١٢٣٣م) اشتهروا بعمل الخير ونشر العلوم وامتازوا خاصة بالعدل وحسن التدبير . وبموت ناصر الدين آخر ملوكها عام ١٢٣٣ انتقلت السلطة الى بدر الدين لؤلؤ امير من بني اتابك وكان مديراً للمملكة منذ سنة ١١٩٧ فسار بدر الدين على اثار احفاد زنكي في رفع منارة العلم وتشييد معاهد الادب بل زاد عليها . وكان عدد المسيحيين في الموصل نيفا و ٤٣ الفا ولهم ٥٨ كنيسة وتوفي بدر الدين سنة ١٢٥٨م بعد انقراض الدولة العباسية على يد هولاكو .

١) اطلب تاريخ الموصل ١ : ١٦٥-١٨١ و ٢١٠-٢٣٠ والمقدسي ج ١ : ٤٣ ومختصر تاريخ الدول ٣٥٩ وابن جبير ٢١٤-٢١٦ وابن الشحنة ٩ : ١١٣

٢) التتر اسم لاحدى القبائل المغولية ثم تعمم فاصبح مرادفا لاسم المغول حتى صار يطلق على عموم الاقوام التورانية وذلك منذ القرون الوسطى (تاريخ الموصل ١ : ٢٣١ ودائرة المعارف للبستاني مجلد ٦ : ٤٨-٥٩

٣) المكتبة الشرقية للسمعاني جلد ٣ ج ٢ : ١٠٢

فتكا ذريعاً نهبا وقتلا وتدميراً ، حتى ارتعدت فرائص الملوك فرقا من سطوتهم . وبعد موت جنكيزخان نهج أحفاده على وتيرته ، فاتسعت فتوحاتهم وبلغت طلائعهم الى اربيل واجتاحت نينوى سنة ١٢٣٥ م وأقاموا مدة في هذه البقعة الخصبة ، وكانت عامرة بقراها الكثيرة ، فاخربوها وأتلفوا منها خلقا لا يحصى عددهم ثم عادوا عنها (١)

وفي عام ١٢٥٨م كان هولاكو ، حفيد جنكيز خان ، على أبواب بغداد ، وفتحها عنوة واعمل فيها السيف فقتل اكثر سكانها ، ومن جملتهم المستعصم وهو آخر الخلفاء العباسيين ، وأسلمها للنهب والحريق ، مدة سبعة ايام ، وقيل مدة أربعين يوماً (٢).

وقد انتاب الموصل ما انتاب غيرها من البلاد التي سيطر عليها التتر ، فان السيف التتري ، سنة ١٢٦١م استمر يرشف من دماء أهاليها مدة ثمانية ايام ، فباد من سكانها خلق لا يعلم عددهم إلا الله وحده(٣).

وظلت هذه الديار مدة غير يسيرة محطا لرحال الجحافل التترية التي كانت تتوارد عليها تترى قاصدة الديار الشامية والمصرية ، فعمها الظلم وغلت الأسعار ومسها الجوع القتال دفعات متوالية ، وزادها بؤسا وادباراً غارات الاكراد والتركمان. وتطاول ليل الكوارث بقيام دول ودويلات كان دأبها غزو البلاد واختزان الأموال بالعسف والجور (٤).

ثم تكامل تعسها ، في العقد الأخير من المئة الرابعة عشرة ، اذ دهيت بتيمورلنك الطاغية (١٤٠٤م) فانزل فيها صنوف الخراب ، فدك معالمها وقوض أركان معابدها وبدد خزائن كتبها وأزهق أرواح أبنائها (٥).

---

١) ابو الفرج ص٤٤٩

٢) شاكر ج٢ : ٢٣٨ وقرماني ٢ : ١٣٢ وتاريخ الموصل ١ : ٢٣٦-٢٣٩ وتاريخ مختصر الدول ٤٧١-٤٧٥ وتاريخ نصارى العراق ١٠٧-١٠٩

٣) ابو الفرج ٤٩٥-٤٩٦

٤) تاريخ الموصل ١ : ٢٣٩ - ٢٤٨

٥) السمعاني مجلد ٣ ج٢ : ١٣٤ واللؤلؤ المنثور ٤٣١-٤٣٣ ودحلان ٢ : ٥٢ وقرماني ٢ : ٢٠٤ وتاريخ الموصل ١ : ٢٤٩-٢٥٥ وتاريخ العراق بين احتلالين ٢ : ٢٤١ وتاريخ نصارى العراق ١١٥-١١٧

واستمرت هذه البلاد من بعده هدفاً لنبال المظالم وعرضة للآفات ، يتناوب حكمها المتغلبون من التركمانيين والأعجام . فزالت حضارتها واندرس عمرانها وأقفرت مدارسها وأقوت ديارها وأصبحت على شفا جرف هار، وكان من بقي من سكانها يئنون تحت نير العبودية الثقيل ويحتسون كاس المرائر بالصبر الجميل (١) .

ظلت هذه الديار في حالة قلق واضطراب حتى قدوم طهماسب الثالث المعروف بكولي خان نادرشاه ١٧٤٣ م ، وكان قدومه ثالثة الأثافي، اذ انه محقها محقا عن آخرها، فأعمل السيف برقاب المسيحيين وسبى نساءهم وأطفالهم وأحرق كنائسهم وقوض أركان ديورتهم واستحوذ على جميع ممتلكاتهم ، فأصبحت بلاد آشور كلها خرائب يأوي فيها البوم وتنعق على أطلالها الغربان (٢) .

الفصل الرابع

دير مار بهنام والـــــتتر

جاء في كتابة اسطرنجيلية محفورة عموديا على أربع قطع رخام ، في جدار كنيسة هذا الدير الجنوبي ، انه بينما كانت الجحافل التترية تعيث، في طول البلاد وعرضها ، نهباً وقتلا وتخريباً وقد دمروا أدياراً عديدة ، لم ينج دير مار بهنام من غائلتهم . فغزاه سنة ١٢٩٥م نفر منهم وسلبوه أمتعته وكنوزه ولم يبقوا في المذبح ، الا الانجيل وتابوت القديس فان الله أعمى عيونهم .

فقصد الربان يعقوب رئيس الدير ، ملك ملوك التتر بيـدو فآن (٣) حيث كان

---

١) تاريخ الموصل ١ : ٢٦٤-٢٦٥

٢) تاريخ الموصل ١ : ٢٧٣-٢٩٠ واثر قديم فى العراق ٨٢-٨٣ وذخيرة الاذهان ٢ : ٣١٦-٣١٧ وتاريخ نصارى العراق ١٣٦-١٣٧ ومخطوط مكتبة كنيسة الطاهرة بقره‌قوش بقلم حبش بن جمعة سنة ١٧٤٦م .

٣) هو بيدوخان بن طرقاي بن هولاكو ثار على راس جيش من متطوعة التتر على كيخاتوخان (١٢٩١-١٢٩٤م) المسمى ايضا ارناغين لانهماكه في الملاهي وجشعه المفرط فى جمع الاموال والتحم القتال بينهما فقتل كيخاتو واستولى بيدوخان على سرير الملك سنة ١٢٩٤م وقد تمتع المسيحيون في ايامه

مقيما في أربيل واسترجعها . ثم وافى القاآن نفسه ، في عظماء دولته وحرمه ، وزار ضريح القديس بهنام ، خاشعاً ضارعا وأتحفه بهدايا سنية ، مستمداً شفاعته (١) .

وبعد خمس سنوات (عام ١٣٠٠) من هذا الحادث، أعيدت ذخائر الامير الشهيد باحتفال مهيب من كنيسة الدير الى معبد الجب ، وأقيم لها ضريح جميل ، من رخام بديع تعلوه قبة ظريفة دبجت أطرافها باجمل النقوش وأصناف الكتابات .

وقد نقش ، فوق القبة ، كتابة باللغة الايغورية اي التترية بغية استمداد حماية الامير الشهيد للقاآن وأعوانه وحرمه وتأميناً لحياة سكان الدير ، وهاك تعريب الكتابة:

« يحل سلام خضر الياس ولي الله ، ويستقر على القاآن وعظمائه وخواتينه (٢) »

فكان ذلك سبباً قويا وحافزاً شديداً لازدهار الدير ومضيه في العمران ، ووسيلة فعالة لصيانته وامتداد شهرته أدبياً ومادياً وروحياً .

الفصل الخامس

دير مار بهنام ورهبان دير مار متى

إن ما جمل دير مار بهنام وزاده عمراناً وازدهاراً ، هو ما قام به رهبان دير مار متى من جميل المآتي ، وما بذلوه من حثيث المساعي الطيبة في حقلي الدين والآداب ، لأنهم على أثر الغارات المتتابعة التي شنها على ديرهم الاكراد والتتر خلال قرون ثلاثة ، منها عام ١١٧١ و ١٢٦١ و ١٢٧٢ و ١٢٩٥ و ١٣١٩ و ١٣٦١ و ١٣٦٩ (٣) تشتت شمل

بحرية الدين الا انه لم يهنأ بالملك حيث لم تمض عليه سنة من تبوئه العرش حتى ثار عليه والي خراسان قازان بن ارغون فانتزع منه الملك وقتله وذلك سنة ١٢٩٥م (اخبار يابالاها : بيجان ص١٩٩ وتاريخ الدول السرياني ٥٨٨-٥٩٥ وتاريخ الموصل ١ : ٢٤٥)

١) عن كتابة محفورة في جدار كنيسة الدير .

٢) عن كتابة باللغة الايغورية فوق الضريح بالجب ترجمها المستشرق الفرنسي *Halevy* طالع :
Les Inscriptions Semitiques H. Pognon P. 142

٣) الدروس السريانية للبطريرك رحماني ١ : ٣٢ والمشرق ٢٢ : ٤٢٣ و ٥٢٣ والاثار الشرقية مجلد ٣ : ١٨-٢٢ و ١٩٦-١٩٧ وكتابة اثرية في جدار كنيسة دير مار بهنام وذخيرة الاذهان ١ : ٥٧٠-٥٧١ / ٢ : ١١٨-١١٩ وانباء الزمان ٣٦ و ٤٣ وعصر السريان الذهبي ص ٩٦

رهبانه وتفرقوا أيدي سبا . لاذ فريق منهم بدير مار بهنام ، لأنه كان يتمتع آنذاك بطمأنينة وراحة ، متدرجا في التقدم، حاصلا على طيب السمعة، تؤاتيه الظروف وتلائمه أحوال الأمان ، فعملوا على عمرانه وازدهاره بعزيمة لم يعتورها ملال او يوهنها كلال.

وظل دير مار بهنام في نماء واتساع ، بفضل هذه الظروف الملائمة ، وعلى الرغم من الكوارث والنكبات التي حلت بهذه الديار، يقصده الناس من مختلف الاديان والنحل والشعوب ، تغمرهم عواطف الاجلال والعبادة الصادقة . وقد احترمه الغزاة بدورهم ولم يمسوه بضرر او أذى . ولم يطل القرن الخامس عشر على هذا الدير ، حتى بلغ أوج العظمة والسؤدد ، بحيث اصبح مقراً للمفارنة ومركزاً لهم ، بدليل اقامة أربعة منهم بصورة لا تدع مجالا للشك ، وقد دفن ثلاثة منهم فيه بعد موتهم .

الباب السادس

أخبار دير مار بهنام في القرون المتأخرة

الفصل الاول

دير مار بهنام مقر مفرياني

المفريان كلمة سريانية تأويلها المثمر ، وهو اسم لذي رتبة كنسية خاصة بالكنيسة السريانية ، نشأت سنة ٥٥٩ م ، وألغيت سنة ١٨٥٩ م . والمفريان هو دون البطريرك ، وأرقى من الاسقف، أعني يعادل الجاثليق، أي كبير رؤساء الاساقفة . وكانت له الولاية على جميع كراسي الابرشيات السريانية في أنحاء المشرق ، وعددها اثنتا عشرة ابرشية اسقفية . وكان كرسيه في تكريت من سنة ٦٢٨ م حتى منسلخ المئة الثانية عشرة ، ثم نقل الى الموصل ، فدير مار متى ، فدير مار بهنام ، وغيرها من المراكز تبعا لغير الزمان .

وأول مفريان أقام في دير مار بهنام ، هو ديوسقوروس الثاني المعروف ببهنام شتي الأربوي ، تقلد المفريانية عام ١٤١٥ م ، ولم يتهنأ بها زمانا طويلا ، لانه بعدان قام باعباء منصبه حق القيام ، سنتين ، حلت وفاته ، سنة ١٤١٧ في قرهقوش حيث اجري له مأتم حافل (١) ونقل جثمانه الى دير مار بهنام (٢) .

٢- وخلفه سنة ١٤٢٢ م « باسيليوس برصوما » الثاني المعروف بالممدني ، وكان هذا من أفاضل الأحبار الذين تحلوا بالزهد والتعبد. اعتكف في دير مار يعقوب الشهير

١) عن مخطوط قديم في مكتبة كنيسة الطاهرة في قرهقوش يتضمن صلوات اسبوع الالام وله مخطوط ثان في هذه المكتبة يشتمل على فرض الصوم كتبه سنة ١٤١٧

٢) انباء الزمان ص٤٤ وذخيرة الاذهان ٢ : ١٣٣ ولوحة رخام في مدفن الاباء في كنيسة دير مار بهنام .

بقرية صلح بطور عبدين وأحرز من العلوم نصيبا وافراً وجلت فضائله ، فاختاره البطريرك بهنام الحدلي «١٤١٢-١٤٥٥» ورسمه مفريانا للشرق وسماه باسيليوس في ٩ نيسان سنة ١٤٢٢ فنهض بأعباء رتبته بحنكة ودراية ، مدة ثلاث وثلاثين سنة ، ولقي ربه سنة ١٤٥٥ وقبر في دير مار بهنام (١) .

٣- « باسيليوس عزيز » ولد في سعرد وتسقف على جزيرة ابن عمر ونصبه خاله البطريرك اغناطيوس خلف « ١٤٥٥-١٤٨٤م » مفريانا سنة ١٤٧١ ، فساس الأبرشية ست عشرة سنة ، وامتاز هذا المفريان بدماثة الخلق ولين الجانب والخبرة على صيانة القوانين البيعية ، وأكب على الدروس الفلسفية والفلكية والطبية ، فأتقنها ونبغ فيها . قضى نحبه في ١٠ ايلول ١٤٨٧ في كنيسة الطاهرة بقرهقوش (٢) ، ودفن بجانب المفريان برصوما سلفه في دير مار بهنام ، وبكاه الجميع ولا سيما الرهبان ، لانه كان يحبهم ويعتني بامورهم الروحية والزمنية (٣) .

٤- « باسيليوس ابرهيم الثالث » : بعد ارتقاء المفريان نوح الباقوفي (٤) الى السدة البطريركية لبث المشرق نحو سنتين بدون راع . فاختار نوح المذكور أخوين أسقفين ، من قلعة المرأة ، وهما ابرهيم وحبيب وأنفذهما الى المشرق ، فقاما بأعباء الخدم البيعية ، مدة سنتين في بيعة مار بهنام ، أحسن قيام ثم وقع اختيار الشعب على ابرهيم لصلاحه وآدابه وغيرته . فرقاه سلفه البطريرك نوح الى المفريانية عام ١٤٩٦م وسكن في دير مار بهنام ، وساس رعيته بخبرة وخدمها خدمة نصوح . وهو آخر مفريان ذكره مذيل تاريخ ابن العبري البيعي ، فانقطعت أخبار خلفائه وحلت وفاته سنة ١٩٠٨م (٥) .

---

١) انباء الزمان ٤٤ وذخيرة الاذهان ٢ : ١٣٣-١٣٤ ومذيل تاريخ ابن العبرى البيعي ٥٤١- ٥٤٣ والسمعاني ٢ : ٤٦٢

٢) عن لوحة رخام في مدفن الاباء بهذه الكنيسة .

٣) انباء الزمان ٤٤-٤٥ وذخيرة الاذهان ٢ : ١٣٤-١٣٥ ومذيل تاريخ ابن العبرى ٥٤٣ - ٥٤٥

٤) نسبة الى « باقوفا » قرية في لبنان .

٥) ذخيرة الاذهان ٢ : ١٣٦ و ٢١٧ وانباء الزمان ٤٦ ومذيل تاريخ ابن العبرى الكنسي ص١٣٦ ومخطوط في مكتبة كنيسة الطاهرة بقرهقوش .

وربما أقام المفارنة في دير مار بهنام ، حتى أواخر المئة السادسة عشرة ، او صدر المئة التالية ، وان كانوا لم يستقروا فيه دوما ، بدليل ان المطران الذي كان يقيم في الدير حتى هذا العهد ، كان يحمل لقب « نائب كرسي دير مار بهنام » والى جانبه ، رئيس مستقل يقوم بادارة شؤون الدير .

جاء في مخطوط ، في خزانة كتب كنيسة الطاهرة في قرهقوش ، ما ملخصه مترجماً عن السريانية : « كتبه ايونيس يوحنا ١٥٧٦-١٦٢٥ « نائب كرسي دير مار بهنام » في الدير المذكور سنة ١٥٩٦ بطلب من رئيس الدير الربان باكوس الحديدي ، وهذا المخطوط أهداه ناسخه الى الدير (١) .

الفصل الثاني

دير مار بهنام كرسي أسقفي

في أواسط المئة السابعة عشرة ، جعل دير مار بهنام مقاما اسقفيا ، تسمى أحباره « بمطران دير مار بهنام وبيت خديدا » (قرهقوش) . ارتقى هذا الكرسي عدة أساقفة بذلوا جميعا الهمة الشماء والجهود الحثيثة في سبيل ازدهار هذا الدير وعمرانه وخلفوا آثاراً جليلة كتابية وعمرانية ، في الدير وفي قره قوش التى كانت لائذة في سياستها البيعية بهذا الكرسي ، وسنأتي على ذكر هؤلاء الاحبار في سياق كلامنا .

الفصل الثالث

الاحبار والرؤساء الذين تولوا ادارة الدير او نشأوا فيه في هذه الحقبة

كانت هذه الديار في غضون هذه السنين عرضة لحروب سجال متتابعة بين الاعجام والعثمانيين الذين كانوا يتنازعونها فيما بينهم . وعلى رغم هذه الاضطرابات والانقلابات

---

١) عن مخطوط في مكتبة قرهقوش رقم ٥٣ ورسالة غبطة البطريرك افرام برصوم عدد ٧٢٠ بتاريخ ٢٦ تشرين الاول سنة ١٩٤٩

فان دير مار بهنام ظل محافظا على كيانه ماضيا في مدارج الرقي والعمران والازدهار ، منجباً عدداً من الأعلام أكبوا منذ حداثتهم على اقتباس المعارف ، بين جدرانه ، فكانوا من النابغين بين أقرانهم حتى استحقوا ان يتدرجوا في المناصب الكهنوتية ويبلغوا على أعلى ذروتها. تسقف بعضهم على هذا الدير والآخرون تسنموا زمام أبرشيات اخرى وعرفوا بسمة العلم وسداد الرأي وامتازوا بغيرتهم الرسولية ، فمن مشاهير هؤلاء الاحبار والرؤساء توصلنا الى معرفة الاعلام الآتين :

١- المطران يوحنا عبدالمسيح الباخديدي :

هو المطران يوحنا بن عبد المسيح الباخديدي « نائب كرسي دير مار بهنام » ١٥٧٦-١٦٢٥ . كان حميد الشمائل دمث الأخلاق طيب المعشر راسخاً بالفضيلة . ومن آثاره الكتابية الباقية ، خمسة مصاحف تشتمل على صلوات فرضية خاصة بالكنيسة السريانية محفوظة في خزانة كتب كنيسة الطاهرة في قرەقوش . وله مخطوط سادس ، في المكتبة الواتيكانية ، نسخة عام ١٥٧٨ (١) ، وقضى نحبه في هذا الدير (٢) .

٢- الربان باكوس الخديدي :

في عهد المطران يوحنا نائب كرسي دير مار بهنام السابق الذكر كان رئيس هذا الدير الربان باكوس بن مرقس الخديدي ١٥٧٢-١٥٩٧ كما أسلفنا وكان عالي الهمة ، فسعى بكتابة عدة مجلدات وقفنا على خمسة منها تتضمن فروضاً بحسب الطقس السرياني وبذل الجهود لتجديد كنيسة مار زينا في قرەقوش . جاء في مخطوط قديم سرياني ، في مكتبة دير مار متى ، ما تعريبه : « كتبه القس يعقوب بن ايليا بن هرمز من القرية المباركة خوديدا ببلد الموصل في عهد البطريرك اغناطيوس داود شاه ١٥٧٦-١٥٩١ والمفريان باسيليوس فيلاطس (٣) سنة ١٩٠٠ يونانية ١٥٨٩ م ، في دير الشيخ

١) المكتبة الشرقية للسمعاني المجلد الاول عدد ٨ ص٥٨٦

٢) عن لوحة رخام في مدفن الاباء .

٣) « باسيليوس بيلاطس » ولد في المنصورية قرية مجاورة لماردين وقرأ العلوم في دير الزعفران ونصبه سلفه داود شاه مفريانا سنة ١٥٧٦ وساس كرسي المشرق خمس عشرة سنة ثم رقي الى المقام البطريركي وتوفي سنة ١٥٩٧م

متى بجبل الفاف ، وأهداه الى كنيسة مار زينا التي بنيت بهمة المفريان المذكور ورئيس دير مار بهنام الشهيد الراهب باكوس الخديدي ، بمساعدة أهالي القرية وصرفوا عليها مبالغ عظيمة .

٣ـ المفريان يلدا :

الربان يلدا الباخديدي . لهذا الراهب فضل جزيل على دير مار بهنام لما بذله من العناية والهمة والغيرة في سبيل ترميمه وعمرانه سنة ١٦٦٠ (١)، ثم ارتقى الى الكرامة المفريانية سنة ١٦٧٨ ، ورحل الى مليبار الهند حيث قضى نحبه بعد اعمال حميدة سنة ١٦٨٥ م (٢) .

٤ـ المطران هداية الله شمو :

المطران باسيليوس هداية الله شمو الباخديدي الشاعر البليغ بالسريانية . رسم شماسا وقسا ، في بخديدا قريته ، ولما ترمل عام ١٦٦١ ترهب في دير مار بهنام وتنقل في بعض الاديار ، منها دير القطرة (٣) المجاور لدير الزعفران وصحب باسيليوس يلدا السابق الذكر الى المليبار ، فرسمه اسقفا ، حوالي عام ١٦٨٥ ، فقام بالامر بعده خير قيام وعاد الى ربه سنة ١٦٩٣ (٤) .

وقد خلف مخطوطين هما في مكتبة الطاهرة بقره قوش ينطويان على صلوات استغفارية بليغة تتلى ، خلال الصلوات الفرضية ، ومخطوطا ثانيا في مكتبة دير مار بهنام الحالية ينطوي على فرض على مدار السنة ، حسب الترتيب التكريتي ، كتبه سنة ١٦٧٣م .

٥ـ الربان شمعون الباخديدي :

وفي مكتبة المطرانية السريانية بالموصل مجلد ضخم يتضمن الأسفار المقدسة

---

١) عن كتابة منقوشة على رخامة في رواق كنيسة الدير .

٢) فهرس مخطوطات مكتبة كمبردج عدد ٣٣٨٣ وانباء الزمان ص٥

٣) دير القطرة او الناطف دير قديم منقور في الصخر هيكله في صدر جبل مطل على دير الزعفران حوى رهطا من النساك وتواترت عندنا اخباره منذ القرن الرابع عشر وخلا من اهله حوالي سنة ١٩٢٧م (اللؤلؤ المنثور ص٥١٣)

٤) اللؤلؤ المنثور ٤٦١-٤٦٢ ومخطوطات مكتبة الطاهرة بقرةقوش .

للعهدين القديم والجديد كتبه المفريان بهنام الباني ، في صومعة مار بهنام المجاورة لدير الزعفران ، يوم كان راهباً حبيساً فيها ، سنة ١٦٥٢ ، ثم اشتراه جمهور من سكان قرهقوش وأوقفوه على دير مار بهنام وقفا مؤبداً وجاء فيه انه اغتلس من الدير وأعاده اليه الربان شمعون رئيس الدير والراهب عيسى سنة ١٦٧٢م .

٦- المطران ايونيس كارس :

المطران ايونيس كارس (١) بن بهنام الحديدي (١٧٢٢-١٧٤٧) نشأ من بيت عريق في قرهقوش من قبيلة يغمور ، وترهب في دير مار بهنام ، وارتقى الى الرتبة الاسقفية بوضع يد البطريرك اسحق سنة ١٧٢٢ (٢) وعلا صيته لما تحلى به من مكارم الاخلاق وما ازدان به من فهم دقيق ونبل ومرونة وعزيمة . وصرف الأمور خمسا وعشرين سنة بهمة عالية وعقل راجح وصبر جميل ، فاكتسب محبة الجميع وعاش جليل القدر ، لا يرمضه ما كان يقاسيه الشعب من عوادي الزمان .

ان حياة هذا الحبر الجليل حافلة بجليل الاعمال، ومليئة بآثار طيبة عمرانية خلفها في كلا الدير وقرهقوش ، لا تزال قائمة تنطق بعبقريته الفذة وغيرته الرسولية .

فقد آزر المفريان شمعون الطورعبديني في رسامة شكر الله الثاني بطريركا انطاكياً سنة ١٧٢٣ (٣) ونسخ واستنسخ كتباً شتى هي محفوظة في مكتبة كنيسة الطاهرة بقرهقوش وفي غيرها من المكتبات .

وكان الدير في قرهقوش معصرة واسعة مبنية بالطين ، فجدد عمارتها عام ١٧٣٧م بالجص (٤) ثم حفر لسكان هذه القرية بئراً واسعة على نفقة الدير سنة ١٧٣٩م وأدرج تاريخها في لوحة رخام أثبتها في جدار كنيسة مار كوركيس في قرهقوش ، هذا نصها

---

١) « كارس » اسم قديس في الكنيسة السريانية يقع تذكاره في ٤ حزيران في لائحة القديسين حسب ترتيب لائحة يعقوب الرهاوي (راجع مكتبة برلين مخطوط رقم٢٢٣ ص٧٠١-٧٠٤والمكتبة الفاتيكانية مجلد ٢ : ٢٤٠

٢) عن مخطوط في مكتبة قرهقوش يتضمن رتبة القداس ورسامة الشمامسة.

٣) عناية الرحمن ص١٧٠

٤) عن مخطوط في مكتبة كنيسة الطاهرة بقرهقوش.

معربا عن السريانية :

« باسم الله الحي المثلث والموحد . حفرنا بئر الماء هذه على اسم مار بهنام البهي في سنة ٢٠٥٠ بالحساب اليوناني (١٧٣٩ م) فانبثقت مياه عذبة بصلاة مار بهنام الطاهر . ابتدأنا بهذا العمل بعون الله الحي المساعد والمعضد وحفرنا هذه البئر بعجيبة يسوعية . فصلوا على الأثيم كارس الراهب بالاسم، لكني الخاطيء ايونيس أحقر الاساقفة كارس الحديدي الذي هو غير أهل لهذه الرتبة ، القابض على عصا رعاية قرية الحديديين ودير مار بهنام اسمى المختارين الآثوري ، لانه هو دفع النفقات وكل الاشياء اللازمة من حديد وحجارة كبيرة ، مقطوعة ومنحوتة ومصقولة ، والاجر ، كما قد دفع ايضا اجرة الفعلة والبنائين والحفارين . الرب الاله يبارك هذه القرية وساكنيها ولا يسمح بدخول الشيطان اليها ليلقي فيها الشقاق. فلتتبارك هذه القرية ، بصلاة الطوباوية مريم ولتنج من الشرور بقوة كنائسها القسع . وليكن لها مار بهنام وسارة أخته وأمه شيرين ورفاقه الاربعون سوراً رفيعاً ، لئلا يدخلها الشيطان . فرئيس الدير وكل أخ يعتني بهذه البئر يمنحه الرب الثواب ، في اليوم الاخير ، يوم الدينونة . لا يفرح السفان بسفينته التي أخرجها الى الميناء مثلما فرحت أنا بوضعي الحجر الاخير لهذه البئر ، سنة ٢٠٥٠ يونانية ١٧٣٩م » .

ثم ان هذا الحبر الهمام جدد بناء ثلاث كنائس ، في هذه القرية ورمم رابعة سنة ١٧٤٤ م(١) كان قد دمرها طهماسب نادرشاه ، أثناء غارته قبل عام .

ولم يتقاعس هذا الحبر الجليل ، في بذل الجهود العالية لتعزيز الدير والاهتمام بتوفير أرزاقه ، فكانت أحوال الدير في عهده السعيد محفوفة بالخير والبركة والنجاح، ومضى لسبيله رشيداً في مساعيه خالداً ذكره في ٢٠ نيسان سنة ٢٠٥٨ يونانية (١٧٤٧م) ودفن في كنيسة الدير (٢) .

---

١) عن مخطوطات في مكتبة كنيسة الطاهرة بقره قوش وكتابة منقورة على ابواب كنيسة الشهيدين سرجيس وباكوس.

٢) عن لوحة رخام في مدفن الاباء في كنيسة الدير .

٧- الربان كوركيس بن جمال الدين :

في سنة ١٧١٩م كان رئيساً على هذا الدير القس كوركيس بن جمال الدين . ورد في مخطوط سرياني ، في مكتبة كنيسة مار كوركيس بقرةقوش يحتوي على صلوات الصوم الفرضية ما تعريبه عن السريانية : « كتب في دير مار بهنام ، تاج الشهداء واخته سارة ورفاقه الاربعين شهيداً ، في سنة ٢٠٣٠ يونانية ١٧١٩م بقلم يلدا بن اسحق من قبيلة جهنشا ابن اخت الاسقف هداية الله شمو ، مع الاخوة الساكنين معه ورئيسنا كان القس كوركيس بن جمال الدين » .

٨- المطران ايونيس يوحنا :

ان المطران ايونيس كارس توفي في ٢٠ نيسان سنة ١٧٤٧م فخلفه مار ايونيس يوحنا ١٧٤٨-١٧٥٢م. جاء في انجيل مخطوط في مكتبة قرةقوش ماترجمته : « استنسخه الشماس جمعة في ٢٠ تشرين الثاني سنة ١٧٤٨م في عهد مار ايونيس يوحنا مطران دير مار بهنام وبيت خديدا » . وفي هذه المكتبة ، مخطوط آخر يتضمن نوافير او هو كتاب القداس ، كتبه الشماس بولس بن عبدالعزيز من آل يعقوب الصباغ الخديدي ، في ١٩ تموز سنة ١٧٥٠م في عهد البطريرك جرجس ومار ايونيس يوحنا » .

وللشماس بولس المذكور ، مخطوط ثان ، يحتوي على زبور داود ، جاء في ورقة منثورة وجدت في مكتبة دير مار بهنام الخطية ، انه نسخه لابنه متى سنة ٢٠٦٣ يونانية ١٧٥٢م في ايام الآباء المغبوطين مار اغناطيوس كوركيس ومار باسيليوس عازر ومار ايونيس يوحنا الذي أوعز اليه البطريرك ليذهب الى ملبار الهند وقد سافر والرب يعلم ما حدث له .

٩- المطران ايونيس بهنام :

تولى رئاسة دير مار بهنام بعد المطران يوحنا الآنف الذكر الربان بهنو بن القس عيسى الموصلي ، ومن آثاره الخطية مجلد في مكتبة الدير الحالية موسوم « في الامانة الصحيحة وتراتيب البيعة العقلية » كتبه سنة ١٧٥٤ م .

ولهذا الراهب مخطوط في مدينة برلين جاء فيه « كتبه الراهب القسيس بهنام

ابن القس عيسى الموصلي ، من محلة القلعة ، من جماعة مريم العذراء ، في ايام البطريرك كوركيس والمفريان عازر في دير مار متى ، وكان معه في الدير من الاخوة ، ربان عبدالله وربان أفرام والمرحوم قس ارميا وباقي خدام الدير ، سنة ٢٠٥٨ يونانية ١٧٤٧م»(١).

وورد في مخطوط بمكتبة كنيسة مار كوركيس في قرهقوش يشتمل على جناز الكهنة والشمامسة ما تعريبه عن السريانية : « انه كتب بمساعي القس بهنو ، رئيس دير مار بهنام سنة ١٧٥٩م

ثم ارتقى الى كرسي مطرانية دير مار بهنام كما يشير الى ذلك مخطوط كتب في عهده محفوظ في مكتبة كنيسة الطاهرة بقرهقوش يتضمن فرض الصوم الكبير بقلم القس حبش بن جمعة ، نسخه سنة ٢٠٧٥ لليونان (١٧٦٤م) وتوفي هذا الحبر في الدير سنة ١٧٧٧م (٢) .

١٠- الربان هندي زورا :

كان من جملة رهبان دير مار بهنام ، في تلك الغضون، الربان هندي بن اسحق زورا الموصلي الذى فيه لبس الاسكيم الرهباني ثم صار كاهنا واسندت اليه اخيراً رئاسة الدير(٣) خلفا للمطران بهنام المذكور ، ولما لم يجد الى الاقامة فيه سبيلا لاختلال الأمن في تلك الآونة وتعرضه لاخطار جمة وامتناع القرهقوشيين عن مساندته ومساعفته ادبيا ومعنويا لانضمامهم الى الكثلكة غادره الى دير الزعفران (٤) في نحو سنة ١٧٨٢ فتشتت شمل رهبانه وأقفر وسكنته من ثم الدواسن (٥) .

---

١) مكتبة برلين رقم ٢٦١ ص٧٩٣

٢) عن كتابة منقوشة في لوحة رخام في مدفن الاباء بكنيسة الدير .

٣) السلاسل التاريخية ص٢٧٨

٤) دير الزعفران او دير مار حنانيا ، دير كبير قديم من اشهر معاهد السريان التاريخية يقع شرقي ماردين مسير ساعة عنها يرتقي عهد بنائه الى سلخ العقد الرابع من المئة الثامنة وقد اتخذه بطاركة السريان منذ المئة الثانية عشرة كرسياً بطريركياً وظل كذلك حتى نهاية الحرب الكبرى الاولى .

٥) « الدواسن » قبيلة يزيدية ، و « جبل داسن في شمالي الموصل من جانب دجلة الشرقي » — (ياقوت) .

الباب السابع

دير مار بهنام في دور الخمول

الفصل الاول

دير مار بهنام بيد اليزيدية

اليزيدية شيعة يقطنون القرى المجاورة للموصل ويكثرون في جبال الشيخ عدي(١) في شيخان ، ثم في قرى سنجار ، ومنهم قوم بجوار حلب ووان وارضروم . قال الاب مارتال : ومنهم - اي اليزيدية - في جبال قوقاس وعلى سواحل بحر قزوين وفي جبال الطاي الى كمجتكا ومنهم في بلاد الصين ولكن باسم آخر .

لا يعلم عن اصل اليزيديين شيء ، ويقول البارون الدكتور (مكس فون أوبنهيم) الالماني : « انهم اكراد سكنوا جبل سنجار منذ اكثر من قرنين » وقد اختلف المؤرخون على حقيقة تسميتهم . يقول المستر لوك : « ان هذه القبائل كانت تدعى بالأصل « دسناي » ، أما اليزيدية فهم اسم أطلقه عليهم جيرانهم » ويقول البعض ان اليزيدية مأخوذة من يزدان الفارسية القديمة ومعناها « الكائن الأعلى » وذهب فريق الى انهم ينسبون الى يزيد بن معاوية ثاني خلفاء الامويين . وقال آخرون بل ينتمون الى يزيد بن انيسة الخارجي .

يظهر من معتقداتهم انهم من اولي الاديان المثنوية التي تعبد الخير والشر ، وربما كانوا من بقايا الزردشتية التي تجعل الكون تحت سيطرة النور والظلام . والشائع عنهم

١) هو الشيخ عدي بن مسافر الدمشقي الاموي النازل من صلب يزيد بن معاوية ، وقيل انه ادعى الرسول وكان مرقد الشيخ عدي ديراً للنصارى .

أنهم يعبدون الشيطان ، بصفته ممثلا لقوة الشر على مبدأ المجوسية ، تخلصاً من شره لا لاستحقاقه الذاتي . ويعتقدون بتناسخ الارواح ويفرقونها الى صالحة وطالحة ولا يقولون بوجود جهنم .

اما عاداتهم فهي مزيج من النصرانية والاسلامية والمجوسية ، ويؤدي اليزيديون طقوسهم الدينية في معابدهم المنتشرة في قضاء الشيخان وسنجار ، كمعبد الشيخ عدي والشيخ شمس وغيرها . ومرقد الشيخ عدي هو أول المراقد التي يحجها اليزيديون ، ويأتي بعده رتبة او يحاكيه فريضة ، مرقد مار بهنام المعروف « بمزار خضر الياس » (١) .

لدير مار بهنام وقبره الذى بالجب ، مركز جليل ومقام ممتاز عند اليزيدية ، ويسمونه « دير خضر الياس » بينما المعروف عن مار بهنام انه « قاهر الابالسة » و « طارد الشياطين » ، وهذا يمس اعتقاد اليزيديين فى الصميم ، فكيف الموافقة بين الامرين النقيضين ؟ .

لا يقصد اليزيديون « بخضر الياس » مار بهنام الشهيد ، بل أحد أوليائهم او أئمتهم ، حلت فيه قوة الشيخ عدي ، بل هو الشيخ عدي نفسه متقمصا بشخص سمي « خضر الياس » ولما مات دفن هنا . فيكون ضريح مار بهنام الحالي هو قبر هذا خضر الياس اليزيدى ، فأقيم معبد الجب تذكاراً له والدير لاكرامه ، ولهذا يتوافد اليزيديون لزيارة هذا الدير زرافات ووحدانا بهداياهم ويجلون ويقدسون كل ما يمت به بصلة . اما مصدر هذا الاعتقاد فيغلب على الظن انه جاءهم من مجرد تسمية دير مار بهنام بدير خضر الياس ، منذ القديم فاتخذها اليزيديون كحجة راهنة سديدة ، لتأييد معتقدهم ، من غير بحث او تنقيب . فانتهزوا فرصة خلوه من الرهبان ، بعد سفر الربان هندى زورا الآنف الذكر ، الى دير الزعفران فاحتلوه . الا انهم لم يقيموا فيه طويلا لأن الربان هندي المذكور عاد ، بعد

---

١) طالع عن اليزيدية تاريخ الموصل ١ :٢٩٥/٣٠٢ ومجلة نشرة الاحد سنة ١٩٣٧ ص ٥٠/٥٢ والدليل العراقي ص٧٤٦/٧٥٠

سنتين ، من دير الزعفران (١) حيث انحاز الى الكثلكة ، على يد البطريرك ميخائيل جروة ١٧٨٢-١٨٠٠ (٢) ولما لم تطب له الاقامة في الموصل ، قصد دير مار بهنام مركزه القديم . ولكنه اغتم جداً ، عند مشاهدته اياه موطناً للدواسن ، فاستحصل أوامر من حاكم الموصل والقاضي والمفتي تقضي بجلائهم عن الدير ، وقد ساعده القرهقوشيون الذين كانوا قد انضموا الى الكثلكة وأقام فيه ، نحو ثلاثة أشهر ، بصحبة الشماس اسحق بن القس يعقوب بن قسطو القرهقوشي . ورغب كثير من القرهقوشيين الترهب فيه ، ولكي يبقى في حوزتهم سعوا أولا في اقامة الربان هندي أسقفاً عليه فيحفظه ويقيم قسوساً وشمامسة لقريتهم وغيرها لدى الحاجة ، فسيروه مزوداً برسائل الى البطريرك ميخائيل جروة ، في دير الشرفة بلبنان ، ورجع الشماس اسحق الى قريته وارتسم كاهنا . غير ان تلك الرغبة خابت لأن الربان هندي لم يعد ، وقيل انه توفي في الطريق . فقد جاء في رسالة خدر بن عيسى يوحانا الى البطريرك ميخائيل جروة في ٩ ايلول ١٧٨٧ ان دير مار بهنام فارغ سكنته الدواسن وكان الراهب هندي جاء من الزعفران وقبل الايمان فحله الكهنة فاخذ أوامر من الحاكم والقاضي والمفتي وأخرجهم وأقام فيه ثلاثة أشهر وجاء ليزوركم فمات فرجع الدواسن الى الدير (٣) .

والحقيقة هي ان المترجم رحل من هناك الى القطر المصري . فقد ورد في آخر

---

١) عناية الرحمن ص٢٠٣

٢) ولد ميخائيل في حلب سنة ١٧٣١ وقرأ العلوم في دير الزعفران، ولما بلغ الرابعة عشرة انضوى الى الطغمة الرهبانية ، وفي سنة ١٧٥٧ اقتبل الدرجة الكهنوتية ، وفي شباط ١٧٦٦ رقاه البطريرك جرجس الثالث الرهاوي (١٧٤٥-١٧٦٨) الى مطرانية حلب ، وفي سنة ١٧٧٤ تلا دستور ايمانه الكاثوليكي . ولما توفي جرجس الرابع الموصلي (١٧٦٨-١٧٨١) اجمع السريان قاطبة على انتخابه بطريركا . غير انه بعد ثلاثة عشر يوما لتكريسه بطريركا في ٢٢ كانون الثاني ١٧٨٢ في دير الزعفران باسم اغناطيوس ميخائيل الثالث اقام سريان طورعبدين في قرية قلث قورلس متى مطران دير مار متى بطريركا . فاضطر البطريرك ميخائيل ان يلتجيء الى لبنان حيث أسس مدرسة اكليريكية في شرفة درعون عام ١٧٨٦ واستمر يسوس الطائفة بكتاباته الى ان توفاه الله في ١٦ ايلول ١٨٠٠ (السلاسل التاريخية ٢١٢/٢٢٨ والزهرة الذكية ٩٥/٩٨ واصدق ماكان ١ : ٣٢٩/٣٤٤ و ٢ : ٢٧٣/ ٢٨٢ وتاريخ دير الشرفة ص ٥-١٤٥

٣) عناية الرحمن ٣٤٠/٣٤١ ورسالة خدر (من محفوظات خزانة الكتب بدير الشرفة)

مخطوط بمكتبة برلين المنسوخ عام ١٧٣٤ : « نظر في هذا الكتاب الراهب هندي بن اسحق الموصلي ، خادم دير مار بهنام ، في محروسة مصر القاهرة سنة ١٧٩٦ م (١) ، وبعد نحو عشر سنوات من تاريخه عاد الى الموصل وطنه ، فالدير كما سنبينه .

اما الدير ، بعد ان غادره الربان هندي اقفر وعاد اليه الدواسن ثانية كما جاء في رسالة خدر المذكور وأقاموا فيه زمناً فازداد خراباً وتهدماً فجلاهم عنه اخيراً السريان الكاثوليك (٢) .

الفصل الثاني

دير مار بهنام بيد السريان الكاثوليك

ظل دير مار بهنام خلواً من أهله ، مهجوراً وهدفاً لغارات القبائل المجاورة لحاجة السريان الكاثوليك الى كهنة ، بعد انضمامهم الى حضن الكنيسة المقدسة ، وافتقارهم الى تنظيم أمورهم الداخلية . فقد كتب الشماس سمعان ، تلميذ القس نعمة صائغ ، رسالة بهذا المعنى الى البطريرك ميخائيل بتاريخ ١٠ كانون الاول ١٧٨٩ ما يأتي ننقله على علاته بالحرف الواحد : « ان أهل القرى قرهقوش وبرطلة يحتاجون الى كهنة ودير القديس بهنام قد صار محوى لكل نجاسة ، اذ لم يوجد أحد يسكن فيه ويعمره حسبما كان سابقاً لأنه لم يوجد كاهن كاثوليكي زائد حتى يضبطه وخوفي لئلا أحد من الهراطقة يجي يسكنه وقد يشتهون ذلك ويرغبون لكننا لم ندعهم ان يدخلوه إلا على سبيل الزيارة فقط . فلتسأل حضرتكم من البادري اغناطيوس الذي توجه قاصداً نحو قدسكم لأجل اتقان هذه الأمور واصلاحها عن أفعال أهل قرهقوش وعن خراب الدير الذي كان يجمل من كل المحاسن والآن قد صار بور عديم كل شيء » (٣) .

---

١) فهرس مكتبة برلين عدد ٢٥٩ : ٧٩٠ والسلاسل التاريخية ص٣٨١

٢) عناية الرحمن ٣٤١/٣٤٠ ورسالة خدر المذكورة ورسالة اخرى للشماس سمعان تلميذ القس نعمة صائغ في ١٤ ايلول ١٧٨٧ محفوظة في خزانة الكتب بدير الشرفة .

٣) من محفوظات دير الشرفة مجلد ٤ نمرة ٨٠

لما تحقق السيد ميخائيل ان قد حان الأوان لانجاز رغبة الشعب الموصلي باقامة اسقف لهم ، أوعز اليهم ان يباشروا الانتخاب فاتفقت الآراء على انتخاب الخوري بشارة أخطل (١) لما كان عليه من الفضل والفضيلة ، فسافر الى دير الشرفة بلبنان حيث رقاه مار اغناطيوس ميخائيل الثالث جروة في ٢١ كانون الأول ١٧٩٠ الى المرتبة الاسقفية على دير مار بهنام وقرهقوش وسماه قورلس بهنام وولاه على جميع السريان القاطنين الجزيرة والعراق من جزيرة قردو الى البصرة (٢) .

فعاد الأسقف الجديد الى أبرشيته وعني بامر دير مار بهنام فارسل ثلاثة قرهقوشيين لحراسته وأوعز الى كهنة قرهقوش ان يسكن فيه ، كل اسبوع ، كاهن وذلك عن طريق المناوبة . وفي سنة ١٧٩٤ رمم جانباً منه كان قد تهدم وساعده في البناء القس نعمة صائغ الموصلي والخواجا متي الوكيل القرهقوشي فبلغ المصروف الف قرش(٣).

وعلى أثر ذلك كتب له البطريرك جروة في ٢٣ تشرين الثاني ١٧٩٤ ما نصه : « فقد أبهجنا جداً ما ذكرتموه عن ترميم دير مار بهنام وانكم ترسلوا كل جمعة احد الكهنة يخدم هناك ، حتى يتوقع راهب يستقيم به ، ؛ لا يلزم اننا نحرج عليكم بالاهتمام في المكان المذكور ، بما انه كرسي اسقفيتكم وأملنا بالله ، انكم به ستجلسون وتحصلون على هدوء وسلامة ، فلذلك يلزم ان تلاحظوا المكان المذكور دائما »(٤).

١) هو المقدسي بشارة بن عبد الاحد اخطل الموصلي ولد سنة ١٧٣٦ وبعد بلوغه سن الرشد تزوج ، وسنة ١٧٦٧ اعتصم بعرى الكثلكة فرقاه السيد ميخائيل جروة مطران حلب الى الدرجة الكهنوتية في ٢٥ نيسان ١٧٧٨ فالاسقفية في ٢١ كانون الاول ١٧٩٠ وفي ٣٠ ايلول ١٨٠٠ صار انتخابه للمقام البطريركي خلفاً للسعيد الذكر ميخائيل الثالث فأبى مستعفياً . وقد خدم الابرشية بغيرة لا توصف واتعاب ومشقات ، واشتهر برحمته على الفقراء وتزهده في العالم وفطنته وفصاحة لسانه ، فاجمعت كلمة الناس قاطبة من نصارى واسلام ويهود على حبه واعتباره ، وحلت منيته في ثالث تموز ١٨٢٨ .

٢) عناية الرحمن ٣٤٢/٣٤٣ والسلاسل التاريخية ١٣٢/١٣٨ ومختصر التواريخ الكنسية للمطران يوسف داود ص٦٢٧/٦٢٨

٣) عناية الرحمن ٣٦٣/٣٦٤ ورسالة الاسقف بشارة الى البطريرك جروة لسنة ١٧٩٤ (من محفوظات خزانة الكتب في دير الشرفة).

٤) من محفوظات خزانة الكتب بدير الشرفة.

الفصل الثالث

البطريرك متى ثعلب يستولي على دير مار بهنام

في أواخر شتاء سنة ١٧٩٨، قدم الموصل من ماردين البطريرك متى ثعلب الماردني (١٧٨٢ - ١٨١٧) وبيده فرامين وأوامر تقضي باستيلائه على كنائس السريان وأديارهم قاطبة. فعرضها على الحاكم طالباً تنفيذها، فكان ما اراد. فاستلم الكنائس في الموصل وقراها، ثم أنفذ جنوداً الى دير مار بهنام وانتزعه من الكاثوليك وأقام عليه رئيساً الربان الياس بن هندي كرمة الموصلي، أحد رهبان دير مار متى(١). فأمه رهبان من الموصل وسواها، عكفوا على مزاولة العلوم واقتباس الفضائل والتنافس في اعمال الزهد والتقشف، ارتقى بعضهم الى الرتب الكنسية العالية، منهم البطريرك انطون سمحيري الموصلي «١٨٥٣-١٨٦٤» (٢) والمطران عيسى محفوظ الموصلي «١٨٢٦-١٨٥٥»(٣) والمطران قورلس متى رسام الموصلي «١٨٣٨-١٨٥٧» الذي ولي رئاسة دير الزعفران سنتين ثم نقل الى كرسي مار متى فبذل الهمة في ترميمه(٤).

وفي عام ١٨٠٤، كان الربان هندي بن اسحق زورا الموصلي رئيس هذا الدير قديماً السالف الذكر، قد عاد من مصر الى الموصل واعتزل في الدير، حيث تفرغ للعبادة والدرس (٥). وبعد زمان يمم دير الشرفة فرسم خورفسقفاً، باسم سمعان زورا فطرانا على دمشق، عام ١٨١٢، وارتقى الى السدة البطريركية باسم اغناطيوس سمعان

---

١) عناية الرحمن ٣٧١/٣٧٣

٢) عناية الرحمن ٤٤٦ والسلاسل التاريخية ٤٣-٥٢ والكوكب الدري ٦-١٢ والزهرة الذكية ١٠٣/١٠٤

٣) عناية الرحمن ٤٤٦ والسلاسل التاريخية ١٤٢-١٤٤

٤) نزهة الاذهان ص٨٨

٥) عناية الرحمن ٣٩٤

الثاني ، سنة ١٨١٤ وفي سنة ١٨١٨ اعتزل البطريركيـة وانزوى في دير الشرفة فعاش فيه كراهب بسيط حتى أدركته الوفاة عام ١٨٣٩ (١) .

ومن آثاره الخطية ، مجلد، في مكتبة دير مار بهنام الحالية موسوم «بالفردوس العقلي » تأليف مار غريغوريوس النازينزي ، نسخه سنة ١٨٠٦ ، ومخطـوط ثان في مكتبة دار المطرانية في الموصل، نسخه سنة ١٨١٧ في دير الشرفة، ينطوي على مباشرة سر التوبة ، تأليف المطران نمرزاغو اسقف نازني .

ظل دير مار بهنام عامراً مأهولا ، حتى سنة ١٨٢٠ ، حيث انتشرت مجاعة هائلة في الموصل وضواحيها ، ولما استحكمت وعم البؤس والفاقة ، هجم عليه شذاذ الآفاق وعاثوا في جميع ذخائره ونهبوا مؤونته وغادروه خرابا يبابا ، بينما كان رئيس الدير الربان الياس كرمة المذكور ، في دير الزعفران ، يتأهب لقبول الكرامة المفريانية . فتشتت شمل الرهبان ولجأ فريق منهم الى دير الزعفران ، ولم يتسن لهم ، بعد هذه الكارثة المشؤومة العودة اليه ثانية (٢)

اما مكتبة الدير وأمتعته الثمينة ، فكان قد أخفاها الربان الياس في مخبـا سري قبل سفره الى دير الزعفران ، وعند عودته الى الموصل في نحو سنة ١٨٢١ قصد دير مار بهنام في ثلاثين رجلا من برطلة مدججين في السلاح مع نخبة من شبان قرهقوش فأخرج تلك الامتعة الثمينة والكتب النفيسة وحملها على خمسة عشر بغلا وقفل راجعا الى الموصل تاركا الدير قاعا صفصفا ، ولما رأى الباجـوان ذلك تأسفوا لانهم لم يستفيـدوا من ذلك الكنز شيئا (٣) .

---

١) عناية الرحمن ٤٠٧ والسلاسل التاريخية ٢٧٧-٢٨٢ والزهرة الذكية ١٠٠-١٠١

٢) عناية الرحمن ٤٤٦ والكوكب الدري ٦-١٢

٣) انباء الزمان ص٥٥ وعناية الرحمن ٤٥١

الباب الثامن

أحبار هذا الدير ورؤساؤه ورهبانه وأوقافه عبر الاجيال

كم كنا نود تتمة للموضوع واستيفاء للبحث ان نثبت في جدول خاص أسماء الأحبار الذين استقوا العلوم من منهل دير مار بهنام وتثقفوا فيه منذ تأسيسه حتى اليوم. وان نحصي في قائمة أسماء الرؤساء الذين توالوا مشرفين على ادارته وان نستوعب الكلام عن الرهبان العاملين الذين انعكفوا فيه على الدرس والتأليف ونسخ الكتب وترويجها في هذه الانحاء ، لأن جلهم على ما يبدو كانوا من ذوي الثقافة والذكاء والرونة في تدبير الامور، بالاضافة الى تقدير ومراعاة الجوار وحب التفاهم مع جميع الملل مقدمين المأوى، ومتوسعين في ضيافة اللاجئين الى الدير او المجتازين به ، محافظين بالأخص على العلاقات الطيبة والروابط الودية مع القبائل المنتشرة في هاتيك الربوع . فلولا تلك المزايا ، لما خلفوا في هذا الدير ما خلفوه من الآثار النفيسة ، ولما ثبت الدير هذا الثبوت كل هذه المدة الطويلة .

نعم كنا نروم ذلك ولكن على الرغم من الجهود الحثيثة في الدرس والتنقيب في هذا المضمار لم نتوقف على ما يفي بالمقصود لأن صروف الدهر الخؤون التى حلت بهذه الديار أجهزت على كل ما فيها ومن فيها فلم تبق ولم تذر .

ومع هذا وعلى رغم جميع الصعوبات فان هذه المساعي الدائبة لم تذهب جزافاً إذ عثرنا على أسماء طائفة من هؤلاء الأعلام فلم نر بدآ من تعدادهم استيفاءا للبحث وليكون نواة لمؤلف اكمل عسى غيرنا يتولاه في المستقبل واليك جدولا بهم .

الفصل الاول

جدول باسماء بعض الأحبار الذين تلقوا العلوم او ارتقوا الى هذه الرتبة في دير مار بهنام

١- المطران ايونيس يوحنا بن عبدالمسيح الباخديدي نائب كرسي دير مار بهنام ١٥٩٦-١٦٢٥م (١) .

٢- المفريان باسيليوس يلدا الخديدي المتوفي في مليبار الهند ١٦٧٨-١٦٨٥ .

٣- الاسقف هداية الله شمو الخديدي خليفة المفريان يلدا في ادارة سريان المليبار ١٦٨٥-١٦٩٣ .

٤- ايونيس كارس بن بهنام من آل يغمور الخديدي مطران دير مار بهنام وقرهقوش ١٧٢٢-١٧٤٧ .

٥- ايونيس يوحنا مطران دير مار بهنام وقرهقوش ١٧٤٨-١٧٥٢ .

٦- ايونيس بهنام بن القس عيسى الموصلي مطران دير مار بهنام وقرهقوش + ١٧٧٧ .

٧- البطريرك اغناطيوس شمعان زورا الموصلي ١٨١٤-١٨٣٩ .

٨- البطريرك اغناطيوس انطون سمحيري الموصلي ١٨٥٣-١٨٦٤ .

٩- المطران عيسى محفوظ الموصلي ١٨٢٦-١٨٥٥ .

١٠- المطران قورلس متى رسام الموصلي ١٨٣٨-١٨٥٧ (٢) .

١١- المفريان الياس الثاني كرمة الموصلي ١٨٢١-١٨٣٧ .

---

١) مخطوطات كنيسة الطاهرة بقرهقوش والمكتبة الشرقية مجلد اول عدد ٨ : ٥٧٦ ولوحة في مدفن الاباء بكنيسة الدير .

٢) قورلس متى من عائلة رسام الموصلية ترهب في عمر مار بهنام ورسم مطرانا سنة ١٨٣٨ وولي رئاسة دير الزعفران سنتين ونقل الى كرسي مار متى فبذل الهمة في ترميمه وتوفي سنة ١٨٥٧

الفصل الثاني

جدول بأسماء بعض رؤساء هذا الدير

١- القسيس يوسف الذى جدد بناء قدس أقداس كنيسة دير مار بهنام سنة ١١٦٤ (١) .

٢- الراهب يعقوب الذى حظي بمقابلة بيدوخان ملك ملوك التتر وأعاد أمتعة الدير واثاثه المنهوبة سنة ١٢٩٥ م (٢) .

٣- الراهب مسعود بن مبارك نارج البرطلي منشيء ضريح مار بهنام الحالي سنة ١٣٠٠م (٣) .

٤- المفريان ديوسقورس بهنام شتي الأربوي ١٤١٤-١٤١٧م .

٥- المفريان باسيليوس برصوما الثاني ١٤٢٢-١٤٥٥ .

٦- المفريان باسيليوس عزيز السعردي ١٤٧١-١٤٨٧ .

٧- المفريان باسيليوس ابراهيم الثالث القلعي(٤) ١٤٩٦-١٥٠٨ .

٨- الربان باكوس بن سرقس الخديدي ١٥٧٢-١٥٩٧ .

٩- الربان يلدا الخديدي « ١٦٦٠ » وقد ارتقى الى المقام المفرياني سنة ١٦٧٨ .

١٠- الربان شمعون الخديدي ١٦٧٠ (٥) .

١١- الراهب كوركيس بن جمال الدين ١٧١٩ (٦) .

١٢- المطران ايونيس كارس من آل يغمور الخديدي ١٧٢٢-١٧٤٧ .

١٣- المطران يوحنا ١٧٤٨-١٧٥٢ .

---

١) لوحة مثبتة في جدار قدس اقداس كنيسة الدير الحالية

٢) كتابة سطرنجيلية محفورة في جدار كنيسة الدير الجنوبي .

٣) كتابة سطرنجيلية منقورة حول ضريح مار بهنام في معبد الجب .

٤) نسبة الى قلعة المرأة : قرية شرقي ماردين بينها وبين دير الزعفران .

٥) مخطوط قديم في الموصل .

٦) مخطوط في مكتبة كنيسة مار كوركيس بقره‌قوش .

١٤- الربان بهنو بن القس عيسى الموصلي الذى ارتقى الى كرسي مطرانية الدير ١٧٥٢-١٧٧٧ .

١٥- الراهب هندي بن اسحق زورا الموصلي وهو البطريرك سمعان زورا ١٧٧٧-١٧٨٢ .

١٦- الاسقف قورلس بهنام أخطل ١٧٩٠-١٧٩٨ .

١٧- الربان الياس هندي كرمة الموصلي ١٧٩٨-١٨٢٠ ، ثم ارتقى الى الكرامة المفريانية باسم باسيليوس الياس الثاني نحو سنة ١٨٢١ وحلت وفاته عام ١٨٣٧ .

الفصل الثالث

لائحة باسماء الرهبان المعروفين

١- الراهب كسرون الرهاوي الخطاط المشهور ١١٣٩.

٢- القس أبو الفضل وجبرائيل الشماس والاخ حسن ١١٦٤ (١)

٣- أبو سالم وابراهيم أخوه وعيسى وفضل الله وأبو نصر وبهنام وتوما « في القرن الثاني عشر » (٢)

٤- أبو الفضل وسعيد ومنصور « في القرن الثاني عشر » (٣)

٥- الراهبان يوحنا الحديدي وسوريق « القرن الثاني عشر او الثالث عشر » (٤)

٦- الراهب خوشابا بن هرمز الحديدي ١٥٧٥ (٥)

٧- الراهب يوسف بن عبد الواحد الحديدي ١٥٨٠ (٦)

---

١) كتابة سطرنجيلية في جدار قدس اقداس كنيسة دير مار بهنام .
٢) « « حول باب مدخل الكنيسة الشمالي .
٣) « « « صورة القديسة سارة .
٤) فهرست مكتبة المتحف البريطاني (مجلد ٣ عدد ٩٣١ ص١٠٧٩-١٠٨٠).
٥) مخطوطات مكتبة كنيسة الطاهرة بقرهقوش .
٦) فيها ايضا .

٨- الراهب دانيال الحديدي ١٥٨١م (١)

٩- الراهب يوسف بن جمال الدين ١٥٨٩ (٢)

١٠- الراهب اسحق ١٥٩٧ (٣)

١١- الراهب كوركيس ١٦٠٩ (٤)

١٢- الراهب زكي بن يوحنا الباخديدي ١٦٣٧ (٥)

١٣- الراهب كوركيس الذى اشترك مع المفريان يلدا بترميم الدير ١٦٦٠ (٦)

١٤- الراهب عيسى ١٦٧٠ (٧)

١٥- الراهب توما بن الياس الموصلي ١٧١٧م (٨)

١٦- الراهبان اشعيا ويوحنا والشماس بهنو والمبتدئون صليبا وقرياقوس وسركيس سنة ١٧٣٠م (٩)

١٧- الراهب يوحنا بن ايليا الحديدي ١٧٣٥

١٨- الرهبان اشعيا وكوركيس بن جمعة وبهنام وبهنو والشماس صليوا والمبتدئون سبتي وابراهيم وجمعة في عهد رئاسة المطران كارس ١٧٤٣

١٩- الراهب بهنام والقس دنحا والقس ابراهيم والشماس صليوا والمبتدئون افرام وسبتي وجمعة فى زمن رئاسة الربان بهنو بن القس عيسى الموصلي (١٠)

٢٠- الراهب توما بن ككو ١٨٠٠ (١١)

---

١) لوحة رخام فى رواق كنيسة هذا الدير .
٢) مخطوط في مكتبة القديسة شموني فى برطلة .
٣و٤) مخطوطات فى مكتبة كنيسة الطاهرة في قرهقوش ومخطوط كنيسة مارت شموني في برطلة
٥) فهرس المخطوطات السريانية في مكتبة برلين عدد ١٥٤ ص ٤٨٠
٦) عن كتابة في لوح رخام برواق كنيسة الدير .
٧) مخطوط في الموصل .
٨) مخطوط فى مكتبة دير مار بهنام الحالية .
٩) مخطوط في كنيسة مار كوركيس بقرهقوش .
١٠) مخطوطات في مكتبة كنيسة الطاهرة في قرهقوش .
١١) لوحة حجرية مثبتة فى اسفل جدار الكنيسة على يمين الداخل .

٢١- الشماس يوسف بن اسحق وبحو بن دبي ١٨١٤ (١)
هذا فضلا عن الاحبار الذين تلقوا العلوم فى هذا الدير وسبق ذكرهم .

الفصل الرابع

عمارات دير مار بهنام على توالي الاحقاب

اننا نجتزىء في هذا الفصل بذكر ما حفظه لنا التاريخ بين مطوياته من عمارات دير مار بهنام عبر الأجيال . سبق ان بينا فى سياق حديثنا ان الذي أقام معبد ضريح مار بهنام المعروف « بالجب » هو سنحاريب الملك والد مار بهنام في منسلخ القرن الرابع الميلاد ، وان الذي وطد دعائم دير مار بهنام وقام ببناء كنيسته الأثرية هو اسحق الفارسي وذلك في منصرم القرن الرابع او صدر الخامس الميلادي .

وفى المئة الثانية عشرة نهضت الهمة برهبانه الى تجديد كنيسته (٢) وبالغوا في تنميقها وزخرفها ، اشترك في هذا العمل المبرور جمهور عظيم من الاساتذة النابغين وجم غفير من المؤمنين فجعلوها من أجمل كنائس المشرق وأبدعها من حيث نقوشها المستظرفة والكتابات الوافرة المحفورة او المنقورة في جدرانها والتصاوير المنقوشة عليها .

وفي السنة ١٦٦٠م حفزت الغيرة الراهبين يلدا (المفريان يلدا) وكوركيس مع بقية الرهبان بتجديد الدير وترميمه فتجشموا في هذا السبيل جهوداً محمودة وبذلوا أموالا طائلة فترتب على الدير بنتيجة هذه الأعمال الف قرش ديناً بدليل ما جاء في لوحة رخام مثبتة في احدى سرايا رواق كنيسة هذا الدير الغربي .

ثم عني الأسقف مار قورلس بهنام بشارة أخطل عام ١٧٩٤م بمساعدة القس نعمة صائغ بتعمير ما تداعى من أبنية هذا الدير وانفق على ذلك مبلغاً وافراً تبرع به المؤمنون بسخاء (٣) .

---

١) كتابة محفورة فى جدار معبد رتاج الكنيسة الجنوبى الثاني .
٢) كتابة فى لوحة حلان مثبتة فى جدار المذبح .
٣) عناية الرحمن ص٣٦٣/٣٦٤ ورسالة الاسقف بشارة الى البطريرك جروة لعام ١٧٩٥ (من

ثم صرف المطران غريغوريوس عيسى محفوظ سنة ١٨٤٦م عنـايته الى ترميم جدران الدير المنهارة (١) . وما ان أطل صدر القرن العشرين حتى فاضت فيه مآثر العمران وتوالت فيه الانشاءات الحديثة باشر بها المثلث الرحمة البطريرك أفرام رحماني الحميد الأثر وواصل هذه المساعي المثلث الرحمة المطران بهنام قليان في عهد رئاسته على هذا الدير ١٩١٠-١٩٢٢ فحضرة الخوريفسقفوس يوحنا عزو الجزيل الاحترام واخيراً فقد أصبح الدير صرحا فخما برعاية ومساعي سيادة راعي الأبرشـية المطران قورلس جرجس دلال الجزيل الشرف نرجيء وصف ذلك الى بحث آخر نضمه في تاريخ هذا الدير الحديث متطرقين فيه على ذكر الرؤساء الذين تولوا ادارته في هذه الحقبة تباعا مع وصف الأعمال المجيدة التي قاموا بها مثبتين قائمة الكهنة الذين استقوا العلوم من مناهله العذبة الى غير ذلك من المواضيع المفيدة للذكرى والتاريخ .

الفصل الخامس

أوقاف دير مار بهنام في هذه الأحقاب

من الحقائق الراهنة غير المشكوك فيها انه كان لدير مار بهنام في العهد القديم أملاك واسعة وأوقاف جمة غنية . منها ما اقتناه الرهبان بكدهم وعرق جبينهم ، ومنها ما حبسه على الدير المحسنون وأهل اليسار .

كانت هذه الارزاق عبـارة عن بساتين زيتون في بعشيقة وبحزاني وعلى بيوت للسكنى وعلى مطاحن في قرهقوش وسواها وكان أهمها يتألف من حقول واسعة زراعية تمتد الى مسافات بعيدة في الأراضي المحيطة بالدير .

ومما لا شك فيه ان عين سارة كانت من ضمن أملاكه ، وان قرية الخضر انما سميت باسمه لأنها كانت تعود اليه ، ولا يزال حتى اليوم مسلك من مسالك هـذه القرية

مخطوطات خزانة الكتب في دير الشرفة) .

١) عناية الرحمن ص٦٨ ،

يعرف « بطريق الرهبان » .

كانت ادارة هذه الاوقاف الوافرة عائدة الى رؤساء هذا الدير ، فبالغوا سعيا لازديادها حولا فحولا ، ونمت خاصة يوم اتخذ المفارنة هذا الدير مقاما لهم ، واتسعت على الأخص يوم أصبح الدير كرسياً اسقفياً تمتد ادارته الرعوية على قرهقوش ، فأتته العشور والنذور وفيرة .

ولولا هذه الموارد الغنية في سالف الازمان ، لما وجدنا في الدير هذه الآثار النفيسة التي خلفوها لنا وللتاريخ، ولولاها لما قام المطران كارس بمشاريع عمرانية تستحق الاعتبار منها حفر بئر سحيقة واسعة على نفقة الدير في قرهقوش لارواء سكانها ، وقيامه بعمارة ثلاث كنائس وترميمه رابعة في هذه القرية مقدما من صندوق الدير قسما صالحاً من نفقاتها ، كما تشير الى ذلك كتابة سريانية منقورة حول ابواب كنيسة مار سرجيس وباكوس في قرهقوش هذا تعريبها :

« قام بالبناء رئيس القرية مار ايونيس كما كان قد بنى في سنة واحدة كنيستي مار يعقوب ومار زينا ، وركب الابواب وأقام البناء مع المؤمنين وعلى نفقتهم . وأعطى من خزينة مار بهنام ولم يخبر أحداً من سكانه .. »

من أوقاف دير مار بهنام في ذلك العصر ، معصرة فسيحة في قرهقوش تشتمل على محلات واسعة كثيرة للسكنى وعلى مطاحن ، ورد عنها في مخطوط محفوظ في مكتبة قرهقوش يتضمن صلوات تتلى في الآحاد السابقة لعيد الميلاد كتبه حبش بن جمعة الحديدي ما تعريبه عن السريانية « وفي السنة ٢٠٤٨ للاسكندر (١٧٣٧م) بنيت معصرة مار بهنام « بالجص » لانها كانت قبلا مبنية بالطين » .

اما هذه المعصرة فاستخدمت أنقاضها في العهد القريب في عمارة كنيسة قرهقوش الجديدة وبيعت أرضها وأنفق عنها ايضا على الكنيسة المذكورة .

ومن أوقاف هذا الدير ، نذكر بساتين زيتون واسعة في قريتي بعشيقة وبحزاني، كانت في حوزة هذا الدير حتى سنة ١٨٧٨ (١) ثم ضحي بها في سبيل استملاك كنيسة

---

١) عناية الرحمن ص ٦٣٠/٦٣١

الطاهرة العتيقة في الموصل .

والكل يعلم ان لهذا الدير حصة في البستان المعروف اليوم « ببستان المطران » في الموصل أوقفه عليه المرحوم الشماس بهنام سفر .

والخلاصة ان الاحوال قد تقلبت على هذه الاوقاف وأخنى الدهر عليها وتلاعبت بها المطامع والأيدي ، اذ ما سلم منها انتقل الى أيد اخرى، فانطمست أخبارها وأمحى رسمه .

الباب التاسع

مكتبة دير مار بهنام في هذه العصور

لم نعثر في تواريخ القدماء على ذكر مكتبة في دير مار بهنام ، ولعل غير الزمان وصروف الدهر قد عبثت بالشيء الكثير من التواريخ المشتملة على آثار السلف فضاعت عنا اخبارها ، وانطمست آثارها !

وقد تيسر لنا بعد التنقيب الحثيث والدرس المتواصل ، ان نطلع على وجود بعض مخطوطات تختص بهذا الدير ، وهي مصونة في شتى مكتبات العالم ، نكتفي بالالماع اليها اثباتا لما كان لهذا الدير من المقام السامي في عالم العلم والأدب .

الفصل الاول

مكتبة دير مار بهنام في عصرها الاول

اننا بالرغم من ندور الأسانيد الوثقى والمستندات التاريخية الصادقة نرى انه من المستبعد ان يلبث دير بذلت المساعي جبارة في سبيل توسيعه وتزويقه ، مقصوراً على سكنى النساك والزهاد او يبقى مثوى ذوي العاهات ، بل يبدو لنا بدهياً انه اصبح تدريجيا مع سير العصور والاجيال كعبة للعلم والثقافة ومحطة لرجال الآداب ، في تلك الأحقاب .

ولا مشاحة ان رهبانه العاملين قد بلغوا من علوم الاجتماع والآداب واللغة وشتى المعارف والفنون شأواً بعيداً في تلك الغضون بدليل ما خلفوه لنا من الآثار التي هي اصدق شاهد على نبوغهم في الفنون الجميلة والآداب الراقية ، بحيث أضحى ذلك حافزاً ألجأهم الى انشاء مكتبة عامرة حافلة باقدم المصاحف ومزدانة بأثمن المخطوطات ومجهزة بانفس الاسفار ، بوشر بانشائها ، منذ قرون قديمة ، ثم أخذت بالنمو والاتساع

قرنا بعد قرن ولا سيما في عهد نزوح التكريتيين عن ديارهم واندفاعهم الى هذه الانحاء .

كانت تكريت في عصرئذ كعبة العلم وموطن الادب وفيها من المخطوطات والمصاحف والاسفار الثمينة ما يبلغ حد الكثرة بفضل المفارنة الذين أقاموا فيها قرونا طويلة ، فحمل منها أدباؤهم الى هذه الديار ما استطاعوا الى انقاذه سبيلا (١) وكان ولا غرو لمكتبة دير مار بهنام ، من هذه الكنوز الثمينة حظ صالح ، لما كان يخص به التكريتيون من المحبة الممتازة شهيد وطنهم الامير بهنام ، وعليه منذ ان استوطن التكريتيون قرهقوش ، توافدوا على الدير للترهب فيه ، وتفانوا في سبيل رقيه ورفع شأنه في كل ناحية من مناحي الحياة ، فهم الذين زوقوا الدير ودبجوه بالكتابات المنقشة على جوانب كنيسته بريشتهم الرائعة ويراعتهم البديعة ، وانصرف فريق منهم وفي طليعتهم الراهب كسرون الرهاوي (٢) الى الترجمة والتأليف ونسخ الكتب وتنسيقها وأتوا بالاسفار النفيسة والمخطوطات الظريفة وخلفوا ثروة علمية غزيرة النفع من كتاباتهم تذكر مع أطيب الثناء .

وعلى اثر ذلك ، انضم الى عقدهم فريق من رهبان دير مار متى لتوالي الخطوب عليه ، وحملوا الى دير مار بهنام ما أمكنهم حمله من بقية مصاحف مكتبتهم الشهيرة (٣) ونسجوا على منوال التكريتيين ، فأكبوا على نسخ الكتب العديدة في كل فن ومطلب وأضافوها الى مكتبة دير مار بهنام ، فازدادت ثروتها العلمية وتعززت كنوزها الكتابية .

ظلت هذه المكتبة في نمو وازدهار جيلا بعد جيل ، حتى اصبحت من أهم المكتبات وبلغت اخيرا أوج المجد بفضل المفارنة الذين اتخذوا دير مار بهنام كرسيا لمقامهم ، فنقلوا اليه ايضا من الصحف والمجلدات الثمينة من مكاتبهم الشهيرة ما تيسر لهم ، اذ كان بعضهم من عشاق العلم والادب وحملة الاقلام .

غير ان الرزايا الجسيمة التي حلت بهذه الديار في صدر المئة السادسة عشرة (٤)

---

١) عصر السريان الذهبي ص٩٥

٢) السمعاني رقم ٣٢ ص٤٤٩

٣) مجلة الاثار الشرقية مجلد ٣ سنة ١٩٢٨ ص٢٢/١٧ وعصر السريان الذهبي ص٩٦

٤) هامش في مخطوط قديم في مكتبة الطاهرة بقرهقوش ومخطوط آخر في مكتبة دير مار بهنام

ذهبت بتلك الثروة العلمية والذخائر الكتابية النفيسة ولم يصل الينا منها الا مخطوط واحد آرامي من القرن الثالث عشر ورد في بعض هوامشه ما تعريبه عن السريانية :

« صلوا على الراهب يوحنا الحديدي الذي كتب هذا الكتاب وجاء به من دير مار متى (١) ومار زاكاي ومار بهنام واخته سارة الى برية الصعيد وأهداه لهذا الدير » ويليه « صلوا على الخاطىء الربان سوريق الذي قدم من دير مار بهنام واخته سارة الى برية الصعيد » (٢) .

ويقال ان انجيل قرەقوش النفيس الذي أهدي سنة ١٩٣٨ الى الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر وهو اليوم محفوظ في المكتبة الواتيكانية وقد كتبه مبارك بن صليبا البرطلي سنة ١٥٣١ لليونان ١٢٢٠م هو من مخطوطات مكتبة دير مار بهنام المندثرة انتقل اليه من دير مار متى ومنه الى قرەقوش .

وعلى أثر هذا انطوت أخبار هذه المكتبة وعفت آثارها كأنها لم تكن شيئاً مذكوراً وضاع بضياعها فوائد تاريخية كثيرة كان لها أثرها البارز الجم على العلم والتاريخ .

الفصل الثاني

مكتبة دير مار بهنام في عصرها الثاني

في النصف الثاني من المئة السادسة عشرة أضحى دير مار بهنام كرسياً أسقفياً فافرغ الأحبار الذين تولوا ادارته ، الجهود الحثيثة في سبيل ازدهاره وبعث ما انطمس من أمجاده . فأنشأوا فيه مكتبة جديدة أغنوها بمخطوطات نفيسة من مشاهير الملافنة

الحالية .

١) الظاهر ان هذا الكتاب كان لدير مار متى ثم انتقل الى مكتبة دير مار بهنام ، وهذا ادل برهان يحملنا على التأكد من ان بعض رهبان دير مار متى قد انضموا الى زمرة رهبان دير مار بهنام وحملوا الى مكتبته ما امكنهم حمله من الكتب .

٢) فهرس المتحف البريطاني المجلد الثالث ص١٠٨٠ عدد ٩٣١

والكتبة مماجمعوه (١) من المصاحف او نسخوه (٢) هم او استنسخوه أحد الخطاطين (٣).

ولم يقفوا عند هذا الحد بل جهزوا بمصاحفهم الطقسية ديورة (٤) اخرى وكنائس (٥) وقد توصلنا الى معرفة بعضها منها دير مار يوحنا الديلمي ودير مار يوحنا البوسني (٦) شرقي قرهقوش وهو اليوم كنيسة رعوية وكنيسة الطاهرة (٧) في قرية قرهقوش ايضاً ثم كنيسة والدة الله بسميل (٨) .

في نحو سنة ١٧٨٢م اقفر دير مار بهنام من أهله وسكنته الدواسن كما رأينا فتبددت هذه المكتبة الثمينة ثانية ولم يسلم منها الا مجلدات معدودة منها .

الفصل الثالث

في مكتبة دير مار بهنام الحالية

من هذه المكتبة ثلاثة مصاحف في مكتبة هذا الدير الحالية ، احدها مجلد ضخم كرشوني يتضمن تآليف مار اسحق النينوي باربعة اجزاء ، كتبه الراهب توما بن الياس الموصلي في دير مار بهنام سنة ١٧١٧م . ثم وجد بحوزة المرحوم القس ميخائيل القس موسى القرهقوشي فاهداه السيد عبدالمسيح بهنام القس موسى الى هذه المكتبة في ٢٤ حزيران ١٩٣٠ .

والثاني فرض على مدار السنة ، حسب الترتيب التكريتي كتبه الاسقف هداية الله

---

١) عن مخطوط في الموصل كان المطران كارس اشتراه لرهبان دير مار بهنام .

٢) طالع مخطوطات مكتبة قرهقوش وغيرها ففيها عدد وافر باقلام رهبان هذا الدير .

٣) اطلب « « « عدد ١٩ لسنة ١٥٦٩ وعدد ٧٠ لسنة ١٧١٠

٤) خزانة قرهقوش عدد ٤٣ لسنة ١٥٨٩ وعدد ٦ لسنة ١٧١٨

٥) « « « ١٣ سنة ١٦١٤ وعدد ٤٧ سنة ١٧٣١ وعدد ٦٠ سنة ١٧٤٠

٦) مخطوطات عديدة في خزانة مكتبة قرهقوش .

٧) في خزانة كنيسة الطاهرة بقرهقوش وغيرها من المكتبات ما ينيف على ٣٠ مخطوطا نسخت في دير مار بهنام .

٨) عن مخطوط في مكتبة قرهقوش لكنيسة والدة الله بسميل نسخ سنة ١٦١٤م

شمو يوم كان راهباً في هذا الدير سنة ١٦٧٣م .

والثالث في « الامانة الصحيحة وتراتيب البيعة المقلسة » جاء في آخره « تم هذا الكتاب في دير القديس مار بهنام ، بيد الربان بهنو ابن القس عيسى سنة ١٧٥٤م وكان يقيم معه الربان بهنو والقس دنحا والشماس صليبا وسبتي وجمعة » .

الفصل الرابع

في مكتبة كنيسة الطاهرة في قره‌قوش

في خزانة كتب كنيسة الطاهرة بقره‌قوش نيف وثمانون مخطوطا سريانيا وكرشونيا وعربيا تدور ابحاثها حول مسائل طقسية استقينا منها معظم اخبار الدير في هذه الحقبة بينها اسفار تختص بمكتبة الدير في هذا العصر ، ومنها هي باقلام رهبان هذا الدير وقد جهزوا بها أديرة وكنائس اخرى نورد أسماءها ومضامينها بالتفصيل لعلاقتها بموضوعنا:

أولا

المصاحف المختصة بمكتبة الدير المندثرة

١- فنقيث (١) الصوم الاربعيني :

يحوي هذا المخطوط الصلوات التي تتلى في الصوم الاربعيني طبقا للطقس (٢) السرياني . ورد في آخره ما ترجمته عن السريانية : « انتهى نسخ هذا الكتاب بكل مقتضياته في دير مار بهنام أشرف الشهداء سنة ١٨٨٠ يونانية (١٥١٩ م) على يد الراهب خوشابا بن هرمز من قرية بيث خديدا المباركة في ايام الابوين المغبوطين مار

---

١) « الفنقيث » لفظ سرياني يراد به الالواح والدفتر ومجلد الكتاب ثم اطلق على جزء من الكتب القانونية البيعية .

٢) « طقس » كلمة يونانية يراد بها نظام وترتيب وحالة الهواء ، وفي العرف الكنسي يطلق على شعائر الديانة وحفلاتها .

اغناطيوس نعمة(١) «١٥٥٧-١٥٧٦» ومار باسيليوس عبد الغني(٢) «١٥٩١-١٥٩٧» وكان المهتم به من ماله الربان يوسف بن عبد الواحد من قرية بيث خديدا المذكورة » واردف ناسخه بان هذا الراهب اهتم بنسخ مخطوط ثان ينطوي على الصلوات القانونية الصيفية تذكاراً صالحاً له عند الله .

٢- فنقيث صلوات صيفية :

يتضمن هذا المخطوط مجموعة صلوات فرضية نذكر منها فرض عيد العذراء وسجدة عيد العنصرة ووجدان الصليب والحسايات (٣) الصيفية . جاء في آخر الحسايات ما تعريبه عن السريانية : « انتهى هذا كتاب حسايات القيامة يوم الخميس في غرة ايار ١٨٨٣ للاسكندر ١٥٧٢ م بمساعي القس عبد الدائم يعقوبشا ، والراهب باخوس بن القس مرقس ، وقد كتبه يوحنا بن هرمز وعيسى من قرية بيث خديدا »

وورد ايضا في آخر الكتاب ما شرحه عن السريانية : « جدد هذا الكتاب وهو يختص بدير مار بهنام عبد الله بن دنحا من آل حنا بخايا سنة ٢٠٢١ يونانية ١٧١٠ م .

٣- فرض الصوم :

يحتوي هذا المصحف على فرض الصوم الاربعيني ، ويقرأ في آخره ما تعريبه عن السريانية : « تم هذا الكتاب بمساعي الراهب باخوس رئيس دير مار بهنام واخته سارة ، وقد كتبه الراهب المتوحد يوحنا بن عبد المسيح الباخديدي سنة ١٨٩١ يونانية ١٥٨٥ م في دير مار بهنام ».

١) اغناطيوس نعمة الله : ابصر النور في ماردين وعليها تسقف ثم قلد مفريانية المشرق سنة ١٥٥٥ وبعد سنتين ارتقى الى السدة البطريركية ثم لجأ الى رومية وكان متضلعاً من اصناف العلوم وقد اشتغل مع غريغوريوس الثالث عشر بتصحيح الحساب اليولي وهو اول من سلم بصوابه وانتقل الى جوار ربه عام ١٥٧٦ (انباء الزمان ٤٧ والزهرة الذكية ٨٤)

٢) باسيليوس عبد الغني : صارت اليه المفريانية سنة ١٥٩١ وعام ١٥٩٥ رسمه اخوه البطريرك بيلاطس ١٥٩١/١٥٩٧ بطريركا دخيلا فرفضه الشعب اجمع لكنه ظل متمتعاً بامتيازات المفارنة حتى ادركه الاجل في حلب عام ١٥٩٧ (انباء الزمان ص٤٨)

٣) الحسايات : يراد بها صلوات استغفارية خشوعية بليغة يترنم بها الكاهن اثناء الصلوات الفرضية.

٤ـ فرض سبت البياض :

يحتوي هذا السفر على الطقوس الفرضية المستعملة في سبت البياض وفي الاعياد المارانية ، كتبه في دير مار بهنام المطران ايونيس يوحنا نائب كرسي دير مار بهنام اجابة الى التماس الربان باخوس والربان اسحق سنة ١٩٠٨ للاسكندر ١٥٩٧م وهذا المخطوط اهداه ناسخه الى دير مار بهنام » .

٥ـ صلوات أحد السمانين :

يشتمل هذا المخطوط على صلوات منظمة تتلى حول قرية او دير في أحد السمانين تم نسخه سنة ٢٠٤١ يونانية ١٧٣٠م على يد الراهب القسيس يوحنا بن ايليا الباخديدي وكان راهباً في دير مار بهنام في هذا العهد ثم طرد منه سنة ٢٠٤٩ يونانية ١٧٣٥م وانضم الى رهبان دير مار يوحنا الديلمي (١) » .

٦ـ فرض سبت البياض والاعياد الصيفية

من هذه المصاحف ايضاً مخطوط يحتوي على مجموعة صلوات قانونية جاء في آخره ما تعريبه عن السريانية: « تم نسخ هذا الكتاب في دير مار بهنام سنة ٢٠٥٤ للاسكندر ١٧٤٣م بمساعي القس متي بن عبدو على يد الراهب القسيس كوركيس بن جمعة من قرية بيت خديدا المباركة » .

ويليه بحروف كرشونية ما نصه : « في ايام مار اغناطيوس شكر الله (٢) ومار ايونيس كارس . وايضاً نذكر الاخوة المقيمين معنا الراهب اشعيا والراهب بهنو والراهب بهنام وصليوا وسبتي وابراهيم . واما الخربط بالاسم راهب وبالفعل خاطي وتعيس كوركيس بن جمعة من قرية بيت خديدا .

٧ـ فنقيث الصوم الأربعيني :

هو مجلد كامل ينطوي على فنقيث الصوم نسخه المطران كارس في اثناء حبريته

---

١) مخطوط في مكتبة كنيسة الطاهرة بقرهقوش بخط الراهب يوحنا نفسه.

٢) اغناطيوس شكر الله : هو من آل صنيعة المارديني، كانت رسامته مطرانا سنة ١٧٠٩ وبطريركا سنة ١٧٢٢ ووفاته سنة ١٧٤٥ (الزهرة الذكية ٩٣ـ٩٤ وانباء الزمان ٤٩

سنة ٢٠٥٥ يونانية ١٧٤٤م.

ثانيا

المخطوطات التي جهز بها رهبان دير مار بهنام ديورة وكنائس اخرى

١- فنقيث الصيف

يشتمل هذا الفنقيث على صلوات الآحاد التالية لأحد القيامة المجيد حتى أحد تقديس البيعة ورد فيه ما تعريبه عن السريانية : « يخص هذا الكتاب بدير مار يوحنا الديلمي المجاور للقرية المباركة بيت خديدا كتبه في دير القديس اشرف الشهداء مار بهنام الراهب خوشابا بن هرمز بمسعى القس عبد الدايم في عهد مار باسيليوس عبدالغني سنة ١٨٧٨ للاسكندر (١٥٦٧م) .

٢- فرض عيد البشارة وعيد مار بهنام وعيد القيامة

جاء في آخر المصحف ما تعريبه عن السريانية « نسخه الراهب المتوحد يوحنا بن عبد المسيح سنة ١٩٠٠ يونانية (١٥٨٩م) في دير أول المنتخبين وتاج الشهداء القديس مار بهنام وأخته سارة ورفاقه الاربعين كتبه للراهب المتوحد يوسف بن جمال الدين (أحد رهبان دير مار يوحنا الديلمي) ليهديه الى أحد الديورة » .

٣- فنقيث الآلام الخلاصية

ليوحنا بن عبد المسيح مجلد آخر كتبه في عهد مطرانيته ورد في آخره ما تعريبه عن السريانية «نسخه المطران يوحنا في سنة ١٩٢٥ يونانية (١٦١٤م) للقس عيسى كتب نصفه في بيعة والدة الله في بيث خديدا والنصف الثاني في دير مار بهنام وأهداه القس عيسى المذكور الى بيعة والدة الله المذكورة » .

٤- فرض الآلام الخلاصية

هذا المصحف الجليل كتبه المفريان ديوسقورس بهنام شتي الاربوي (١٤١٧ م) جاء فيه ما نصه مترجما عن السريانية « تجدد هذا السفر سنة ١٩٢٠ للاسكندر (١٦٠٩) على يد المطران ايونيس يوحنا بن عبدالمسيح وعاونه في النسخ الراهب اسحق والراهب

كوركيس » .

ثم ورد في الصفحة ١٠٥ ما تعريبه عن السريانية « انتهى تجديد هذا الكتاب سنة ١٩٥٣ يونانية (١٦٤٢م) في أيام الآباء المغبوطين مار اغناطيوس شمعون (١٦٤٢ـ ١٦٥٩) ومار باسيليوس يشوع مفريان المشرق ، كتبه الشماس عبد المسيح بن مقدسي جمعة » .

وفي هذا السفر أثبت أحد النساخ كتابة تعريبها « ارتسم سنة ١٩٦٣ يونانية (١٦٥٢م) القس شابا و ١٧ شماسا في كنيسة والدة الله بوضع يد البطريرك شمعون » .

وجاء في الصفحة ٢٨٣ من هذا المجلد نفسه ما تعريبه « تصفح هذا السفر الجميل ايونيس برصوما الاربوي بالاسم مطران ، تلميذ المرحوم المفريان ديوسقورس المعروف ببهنام بن شمعون من آل الزقاقي في قرية اربو .

ودون هذا الكاتب في خاتمة هذا المصحف ما تعريبه عن السريانية « صلينا كثيراً على ناسخ هذا الكتاب لحسن تنسيقه ودقة تبويبه راجين من كل أخ ان يصلي على هذا الاب الذي توفي سنة ١٧٢٨ للاسكندر (١٤١٧م) في قرية بيث خديدا المباركة في كنيسة والدة الله في ٢١ تموز يوم الاربعاء وأقام له الخديديون المباركون مأتماً حافلا» كتبه تلميذه ايونيس .

٥ـ كتاب الحسابات .

جاء في هذا المخطوط انه نسخه هداية شمو ـ أحد رهبان دير مار بهنام ـ سنة ١٩٩٠ للاسكندر ١٦٧٩م .

٦ـ طقس أعياد السهاذ والآحاد حتى الصوم الأربعيني .

ورد في آخره ما شرحه عن السريانية « كتب في دير مار بهنام تاج الشهداء واخته سارة ورفاقه الأربعين قديساً سنة ٢٠٢٩ يونانية ١٧١٨م بيد القس يلدا من آل جهنشا ابن أخت الأسقف هداية شمو وكان يقيم معه الربان كارس والربان توما » .

ويلي ذلك ما تعريبه عن السريانية « ابتاعه الراهب شعيا والراهب يشوع والراهب صليوا والراهب كوركيس وباقي الأخوة المقيمين في دير مار يوحنا الديلمي سنة ٢٠٣٦

يونانية ١٧٢٥م بخمسة وعشرين بابلي المساوية ثماني قطع من الفضة » .

٧- الفنقيث الشتوي

يشتمل هذا السفر على الصلوات القانونية التي تتلى في الآحاد السابقة لعيد الميلاد منذ أحد تقديس البيعة حتى أحد القيامة جاء فيه ما ترجمته عن السريانية « انتهى هذا الكتاب سنة ٢٠٤٢ يونانية ١٧٣١م في عهد مار اغناطيوس شكرالله بطريرك الكرسي الانطاكي ومار ايونيس كارس مطران دير مار بهنام وبيث خديدا كتبه لبيعة العذراء مريم في دير مار بهنام تاج الشهداء الراهب القسيس يوحنا بن ايليا الباخديدي » .

٨- فنقيث صوم نينوى والصوم الاربعيني

ورد في آخر هذا المجلد ما تعريبه عن السريانية « تم نسخ هذا الكتاب في ايام مار اغناطيوس شكرالله ومار ايونيس كارس رئيس دير مار بهنام تاج الشهداء سنة ٢٠٤٢ يونانية ١٧٣١م بيد الراهب كوركيس بن جمعة بن عبدالمسيح » .

ثم ورد بخط كرشوني ما نصه « انكتب هذا الكتاب الى قرية سميل (١) لبيعة العذراء مارت مريم ، في ايام القسان قس صليبا وقس ايشوع اخو مطران كارس والوكيل عبدو ابن باشا في سنة ٢٠٤٢ يونانية ، وهو من مال البيعة وما له احد دعوة ام طلبة فيه .

٩- صلوات لأزمنة النوائب والآفات .

ينطوي هذا المخطوط على صلوات استغاثية او تكفيرية تتلى في آونة المحن المختلفة ، كانحباس المطر او انتشار وباء ، كتبه المطران كارس رئيس دير مار بهنام في اثناء مطرانيته سنة ٢٠٥١ يونانية ١٧٤٠م وأهداه الى بيعة والدة الله في قرية بيث خديدا وفيه يأتي على ذكر الرهبان المقيمين معه وهم الرهبان : اشعيا وكوركيس وبهنام وبهنو وصليوا وسبتي وابراهيم ، ويردف انهم جميعاً من قرية بيث خديدا .

١٠- فنقيث الصوم

للمطران كارس ، مجلد آخر في مكتبة قرهقوش يتضمن صلوات الصوم الاربعيني

---

١) لكنيسة سميل مخطوط ثان محفوظ في مكتبة كنيسة قرهقوش يحوي فرض الالم الخلاصي كتبه حبش بن الشماس جمعة بن القس ايليا الباخديدي سنة ٢٠٤٥ للاسكندر ١٧٤٤م

ورد فيه : « صلوا على كارس الذي كتب هذا الكتاب في سنة ٢٠٥٥ يونانية ١٧٤٤م ».

الفصل الخامس

مكتبة كنيسة مار كوركيس في قرەقوش

١- في كنيسة مار كوركيس في قرەقوش مخطوط يشتمل على فرض الصوم ورد فيه : « كتب في دير مار بهنام تاج الشهداء وسارة اخته ورفاقه الاربعين شهيداً سنة ٢٠٣٠ لليونان ١٧١٩م بيد يلدا بن اسحق من قبيلة جهنشا ابن اخت المطران هداية الله شمو وكان رئيس الدير يومئذ القس كوركيس بن جمال الدين .

ويلي ذلك بالحرف الكرشوني : « فلما كان في تاريخ سنة ٢٠٣٣ للاسكندر ١٧٢٢م اشترى هذا الكتاب بولس ابن كوركيس مع امرأته سارة في مقدار عشر اسدي وأوقفه الى بيعة الطاهرة مريم بيث خديدا .

٢- بين محتويات هذه المكتبة مخطوط ثان للاعياد المارانية جاء فيه ما ترجمته : « كتبه كوركيس بالاسم قسيس وراهب من قاسطرة بيث خديدا في دير مار بهنام سنة ٢٠٤١ يونانية ١٧٣٠م في ايام الابوين البطريرك شكرالله وايونيس كارس والرهبان اشعيا ويوحنا والشماس بهنو والمبتدئين صليبا وقرياقوس وسركيس ».

ويلي ذلك كمل وأنجز الكتاب بيد القسيس يلدا بن اسحق سنبول من قبيلة جهنشا في سنة ٢٠٢٨ لليونان ١٧١٧ م في دير مار بهنام وأهداه الى دير مار يوحنا الديلمي .

٣- وفيها كتاب النوافير جاء فيه : انه كتبه الراهب كوركيس بن جمعة (احد رهبان دير مار بهنام) لبيعة مار قرياقوس في قرية بيث خديدا المباركة في بلد الموصل كتبه في بيعة مارت شموني والسبعة بنيها ولعازر معلمهم سنة ٢٠٣٩ يونانية ١٧٢٨ م في عهد مار اغناطيوس شكر الله ومار ايونيس كارس مطران قرية بيث خديدا .

٤- حوت هذه المكتبة كتاباً ثميناً موسوماً « بقيقباريس » يقرأ فيه بحرف

كرشوني مانصه : «سبب تحرير هذا التاريخ ان يعلم كل من يقف عليه انه في سنة ٢٠٥٦ يونانية ١٧٤٤م قد اشترى حنا هذا كتاب الانجيل من يد كردي وأوقفه الى دير القديس مار بهنام عن روحه وروح ابيه عبدالله وامه زيانة وامرأته شمية وهو من قرية بخزانة على زمان الحقير مطران كارس ، وما له احد تسلط عليه حتى يطالعه من دير القديس مار بهنام بنوع البيع او السرقة ام بغير انواع و كلمن يطمع عليه بسبب هذه الاسباب يكون محروم من ٣١٨ ابهات القديسين ونار من السماء تقع عليه وعلى جنسه والوب يكتب اسمه مع يوربهام الذي ما انذكر في الارض مثل اثمه وخطيته ، ويليه ختم مار ايونيس مطران دير مار بهنام الذى هو كارس .

٥- ضمت هذه المكتبة مجلدا خامساً يشتمل على جناز الكهنة والشمامسة والرهبان جاء فيه ما ترجمته عن السريانية : «كتب بعناي القس بهنو رئيس دير مار بهنام والرهبان الساكنين معه وهم الربان بهنام والقس ابراهيم والشماس صليوا والمبتدئين افرام وسبتي وجمعة وكاتب هذا الكتاب هو ابرهيم بن القس يعقوب من اسرة بيت عطا الله (١) كتبه في دير مار بهنام تاج الشهداء سنة ٢٠٧٠ يونانية ١٧٥٩م » .

الفصل السادس

مخطوطات مكتبة دير مار بهنام في شتى الانحاء

١- مخطوط في مكتبة دير الشيخ متي يشتمل على نوافير القداس ورد فيه ما تعريبه عن السريانية : « كتب بيد الشماس كوركيس بن جمعة (أحد رهبان دير مار بهنام) من قرية بيث خديدا في أيام البطريرك شكرالله وايونيس كارس والرهبان اشعيا ويوحنا وبهنو وصليبا وسركيس لكنيسة مريم الطاهرة سنة ٢٠٤١ يونانية ١٧٣٠ م » .

٢- وفي كنيسة القديسة شموني في برطلة مخطوط موسوم «بالرتب المارانية جاء فيه ما

---

١) لابرهيم هذا مخطوط في الطب بالعربية والسريانية تم نسخه سنة ١٧٥٣م وهو محفوظ في المكتبة البطريركية السريانية في بيروت نمرة ٢٦٧

تعريبه :« كتبه الربان كوركيس في دير مار بهنام بطلب من رئيس الكهنة القس بنيامين بن بهنا سنة ١٩٢١ يونانية ١٦١٠ م ».

٣- في الموصل سفر جليل ينطوي على العهدين القديم والجديد بقلم المفريان بهنام الباني جاء فيه بالخط الكرشوني : « كتبه الراهب بهنام الباني في محبسة مار بهنام المطلة على دير الزعفران سنة ١٦٥٢ م وابتاعه جهور من الموصل وقره قوش وأوقفوه على دير مار بهنام وقفا مؤبداً ويردف قوله بان هذا المصحف قد اختلس من الدير وأعاده اليه رئيس الدير الربان شمعون والربان عيسى وباقي الاخوة سنة ١٦٧٠ م .

٤- وفي الموصل مخطوط ضخم في الرهبانية وأعمال النسك يعرف بكتاب أثناسيوس أبي غالب اسقف جيحان (١١٧٧م) خط في المئة السادسة عشرة كان المطران كارس قد ابتاعه لرهبان دير مار بهنام سنة ١٧٢٨م(١).

٥- وفي المكتبة الواتيكانية مخطوط آرامي نسخه يوحنا الراهب في دير مار بهنام سنة ١٥٧٨م(٢).

٦- وفي مكتبة برلين مخطوط جاء في آخره :« انتهى هذا كتاب بيث كاز (مجموعة الالحان) نسخه الراهب زكى بن يوحنا الخديدي في دير مار بهنام مهزم الشياطين لمتي بن عبا سنة ١٦٤٧ (٣) .

٧- وفي هذه المكتبة مخطوط ثان ورد فيه بالحرف الكرشوني :« أوقفه كاتبه الخوري يوحنا المعروف بالزباني على دير مار بهنام بقرب باخديدا من أعمال الموصل عن غفران خطاياه وعن روح المرحوم شماس عبد المسيح ولده وهو وقف مؤبد لا يباع ولا ولا يسرق وكل من أخفاه يقاصصه المسيح مع اليهود أعداه آمين سنة ١٩٧٤ يونانية ١٦٦٣م. » (٤)

---

١) اللؤلؤ المنثور ص٣٩١
٢) المكتبة الشرقية للسمعاني المجلد الاول عدد ص٥٨٦
٣) فهرس المخطوطات السريانية في مكتبة برلين عدد ١٥٤ ص٤٨٠
٤) فيها ايضا عدد ٢١١ ص٦٨٩

٨- بين مخطوطات دير الشرفة مجلد موسوم «بكتاب الاباحيث» ورد فيه :«تمت الرسالة وما معها في ١٢ أيار ١٦٨٠ بيد هدايا بن شمو (أحد رهبان دير مار بهنام) من قرية خوديدا (قرهقوش) بناحية آثور .» (١)

الفصل السابع

مكتبة دير مار بهنام في عصرها الاخير

رأينا في سياق الكلام ان المفريان الياس بن هندي كرمة رئيس هذا الدير كان قبل سفره الى دير الزعفران في نحو سنة ١٨١٩م ، لقبول الكرامة المفريانية ، قد أخفى ، في خزانة سرية ، أثاث هذا الدير الثمينة وكتبه النفيسة، وانه عند عودته الى الموصل قصد توآ الى دير مار بهنام بفئة من شبان قرية برطلة ونخبة من رجال قرهقوش مدججين بالسلاح ، وأخرج تلك الكتب والآنية الثمينة من مكمنها وحملها على خمسة عشر بغلا ورجع قافلا الى الموصل ، فاختفت ولم نقف لها على أثر (٢) غير مخطوط واحد كرشوني موسوم «بالفردوس العقلي» تأليف مار غريغوريوس النازينزي ، نسخه في هذه الفترة الراهب هندي بن اسحق زورا الموصلي (البطريرك سمعان زورا) سنة ١٨٠٦م وهو اليوم مصون في خزانة دير مار بهنام الخطية الحالية .

---

١) الطرفة في مخطوطات دير الشرفة رقم ١٤/٩ ص١٩٢/١٩٣ والسريان في القطر المصري ص٥٩-٦٠

٢) انباء الزمان ص٥٥ وعناية الرحمن ص٤٥١

الباب العاشر

دير مار بهنام في عصره الاخير

الفصل الاول

دير مار بهنام في حوزة السريان الكاثوليك

بعد الكارثة الاليمة التي حلت بدير مار بهنام ، في نحو سنة ١٨٢٠ ، ظل هـذا الدير زهاء عشرين عاما قفراً ، وحشاً ، لا ديار فيه يأوي اليه شذاذ الآفاق وتربض فيه الانعام والبقر والاغنام ويخزن المزارعون ضمنه غلاتهم ، وقد جعلوه حصنا منيعا يصدون عن انفسهم هجمات الغزاة الاشقياء الطارئة .

وفي سنة ١٨٣٩م جرت قسمة الاوقاف في ابرشية الموصل بين الطائفتين السريانيتين في عهد المثلث الرحمة غريغوريوس عيسى محفوظ مطران الموصل (١) «١٨٢٦-١٨٥٥» الذي كان من جملة رهبان هذا الدير يوم نهبه ، فكان دير مار بهنام من نصيب السريان الكاثوليك (٢) وثبت ثبوتاً ناجزاً في حوزتهم ، فشمله المطران عيسى بعنايته ورمم سنة ١٨٤٦م جانباً منه كان قد انهار (٣) وتعهد حراسته حتى وافته المنية .

وقد حذا حذوه خلفاؤه من بعده فكانوا يرسلون اليه ، كلما حالفتهم الظروف ، من يقيم فيه لدفع الاعادي عنه . فكان هذا تارة رجلا قرهقوشيا وطوراً من الموصل

١) هو عيسى بن عبد الله بن القس ابراهيم عبد الجليل وامه ترازيا محفوظ . ولد في الموصل سنة ١٨٠٠ وبعد ما لبس الاسكيم الرهباني في دير مار بهنام ، لجأ الى دير الزعفران حيث ارتسم مطرانا على اورشليم سنة ١٨٢٦ ثم انضم الى الكثلكة بعد سنة مع زميله المطران يوليوس انطون سمحيرى . وفي سنة ١٨٣٧ عين راعيا شرعيا لابرشية الموصل ورقد بسلام الرب في ١٥ ايلول ١٨٥٥ (السلاسل التاريخية ص١٤٢/١٤٣ والكوكب الدري ٦/١٢).

٢) عناية الرحمن ص٥٤٤/٥٤٦

٣) » » ص٥٦٨

ومن هؤلاء الحراس رجل قرهقوشي يدعي اسحق اقام فيه نحو ١٥ سنة ، ومنهم ايضا يونو زهرة القرهقوشي ، فمكث فيه نحو سنتين ، فحنا لوزة الموصلي ، وكان آخرهم ميخا بن بطرس راشد الموصلي ، فسكن فيه هو وعائلته نحو ١٥ عاما ولم يغادره حتى بعد افتتاحه بعامين . واما غذاؤهم فكانوا يجمعونه ، كل سنة ، من قرهقوش ، يضاف اليه الاسعافات والنذور التي كانت تأتيهم من زائري الدير مقدمين الفائض عن حاجتهم لراعي الابرشية . وكان يترددالى الدير في هذه الحقبة الخواجا الياس الصائغ الموصلي صاحب قرية بساطلية المجاورة للدير ويقيم في غرفة شادها فيه لسكناه هدمت سنة ١٩٢٧ .

اما عقارات الدير الواسعة المحيطة به ، بعد ان مسته أعادي الزمان وخلا من رهبانه انتقلت الى أيد غريبة فاستملك قسما منها جرجس الوكيل السرياني الموصلي والقسم الآخر دخل في حوزة حاصود شيخ الدليم الذي استوطن حينذاك هذه البقعة ولم يمض زمن حتى عجز جرجس المذكور عن تأدية ضريبة الأملاك المفروضة عليه للحكومة وذلك لرداءة المواسم الزراعية اولا ثم لامتناع مزارعيه عن دفع الطابو له ، فاضطر ان يتخلى عنها للجليليين لقاء أربعة آلاف غرش يدفعونها للخزينة وغادر الدير وقد أقام فيه نحو عشرين عاما . وكان في غضون هذه المدة قد انهار الجدار المحاذي للكنيسة في الفناء الخارجي فاعاد بناءه جرجس المذكور اكراما للامير الشهيد عن شفاء ابنه (١) .

الفصل الثاني

الزوار والمستشرقون الذين زاروا دير مار بهنام في هذه الحقبة

على رغم ما لحق بدير مار بهنام من الخمول والذبول وما حل به من الخراب والدمار فقد حافظ على اتساع شهرته في البلدان الشرقية الفسيحة . فقد جاء عن القس سليمان بن الشدياق حنا الحلبي انه بحجة ان يعلن كثلكته بارشاد السيد ميخائيل جروه وخوفه من البطريرك متى ١٧٨٢-١٨١٧ تظاهر انه يريد زيارة ضريح مار بهنام بآثور فسافر الى

١) نقلا عن شيوخ ثقة

الموصل (١) . فيستنتج من هذا الحادث انه وان لم يكن هدف القس سليمان المذكور الحقيقي من سفره الى الموصل زيارة ضريح مار بهنام اغا في ذلك دليل واضح على ما كان يتمتع به هذا القديس من شهرة واسعة وما كان لديره من مركز رفيع في الأقطار الشرقية جمعاء.

ظل دير مار بهنام خلال هذه الفترة كسالف عهده كعبة لذوي الحاجات وقبلة انظار المبتلين بالأسقام والعاهات ومحجاً للزوار يأتونه من كل صوب وحدب حاملين النذور والهدايا تبرهن عن اجلالهم واعتبارهم لولي الله صاحب هذا الدير الأثري . يلمع الى ذلك السيد قورلس بهنام اخطل اسقف كرسي هذا الدير(١٧٩٠-١٨٢٨)الذي أرسل الى لبنان بواسطة الخوري جبرائيل زعتري المقيم بحلب ما أمكنه جمعه من شعب الموصل لتوسيع دير الشرفة ليكون معهداً للاكليريكيين الناذرين معتذراً للبطريرك ميخائيل جروة عن قلته بان أبناء رعيته قد اعتادوا على تقديم نذورهم وزكاتهم الى ديري مار متى ومار بهنام الشهيد (٢) .

هذا ولم يكن دير مار بهنام في هذه الحقبة كعبة لذوي الحاجات فحسب بل كان محجاً للسياح . فقد مر به عدد من المستشرقين ومنقبي الاثار من جملتهم نيبوت الفلكي الدانيمركي *Niebuth* سنة ١٧٦٦ (٣)والاب دومينيكو لانزا (٤) وجاء في مذكراته :

«زرت بمعية بعض المسيحيين ديراً لليعاقبة يدعى « خضر الياس » يبعد هذا الدير عن الموصل ما يقارب الست ساعات بالقرب من قرية قرهقوش . ان هذا الدير واسع الاطراف يحيط به حائط عال ، في وسطه كنيسة على الطراز القديم ، مزينة بعدة صور قديسين على شكل فرسان مسلحين بالحراب ، كما اعتاد الرسامون ان يصوروا القديس كوركيس . وبالقرب من الكنيسة غرف حقيرة لسكنى الرهبان (اثنين او ثلاثة) وللاضياف من الغرباء الذين يؤمون الدير . اما الزوار الذين يزورون الدير مدفوعين

١) عناية الرحمن صفحة ٢٧٣
٢) فيه ايضا صفحة ٣٨٤
3) *Reise V. II p. 368*
٤) دومينيكو لانزا راهب دومنيكي ايطالي له في الموصل اقامتان الاولى من سنة ١٧٥٤-١٧٦١ تخللها سفره الى القسطنطينية سنة ١٧٥٦ والثانية من سنة ١٧٦٤-١٧٧٠ ، طالع مجلة النجم السنة ١١ سنة ١٩٥٠ ص ٤٤

بعوامل العبادة في بعض موسم السنة ، فيحتمون في الكنيسة من حر النهار وفي الليل يلتحفون السماء حسب عادة البلاد ».

« بالقرب من الدير أثر جميل لبناية قديمة ، وهو اليوم تحت الارض، ومن المحتمل ان بناية ضخمة كانت تعلوه . يدخل المرء الى هذا القبو من باب منخفض ضيق ، وعلو البناية يزيد قليلا على قامة انسان ، شكلها مدور او بالاحرى مثمن الزوايا بحجم اربعين قدما على وجه التقريب ، حيطانها مغطاة بالمرمر الاسود الجميل المزخرف وهناك عدة أعمدة ضخمة داخلة في البناء من المرمر عينه ويحتمل حسبما يروي بعضهم ان احد سراة التجار من المواطنين شيد هذا القسم المذكور بعد عودته من بلاد الهند واراد ان يدفن فيه (١) » .

وقد زاره وريج الانكليزي Rich حوالي سنة ١٨٣٤ (٢) وبادجر Badger (٣) ولايرد Layard (٤) الانكليزيين في نحو سنة ١٨٤٤ وروى بادجر انه رأى الدير مأهولا ببعض الاكراد وقد تماثلت أبنيته الى التداعي . ثم زاره عام ١٨٥٢ فكتور بالاس Place الفرنسي ورآه خاليا من السكان قفراً مهجوراً (٥) وعقبه فلكس جومس Jomes سنة ١٨٥٧ وجاء في كتابه ما ملخصه : صمد هذا الدير مراراً امام الهجمات التي كان يشنها عليه البدو وجنود الاتراك وزرت معبده وهو قبة نظيفة ومزخرفة بقطع رخام متداخلة فيها كتابات من الطراز السطرنجيلي، ويقال انها تتصل بنفق مع الكنيسة ، وهنالك في كنيسة الدير زخارف رخامية وكتابات ومدارج وعليها كلها تاريخ قديم جداً وانها مخلفات ثمينة للغاية (٦).

---

١) مذكرات دومينيكو لانزا ، ترجمة القس روفائيل بيداويد ، مجلة النجم السنة الحادية عشرة ص١٨٠ .

2) *Residence V. II, p. 97-98*

3) *The Nesterians V. I, p. 94-96*

4) *Nineveh and Babylon p, 169*

5) *Ninive et l'Assyrie V, II p, 171*

6) *Topography, p, 471-472*

اما المستشرق الفرنسي بونيون Pognon فقد زاره عام ١٨٩٣ ، وذكر انه لقي فيه حارسا واستطرد الى قوله انه وجد الدير على شكل مستطيل تحيط به ابنية متداعية مع انها حديثة العهد وفي وسطه باحة فسيحة تحدق بها جدران عالية هي له بمثابة سور ثم زاره ثانية بعد افتتاحه(١) وهناك غيرهم كثيرون نعرض عن ذكرهم .

الفصل الثالث

حالة دير مار بهنام قبل تجديده

ظل دير مار بهنام نيفاً وثمانين سنة مهجوراً ١٨٢٠-١٩٠١ ولم تجر فيه التعميرات التي تقتضيه حاله العمرانية حرصاً على صيانته من إحن الدهر وكوارث الطبيعة ، فتثاقل عليه وقر السنين وعملت فيه المؤثرات الطبيعية مفعولها المحسوس فحصلت على أثرها تآكلات عميقة في قواعد جدرانه ، تغلغلت الى حد بعيد في بعض أقسامها ، فتداعت أبنيته وتقوضت أركانها . وعقب ذلك انهدام بعض السقوف والجدران . فاستولى على هذا الدير البلى والخراب وصار في وضع بات معه التغاضي مما لا يرتاح له الضمير ولا يطمئن له قلب .

واقتصرت أبنيته حينذاك عدا الكنيسة على غرفتين يتوسطها ايوان فوق مدخل الدير شرقا يحاذيها جنوبا ايوان في صدره غرفة صغيرة فيها نافذة تطل على معبد الجب . وكان بين الفنائين اصطبل تعلوه غرفة واحدة . اما الفناء الداخلي المعروف « بحوش الرهبان » فكان خربا تتراكم فيه أنقاض أبنية متهدمة تنعق فوقها البومة وتأوي فيها الأفاعي والحيات .

هذه كانت حالة هذا الدير لما تسنم المثلث الرحمة البطريرك مار اغناطيوس افرام الثاني رحماني الحميد الذكر أريكة بطريركية انطاكية ، وذلك في ١٦ تشرين الاول سنة ١٨٩٨-١٩٢٩ .

Les Inscriptions Semitiques p, 132 (1

الفصل الرابع

دير مار بهنام والبطريرك أفرام الثاني رحماني

يمم هذا الحبر الشهم عام ١٩٠٠ وطنه الموصل فزار دير مار بهنام في أثناء ذلك ولما أبصر أنقاضه وما صار اليه بعد الشهرة والنضارة ، حفزته الغيرة لعمرانه واعتزم ان يعيد اليه سالف عزه موجهاً اليه باكورة أنظاره ، فاستنجد العون الآلهي بعيون دامعة وأخذ في العمل منذ حزيران ١٩٠١ ، فحصنه وأصلح كنيسته وابتنى فيه غرف شتى وانتقى فئة من الشبان ممتازين بالورع يأوون اليه مزاولين أعمال التقوى والعبادة ، فصار معهداً للتسابيح الآلهية بعدما كان مهجوراً لا تغشاه سوى البهائم .

ثم اشترى له عقاراً واسعاً بمساعدة اهل البر والاحسان أوقفه على هـذا الدير ليضمن لساكنيه المعيشة وله العمران المطرد ، ثم شمله بعناية ممتازة اذ ظل ينفحه طيـلة مدة بطريركيته باسعافات متواصلة قياماً بأود رهبانه ، فسجل له بذلك صنيعة تذكـر فتشكر ما تعاقبت الايام وكرت الاعوام (١) .

ثم زار غبطته هذا الدير ثانية في ١٨ آب ١٩١٠ تصحبه حاشية كبيرة مؤلفة من علية القوم وكان ذلك اليوم مشهوداً من أشرف الايام التاريخية التي رآها هـذا الدير وأقام فيه ثلاثة ايام فقر عيناً بما توسمه فيه من دلائل النمو والعمران . وفي أثناء اقامة غبطته فيه فتح سجلا يوقع فيه الزائرون اسماءهم الكريمة مع خواطرهم وكتب في صدره :

«قد زار البطريرك أفرام رحماني دير مار بهنام وفي رفقته السيد القاصد الرسولي مار يوحنا درور والمطران ميخائيل بخاش مطران دمشق والمطران غريغوريوس بطرس هبرا مطران الموصل والقنصل الفرنساوي وقرينته ومدير الديون العموميـة والدكتور حنا افندي خياط وجمهور من الكهنة وذلك في ١٨ آب الى ٢١ منه. »

---

١) السلاسل التاريخية ٣٩٢ــ٤٠٠ والزهرة الذكية ١٠٨ــ١١١ ومجـلة الآثار الشرقية مجلد ٣ ص ٢٢٨

الفصل الخامس

بعد خمسين عاما

خمسون عاما مضت على افتتاح دير مار بهنام «١٩٠١-١٩٥١» كان في خلالها معهداً للتسابيح الآلهية بعدما كان مهجوراً لا تغشاه سوى البهائم .

خمسون عاما مضت على افتتاح هذا الدير أصبح في خلالها مقصداً للغادين والرائحين من أبناء الملة وسواهم من الزوار والضيوف توافدوا اليه من أنحاء مختلفة ورائدهم الحب الخاشع والصلاة .

خمسون عاما مضت على هذا الحادث الجلل والدير يخطو في سبيل الرقي والفلاح الى الامام تكلأه عين الرحمن ويتهالك في نجاحه وازدهاره حب عظيم طافح وغيرة وقادة فاصبح صرحا فخما منيعاً يربض في وسط هذه الحقول الفيحاء كأمنع الحصون بفضل الجهود التي بذلها الرؤساء الذين تولوا ادارته تباعا. ولسيادة المطران جرجس دلال السامي الوقار مأثرة فريدة في هذا المضمار واليد الطولى في ترميم هذا الدير وتوسيعه وجعله مفخرة ومزاراً .

تبلغ مساحة دير مار بهنام اليوم نحو خمسة آلاف متر مربع فطوله ينيف على ثمانين متراً وعرضه ٦٠ متراً . يتممه بستان من الجهة الشمالية تبلغ مساحته ستة دونمات. للدير مدخل فخم في ضلعه الشرقي يتقدمه بهو جميل وهو يتألف من فنائين فسيحين (خارجي وداخلي) .

ففي الفناء الخارجي ٢٥ غرفة عليا وسفلى معدة للزوار . تقع كنيسة الدير التاريخية في الجناح الشرقي من هذا الفناء ومن أبنيته القديمة في ركنه الجنوبي ردهة فسيحة مستطيلة على شكل كنيسة يغلب على الظن انها انشئت في القرن الخامس عشر يوم كان هذا الدير مركزاً للمفارنة ، وربما كان ذلك قبل هذا العهد .

وفي هذا الفناء ايضا صهريجان-عدا البئر- تخزن مياه الشتاء لشربها صيفا ، والماء يجري اليها من التل المجاور بواسطة قنوات من الاسمنت حفرت تحت الارض .

أما الفناء الداخلي فهو لسكنى الرهبان ، في وسطه بستان جميل زرع فيه الكثير من اشجار الزيتون ، ويتصل بالفناء الخارجي بواسطة بابين تفصل بينهما ست غرف مع ايوان تحتها سرداب .

وفي الناحية الشمالية من هذا الفناء ثماني غرف امامها رواق .

اما الضلع الجنوبي فهو من احسن واتقن عمارات الدير بناء .

فقد شيد من طابقين فخمين من وضع أب بندكتي في القدس، اخصائي في عمارة الديورة .

العمارة الجديدة « منظر من الداخل »

فالطابق الارضي مكون من ردهة واسعة فسيحة ينزل اليها باربع درجات طولها ٣٤ متراً وعرضها ١٠ امتار . وفي الردهة صفان من اساطين حلان تعلوها ٢٣ حنية، ترتكز عليها ٢٣ عقدة مقببة، بني فيها سبع غرف مع ايوان، وفي احدى حجراته مكتبة عامرة .

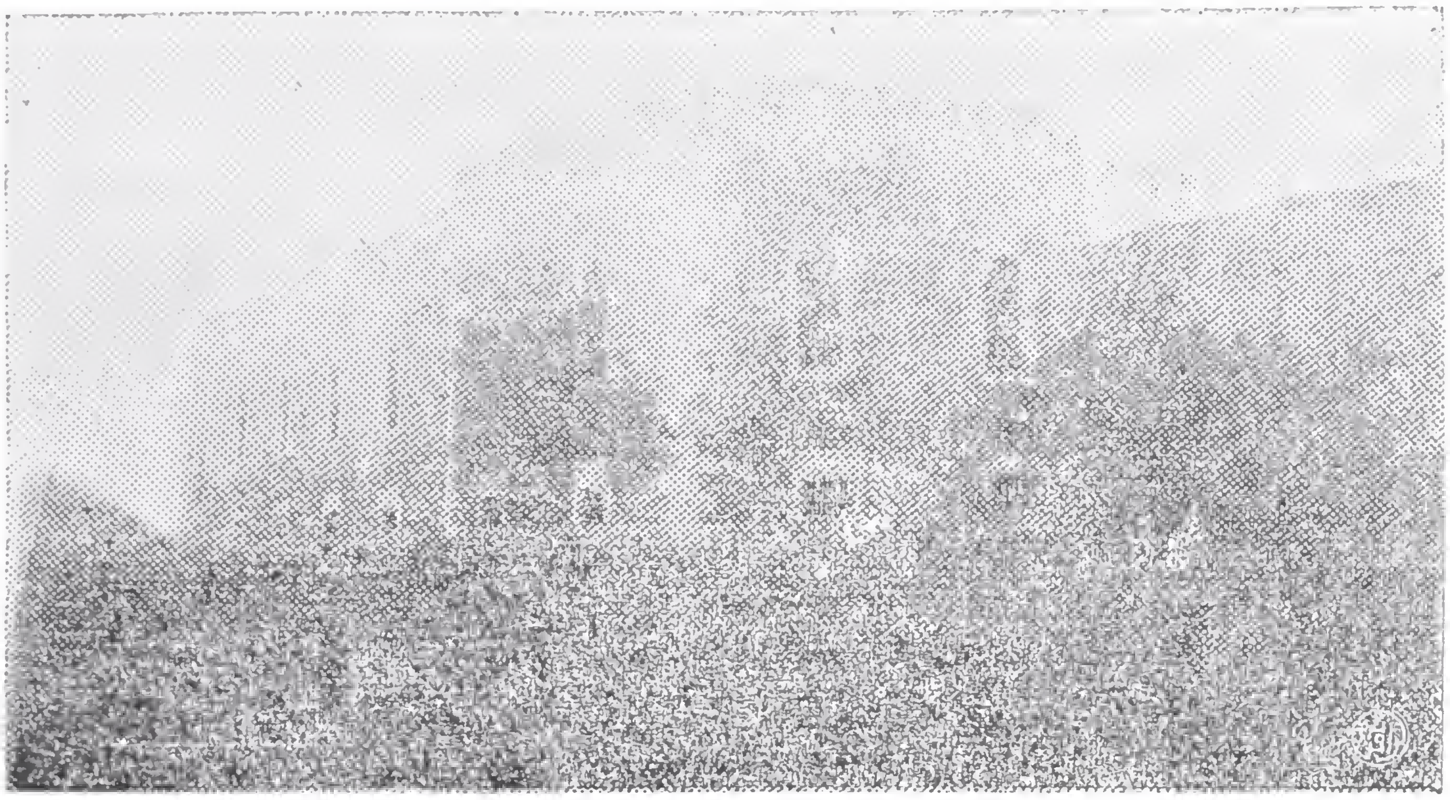

العمارة الجديدة « منظر خارجي »

الفصل السادس

مكتبة دير مار بهنام الحالية

تجدد مع تجديد عمران دير مار بهنام مكتبة اناف عدد مخطوطاتها على المائة والخمسين مجلداً ، وتجاوز عدد المطبوعات فيها على أربعة آلاف كتاب .

اما المخطوطات فأغلبها آرامية وتليها العربية ، وفيها مخطوط واحد فارسي ومخطوطان باللغة التركية .

تحتوي هذه المؤلفات على مواضيع دينية ، ولاهوتية، وصلوات الفروض وطقوس بيعية ، وفيها شروح بعض فصول او فقرات من الكتاب المقدس وغيرها من آثار الملافنة كمار افرام ومار اسحق ومار يعقوب السروجي ويعقوب الرهاوي ومارقورلس الاسكندري وموسى ابن كيفا وابن العبري وابن بهلول وعبد يشوع الصوباوي وتراجم بعض القديسين ، وفيها من كتب الكيمياء والعقاقير والطب وعلم الفلك، وعلاوة على ذلك فيها بعض كتب في علمي الصرف والنحو ، الى غير ذلك من الابحاث .

أقدم مخطوط في هذه المكتبة، هو سرياني، يرقى الى المئة الثالثة عشرة ويتضمن

ميامر ورسائل للآباء المتوحدين في برية الصعيد واخبار الرهبان ، ويليه مصحف آخر يشتمل على الصلوات الفرضية لايام الصوم الكبير ، وهو من مطلوبات خزانة كتب قرەقوش عام ١٥٠٨ وقد اشتراه الربان عبد المسيح الموصلي لكنيسة الطاهرة في الموصل كما ورد في احد هوامشه .

اما سائر المجلدات ففيها من القرن الخامس عشر ومنها من السادس عشر وبعضها من السابع عشر فما دون .

اما المطبوعات ، فمعظمها عربية ، فآرامية ، ففرنسية ، فتركية ، وفيها بعض كتب لاتينية ، فانكليزية ، فالمانية ، وايطالية ، وبرتغالية ، واسبانية . ويدور البحث فيها على شتى العلوم المختلفة ، من فلسفية ولاهوتية ، والكتاب المقدس وشروحه ، ومنها كتب في الحياة الروحية ، وخطب وارشادات ، وفي الشرع الديني والمدني ، وجدلية ، وفقهية وادبية ، ولغوية ، وعلمية ، في الطب والفلك والكيمياء والطبيعيات والحساب ، ومعاجم بلغات مختلفة : سريانية وكلدانية وعربية وفرنسية ولاتينية وايطالية وانكليزية وتركية . وهي أشبه بنواة لمكتبة اوسع ، والهمة مبذولة لرفع مستواها وانماء ثروتها الادبية بحيث تتناسب ومركز الدير التاريخي والنهضة العصرية .

نختتم هذه المقالة مستنهضين همم هواة الادب ودعاة العلوم والمعارف من محبي هذا الدير ، على ان يذكروا هذه المكتبة ويذخروا لهم فيها ذكراً مجيداً ، بتقديمهم لها كتباً في أي موضوع كان وباية لغة كانت من مخطوطات او مطبوعات ، اسوة بسواهم من الاسخياء الذين اتحفوا وما برحوا يتحفون مكتبة الدير ، بنفائس الكتب ، فغنموا ويغنمون الثواب من الله والشكر والثناء من الناس .

الفصل السابع

المحسنون على دير مار بهنام في عهده الجديد

خمسون عاماً مضت على افتتاح دير مار بهنام واصل خلالها سيره الحثيث نحو مجده التالد بخطى واسعة جبارة بفضل ما والاه به زائروه العديدون على اختلاف المذاهب والملل من النذور والتقادم وبما جاد ويجود عليه المحسنون من مساعدات جمة وامدادات

وافرة بسخاء حاتمي وأريحية فريدة.

وفي مقدمة من يفتخر الدير باحسانهم السعيد الذكر البابا بيوس الحادي عشر، اذ نفح هذا الدير سنة ١٩٣٦ بستمائة دينار لترميم كنيسته الاثرية الخالدة كان ذلك بادرة نهضته الجديدة الاخيرة.

وفي جملة من يفتخر الدير باحسانهم المتواصل الذوات الكرام الاجاويد السادة رفولي وجبوري وميخائيل آل حنا الشيخ الاماجد في العمارة والسري الاريحي السيد سركيس باكوس مدير شركة الدخان الاهلية في بغداد، والوجيه الامثل السيد ناصر توني يوحانا في البصرة فانهم يمدون الدير سنة فسنة باسعافات عينية قيمة فضلا عن النقدية.

وفي هذا المقام يجدر بنا ان نخص بالذكر السيد نعوم فتوحي توني من أهالي البصرة الساكن الآن في جاميكا - نيويورك بالولايات المتحدة - فانه أوصى بسهم لهذا الدير من ملكه في البصرة المعروف باوتيل سميراميس الكبير والارض الملتصقة به.

وان ننسى فلن ننسى ما لآل عبيدة الأفاضل من المكارم المأثورة في هذا الدير، ولولا ضيق المجال لاستوعبنا ذكر كافة الذوات الذين لهم اليد البيضاء في عضد هذا الدير وتوفير أسباب نجاحه وخاصة الاحسانات المتواصلة الجارية من مصادر وضيعة ومن أصل مال يسير لا من فضلات الثروة، وما تقدم الدير وعمرانه إلا صوت ناطق بمآثر هؤلاء المحسنين الاجواد وما تيهم المأثورة.

ولما كانت معرفة الجميل عاطفة سامية غرستها يد العناية الآلهية في قلوب البشر عموماً، فادارة الدير تعتبر ان عليها واجباً مقدساً ان تجاهر بشكرها الجزيل لكل من مد ويمد يد المعونة لهذا الدير مهما كانت ضئيلة وقليلة، وان عجزنا عن ايفاء حق الشكر يستره دعاء خاشع تصعده دوماً أفئدة سكان هذا الدير الاوفياء على المذبح المقدس في كنيسة هذا الدير وأمام ضريح الامير الشهيد الباسل واخته سارة ورفاقه الاربعين شهيداً.

وفي ختام هذا المقال نعطر أسطرنا هذه برفع آيات الحمد لله عز وجل على نعمه مع تكرار اسداء الثناء والدعاء لجميع المحسنين الغيورين الذين بذلوا الغالي والنفيس في سبيل ازدهار هذا الدير ورفع شأنه أثابهم آله الرحمة وينبوع النعم على مبراتهم أجراً جميلا وجعل مقرهم في السعادة الخالدة بين الابرار، انه تعالى سميع جواد.

القسم الثاني

جـــولة

في آثار

دير مار بهنام الشهيد

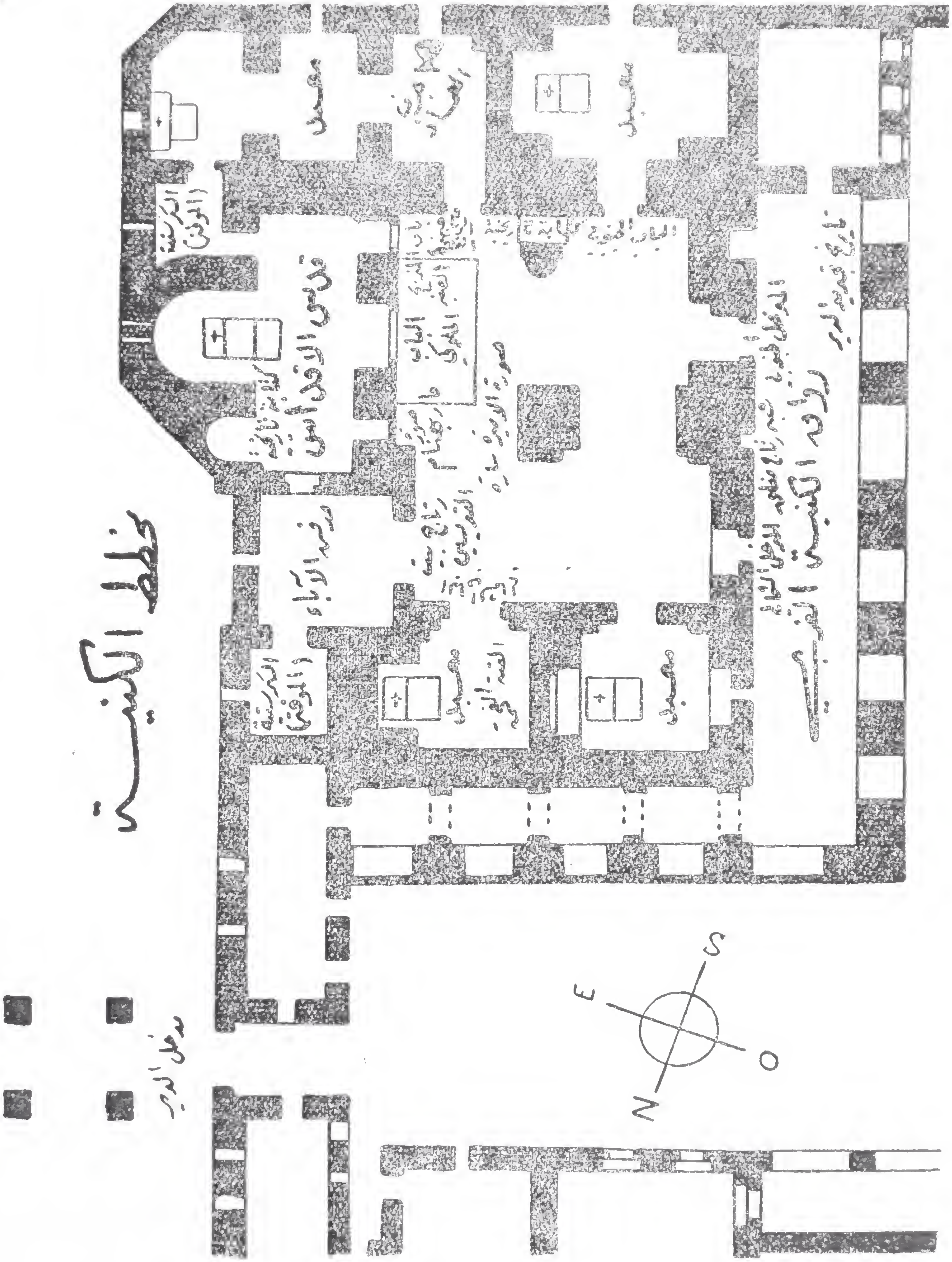
مخطط الكنيسة
E
S
O
N

الباب الاول

درس تحليلي لآثار دير مار بهنـــام

الفصل الاول

مخطط كنيسة دير مار بهنام الحالية

تقع هذه الكنيسة كما ذكرنا في الضلع الشرقي من الفناء الخارجي ، يبلغ طولها مع أقسامها كافة ٢٣ متراً وعرضها ٢٠ متراً . في ضلعها الغربي رواق يبلغ طوله ٢٠ متراً وعرضه ٦٠ر٤ امتار . يستند هذا الرواق الى اربع دعائم مربعـة ضخمة رفعت عليها ثلاث عقد مقببة شاهقة وفيه واجهة الكنيسة الرائقة بزخرفها الأنيق وريازتها الرائعة . للكنيسة بابان كبيران يتوسطها شبه رتاج ظريف الصنع، جليل الفن ، وداخل الكنيسة يتألف من صحن واحد يكاد يكون مربعاً.

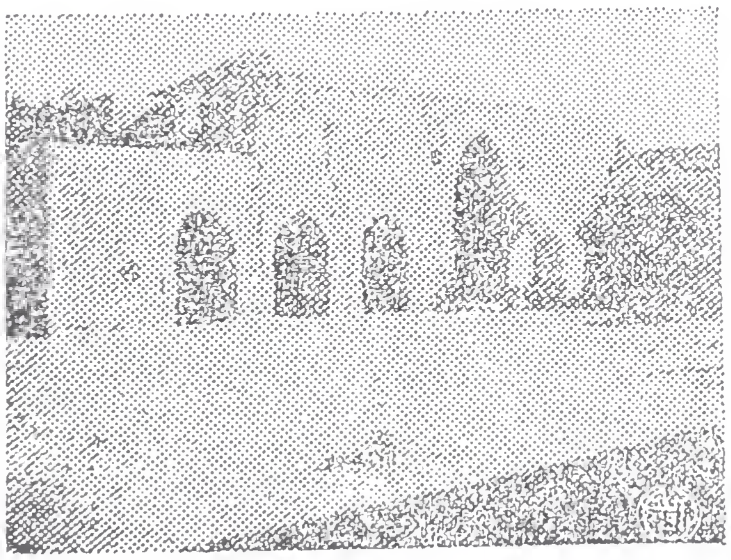

رواق الكنيسة (منظر خارجي)

وفي الصحن ساريتان احداهما في الوسط مربعة ضخمة ، والثانية في جانب منها وهي أشبه بنصف اسطوانة . يعلو كلا منها حنيتان شاهقتان متجهتان من الشرق الى الغرب . وسقف الصحن قبتان بيضاويتان مستطيلتان .

وفي شرقي الصحن يقع بيت القدس يجاوره شمالا بيت القديسين يجتاز اليه بباب صغير .

وعلى كل من جانبي الصحن الشمالي والجنوبي مصليان متوازيان هما ازدان

مدخلها بنقوش مزوقة متنوعة الزخرف والكتابات والصور على رخام منقطع النظير بلونه وصلابته .

كانت هذه المعابد معقودة باشكال بديعة مزخرفة بطراز خاص ممتاز يقرن سلامة الذوق بالجمال لا تزال بعضها قائمة .

الفصل الثاني

مخطط هذه الكنيسة القديم

يعتقد هنري بونيون المستشرق الفرنسي ان هذه الكنيسة كانت في أول عهدها على غرار كنيسة دير العمر(١) اي مؤلفة من سوق واحدة مستطيلة الشكل يقع بيت القدس في ضلعها الشرقي وعلى جوانبها الثلاثة الاخرى أروقة فيها أبواب يجتاز منها الى الكنيسة .

ثم أردف قائلا انها رممت ووسعت وربما جددت برمتها في القرن الثاني عشر او الثالث عشر . فازيحت الاروقة وانشئت مكانها المعابد الحالية متصلة بالكنيسة مع أبوابها الفخمة . وهنا يعترف بونيون بانه يجهل عهد هذا التطور ولا يمكنه تعيينه بالتدقيق لقلة ما في يده من مصادر التاريخ (٢) .

وقد وافق على هذا الرأي المثلث الرحمة البطريرك افرام رحماني الحميد الاثر(٣).

لا يجمل بنا معاندة هذا الرأي ولكن هذا لا يمنعنا من ان نقول انه يستند على الحدس والتخمين ويفتقر الى دلائل لاثباته .

غير اننا بعد درس وتدقيق نرى ان عهد ترميم كنيسة دير مار بهنام او توسيعها

---

١) « دير العمر » هو المعروف بدير « قرتمين » او دير « مار جبرائيل » نسبة الى اسقفه مار جبرائيل (+ ٦٦٧) شرقي مذيات مسيرة اربع ساعات عنها وهو اشهر ديورة طورعبدين ، وتعد كنيسته من افخر كنائس تلك الديار واقدمها ، بناه الناسكان مار صموئيل ومار شمعون عام ٣٩٧م ولا يزال عامراً .

٢) *Les Inscriptions Semitiques, Pognon, p. 132-134*

٣) مجلة الاثار الشرقية مجلد ٣ السنة ١٩٢٨ ص ١٩٠

هو أقدم مما ذهب اليه بونيون . ان هذا العهد يرتقي الى قبل القرن الثاني عشر ، وقد يكون في عصر الحمدانيين اللامع «٩٠٥-٩٧٧م» وليس بعده . لان ايام دولة البويهيين «٩٤٥-١٠٥٥» فامارة بني عقيل التي عقبتها «٩٩٧-١٠٩٥م» وعهد تملك السلجوقيين «١٠٩٥-١١٢٧م» كانت كما أسلفنا ملوثة بالدماء ومليئة بالاضطرابات ومسرحا لسلسلة حروب غير منقطعة . وكانت الويلات نصيب الوصل من هذه الكوارث فخربت البلاد ونهبت القرى ومات من الاهالي خلق كثير جوعا وقتلا(١) .

فنستخلص مما تقدم انه يستبعد بل يتعذر القيام بمثل هذه الانشاءات في ايام كثر شرها وعمت بلاياها وساءت أحوالها .

فالمستقصي البصير والمحقق الخبير يرى ان هذه الكنيسة نشأت عند توسيعها ، باربع أسواق تتوسطها ثلاث سوار تحمل أقواسا شاهقة من الشرق الى الغرب .

ثم سدت هذه الاقواس بهذه الابواب الحالية في الأحقاب التالية ويكون هذا قد تم ، في القرن الثاني عشر وما يليه ، في عهد الاتابكيين الزاهر (١١٢٧-١٢٥٨٠م) كما ألمنا اليه في سياق كلامنا . وقد قام بهذه العمليات سكان الدير ، اما تفاديا من خطر سقوط الكنيسة وانهيارها ، واما رغبة في تجميلها وتنميق زيارتها اكراما للامير الشهيد لما كان يتمتع به من واسع الشهرة وعظيم القدر والاجلال في الاقطار الشرقية عامة كما بينا ذلك عند بحثنا في تاريخه .

فبرزت الكنيسة بشكلها الحالي ، جامعة بين متانة البناء ووسامة الشكل ، تحيط بها معابد صغيرة شمالا وجنوبا بدليل ان هذه الأبواب لا تؤلف وحدة عمرانية مندمجة بالأقواس الكائنة الى جوانبها بل هي ملتحمة بها التحاما .

فيسوغ لنا والحالة هذه ان نجزم في القول انها لم تبن كلها في آن واحد وفي ان الابواب انشئت بعد بناء الكنيسة بعهد يتعذر علينا تحديده والغالب ان ذلك كان في عهد الاتابكيين الزاهر ولا يتعداه وذلك للتضامن التام والتشابه الكلي الظاهر بين زخارف

---

١) ابن الاثير ج ١٠ ص١٣٨ وج ١١ ص٤٥ وتاريخ الدول السرياني ص٢٣٨ وتاريخ الموصل ١: ١٣١-١٦٥

هذه الآثار وبين مخلفات الاتابكيين العمرانية في عهدهم .

قال الدكتور محمود الأمين الملاحظ الفني في مديرية الآثار القديمة العامة بهذا الصدد : ان هذا النوع من التزيينات والزخارف التي تمثل صوراً لحيوانات كالتنين والثعابين المفتولة المتصارعة التي تدل على القوة والصور الآدمية التي تمثل الشخصيات البارزة ومناظر الصيد ثم رؤوس لحيوانات كاسرة اخرى مما تمثل القوة والبطش كرؤوس الأسود ، كل هذه وان كان القسم الاكبر منها من خواص فن العراق القديم التي اختفت في ادوار الفتوحات العربية الأولى ، فقد ظهرت وبرزت تدريجياً على أثر تماس العرب بفتوحاتهم مع أقوام أواسط آسيا كاقوام تركستان التورانيين والمغول والصينيين والهنود مما أدى هذا الاحتكاك الى ان يتأثر الفن العربي بقسم من خواص ومميزات الريازة والزخرفة في الهندسة المعمارية والصناعات الدقيقة والنقوش على الخشب والمعادن وذلك اعتباراً من اواسط القرن الثالث الهجري ولا سيما بعد ان أخذ النفوذ السياسي الشرقي لعناصر ترجع في أصلها وحضارتها وثقافتها الى هذه البلاد المذكورة يتفاقم تدريجيا في بلاط خلفاء بني عباس واستقدام هؤلاء بنائين ومعماريين وصناع من التتر والمغول والأقوام الشرقية . ويتجلى هذا النوع من الفن التوراني والمغولي في قسم من آثار سامراء وبالاخص في الزخرفة والنقوش والرسوم التي وجدت على أواني الفخار من البربوتين في سامراء .

على ان هذا النوع من الريازة المصورة بدأ يظهر ويبدو بوضوح في واجهات المباني العربية كالقصور والأطواق وابواب المدن والأبراج وفي الصناعات الاخرى من الاواني المعدنية وصناعات الخشب على أثر سقوط بغداد ودخول العراق في حوزة المغول ، فاصبح الطابع الخاص لكثير من المباني الرئيسية التي أنشأها خلفاؤهم من دول المماليك الذين حكموا في العراق وفي بلاد اخرى من بلاد الشرق الادنى كالسلاجقة والعناصر التورانية والمغولية الاخرى التي استقرت في آسيا الصغرى واكسبت الفن المعماري العربي بهذا النوع من الفن والزخرفة .

اما في العراق ، وعلى الاخص في شماله ، فان هذا النوع من التزيينات المصورة

والتي أشرنا اليها ، فانه يتجلى بوضوح في الآثار التي تركها لنا الاتابكيون في المباني والنقود والصناعات المعدنية والخشبية ولا سيما في مبانيهم في الموصل كبلاطهم قره سراي وفي ميان قائمة اخرى في بلدة سنجار ، وقد شمل هذا التأثير من فن الريازة المصورة آثاراً اخرى غير اسلامية ومنها دير مار بهنام في جوار الموصل .

الفصل الثالث

عهد الانشاءات المضافة الى بناء الكنيسة بعد توسيعها

مما لا شك فيه ان هذه الاضافات الانشائية بدأت في الربع الثالث من المئة الثانية عشرة على عهد الاتابكيين اللامع «١١٢٧-١٢٥٨م» وانتهت بانهيار الدولة العباسية وسقوط بغداد على يد هولاكو عام ١٢٥٨م .

والدليل على ذلك لوحة حجر في جدار بيت المقدس الشرقي هي أقدم كتابة تاريخية في هذا الدير جاء فيها ما ترجمته عن السريانية : « تجدد وكمل هذا المذبح بمساعي الرهبان سنة ١٤٧٥ يونانية (١١٦٤ م) و ٥٥٩ للهجرة » .

فاذا أمعنا النظر في أوضاع هذه المباني التي هي اضافات تدعيمية والتي تكون كنيسة الدير في حالتها الحاضرة يلوح لنا انها لم تشيد كلها في آن واحد انما تمت في أزمنة مختلفة كل منها على حدة بمعزل عن سواها . ذلك لما يبدو بينها من التباين سواء أكان في الوحدة او الريازة او الكتابة . واذا اضفنا الى هذا التباين اختلاف اسماء البنائين والنحاتين والرهبان الساعين فيها بدت لنا الحقيقة بانصع مجاليها .

ومن المؤكد ان بيت المقدس وواجهة الكنيسة الغربية الخارجية شيدا سنة ١١٦٤م بدليل ان منشئيها هما أبو سالم وأخوه ابراهيم ، كما تشير الكتابات السطرنجيلية المنقورة فيها . وربما أنشىء الرتاج الجنوبي من هذه الواجهة قبل الاقسام الاخرى ببضع سنوات لاختلاف في الكتابة وعدم التحام تركيب حجارتها .

ثم ان الرتاج الاول الواقع في الناحية الجنوبية ، داخل الكنيسة ، والجدار

الرخامي الممتد منه شرقا حتى قاعة الرتاج الجنوبي الثاني الفخم ، شيدا ترميما قبل عام (١٢٩٥م) ، ودليل ذلك ان في هذا الجدار كتابة حفرت في رخاماته ، بعد انشائه ، تخليداً لذكرى زيارة بيدو خان لهذه الكنيسة في السنة المذكورة ١٢٩٥ م .

واما الرتاج الثاني الفخم الواقع في الناحية الجنوبية ايضا ، ويضاف اليه باب بيت المقدس الصغير والجدار الرخامي الممتد منه شمالا حتى عضادة باب قدس الاقداس الملكي فيبدو انها كانت أول بناء أنشيء بين هذه الزخارف والاضافات التدعيمية للتباين الظاهر في الفن والتحام رخاماتها . ثم اذا لحظ المرء الى ترقيش الكتابة فيها ، يرى انه شرع الكاتب بكتابة قانون الايمان ولم يتممها ، عند انشاء رتاج قدس الاقداس الملكي ، لداع مجهول، يزداد رسوخا في هذا الرأي، لانه لو شيد هذا الجزء بعد رتاج قدس الاقداس او في آن واحد لنقش قانون الايمان برمته دون ان يعدل عن تتمته ويباشر بنقش الصلاة الربية .

اما رتاج بيت القديسين او مدفن الآباء فلا يختلف كثيراً في العهد عن هذه الأبواب للتلاؤم الموجود بينها كتابة ونقشاً ودقة .

يليه عهداً الباب الشمالي المتصل به لاستناده اليه ولخلوه من الزخرف اذ يظهر ان زخارف هذه الكنيسة كلها او بعضها قد نقشت بعد تركيب الحجارة بدلالة ثلاث قطع رخام تركت نافرة في أعلى هذا الباب لا لداع غير تكييفها في المستقبل على شكل معين .

ومما يحسن الاشارة اليه بهذا المقام ان الاسطوانة الجنوبية شيدت بعد عهد توسيع الكنيسة بزمن غير قليل لتقوية البناء وضمان بقائه عند انهيار السقف القائم عليها لاتساعه. فاقيمت هذه الاسطوانة وركز عليها قوسان عريضان اسندا الى ضلع الكنيسة الجنوبي وأقيم عليها اخيراً السقف الحالي. ويلاحظ مثل هذه الاضافات في سائر أقسام الكنيسة في عدة من أجزائها .

ثم ما هو جدير بالتلميح اليه اخيراً هو ان رواق الكنيسة الغربي حديث بالنسبة الى باقي أقسام الكنيسة . وأدلة ذلك جلية لا تترك مجالا للشك فيها من ذلك :

١ - ان هذا الرواق غير مندمج بالكنيسة بل مستند اليها . واثر هذا الاستناد

يبدو للعيان جلياً في البنيان الذي يعلو سطحه وهو الفاصل بين عقده وجدار الكنيسة .

٢- يلاحظ في الجبهة العليا للبنيان المذكور بقايا بعض زخارف جبسية في أعلى جدار الكنيسة قد حجب معالمها عن الابصار هذا الرواق الممتد أمامها . فلو لم تكن الكنيسة أقدم عهدا من هذا الرواق لما انشئت هذه الزخارف.

وقد يكون ان هذا الرواق انشيء عام ١٦٦٠م يوم تجديد هذا الدير كما تشير اليه لوحة رخام مثبتة في احدى سراياه.

وفي الختام وما يجب لفت النظر اليه هو ان هذه الكنيسة قد استطاعت أن تصمد ازاء عوادي الزمان طيلة هذه المدة وظلت آثارها التاريخية مصونة على الرغم من كل العصور وتفاقم حدثان الزمان تباعا ولا نستغرب ذلك اذا لحظنا ثخونة جدرانها البالغة في بعضها مترين ونصف متر ، هذا فضلا عن الدور الادبي الذي لعبه صاحب هذا المقام في المجتمع الشرقي عبر الاجيال .

الفصل الرابع

مواد البناء

ان جميع أقسام الكنيسة مشيدة بالآجر (الطابوق) والجص حتى ان المناطق والسقوف معقودة بها .

غير ان الرخام يكسو القسم الاسفل من بعض جدرانها على علو يتراوح على الاكثر بمقدار متر ونصف متر ، لكنه يرتفع اكثر من ذلك في جوانب الابواب حيث يتعالى معها فيؤلف اطارا حول كل منها مزخرفا بارزا ذا اشكال متنوعة يتراوح عرض هذا الاطار بين متر ونصف متر.

أما الجدران فطلية بالجص وهذا الطلاء يأخذ في بعض الامكنة اشكال زخارف هندسية تلوح نماذجها جلية في بعض جدران الكنيسة العالية .

ويلاحظ ايضاً تعدد طبقات استحدثت في هذا الطلاء على مر الاعوام وكر

الدهور ..

كما يلاحظ خلف الزخارف الجصية سلسلة مسامير مغروسة في الجدران . ولا شك في ان القصد منها كان ضمان التصاق الزخارف بالجدران التصاقا تاما ، لا يترك مجالا لانفصالها عنها وسقوطها منها .

الفصل الخامس

خصائص هذه الآثار

١- تتوافر في هذه الكنيسة ابواب الرخام الفخمة تحيط بها كتابات منمقة رائعة وعلى جوانبها نقوش نافرة مستظرفة تنتشر بينها صور مختلفة مستبدعة فيتألف من هذا المجموع متحف يوحي بما كان لهذا الدير من مجد أثيل وعمران زاه ..

٢- تمتاز هذه الابواب بتركيب رخامات اسكفتها من قطع عديدة مسننة على اشكال اصص متداخلة الاضلاع بمهارة فريدة مع تناسق جامع واحكام متقن .

٣- تنفرد هذه الاسكفات بانها تتألف من طابقين مجوفين اشبه بقوس موتور . والغاية من هذه الريازة القاء عبء البناء على عضادات الابواب حرصا على الاسكفة السفلى .

٤- وهناك بين هذه الآثار قبة فخمة يمتاز سقفها بريازة ونقوش غريبة لا مثيل لها في سواها من الاثار . وكانت سائر القبب على شاكلتها بيد انها تهدمت مع توالي الاحقاب ولدينا صورة اخذت لاحداها قبل انهيارها .

٥- من آثار معبد الجب الفريدة كتابة ايغورية (اي تركية قديمة) يرتقي عهدها الى صدر المئة الرابعة عشرة ، وهي تعلو قبة الضريح ويقال انها الكتابة الوحيدة من نوعها التي اكتشفت في الديار الشرقية .

٦- ومن آثار الجب ايضا البارزة كتابة ارمنية قديمة محفورة على لوحة رخام بديعة الشكل تعذرت قراءتها وحل رموزها حتى اليوم .

الفصل السادس

مقام هذه الآثار في الشرق المسيحي

اذا ما اطلع القارىء اللبيب على هذه اللمحة الخاطفة في وصف آثار دير مار بهنام وتمثل رسومها ، تحقق ثروتها التالدة وتيقن انها في طليعة الآثار المسيحية وأمجدها في الديار الشرقية قاطبة بل عدها أجلها مقاما وأنفسها آثاراً وأروعها فناً وأغناها ثروة وأبقاها على الايام ثبوتا ومضاء لما تحويه من النقوش وصنوف الزخارف وانواع الكتابات المختلفة والريازة المنتشرة في أرجائها منقورة او محفورة على جص او رخام (١) .

وزد على ذلك محافظتها على نفاستها التاريخية ومفاخرها المستبدعة سالمة من تصاريف الزمان حيث لم يحل بها من الدمار ما حل بغيرها من الاثار التاريخية بل ظلت قائمة تجابه الحوادث صامدة هازئة وخرجت منها شديدة العزم والمضاء تروي على مسامع الدهر قصص الغابرين وهي ترسل نظرات مطمئنة واسعة الى المستقبل المجهول الذي لا شك في انه سيكون سعيداً بهمة رجال هذه الأمة الغيارى المخلصين .

ولهذا كانت هذه الكنيسة ولما تزل موضوع اعجاب روادها من غربيين وشرقيين وقدرهم اياها حق قدرها مضفين عليها عقود مدح والثناء العاطر على اولئك العباقرة الذين خلفوها لنا وللاجيال القادمة تراثا حياً خالداً . وقد كتبوا عنها باسهاب وكالوا لها الثناء المستطاب واستفاضوا بوصفها وما كتاباتهم هذه الا براهين حية ناطقة على ما نقول (٢) .

---

١) مجلة الاثار الشرقية المجلد الثالث ص١٨٩-١٩٠ وعصر السريان الذهبي ص٣٤-٣٥

٢) اذا اردت معرفة المستشرقين الذين زاروها وكتبوا عنها راجع :

1) Badger : The Nestorians and their rituals V. I. P. 94-97
2) Place : Ninive et l'Assyrie P. 171
3) Riche : Residence V. II. P. 75
4) Layard : Nineveh and Babylon P. 169
5) Niebhur : Reise V. II, P. 368
6) Fletcher : Notes from Nineveh V. II, P. 28-78
7) Felix Yones : Topography, P. 471

قال بونيون : « يرجح ان هذه الكنيسة هي اجمل الكنائس الاثرية التى اتيح لي مشاهدتها ، فمضادات الابواب واسكفتها وبعض جدرانها مزدانة بنقوش وزخارف وكتابات ناتئة بحروف سطرنجيلية رائعة، واني لمعتقد بان ليس في الشرق أثر عربي للقرن الثاني عشر او الثالث عشر اجمل منها » . اما بروسير بعد وصفه الدير قال : « اما الاهتمام الاعظم فيلتفت حالا الى الكنيسة ذات الهندسة المهمة للغاية والتماثيل المنحوتة». وقال المستر لوك : « ان هذا الدير هو احد الآثار المسيحية الاكثر اهمية فى العراق».

وكتب عنها السيد أمجد العمري قال :«لي الشرف بانني زرت دير مار بهنام وقبره الذي في الجب فوجدته فضلا عن مزيته الدينية آية في الهندسة والتاريخ ، وقدأدهشتني النقوش والفسيفساء والكتابات المنقوشة والمسطورة في جميع اركان الكنيسة ورخاماتها البديعة الصنع ، ولا سيما تراكيب الرخام المتواصلة التي تعجز عن الاتيان بمثلها الامم الراقية في هذا العصر . ولقد حنيت رأسي امام همة اجدادنا الشرقيين الذين لا زالت آثار مدنيتهم باهرة الى يومنا هذا .

قضت الدهور وما استحال شبابها   فكأنها لا تعرف التغيرا »(١)

وكتب ايضا السيد قسطنطين بني صاحب مجلة منرفا « بيروت » قال :

« ان في الوقوف امام هذه الآثار الخالدة عبرة وموعظة للابناء في التضحيات الدينية التى قام بها اجدادهم دفاعا عن الدين ، فليجاهد الابناء اليوم دفاعا عن الوطن ، لان محبة الوطن من الايمان، فسلام على الآباء الخالدين والابناء المجاهدين» (٢) . هذا قليل من كثير نورده اثباتا الى ما نحن اليه ذهبنا .

---

8) Pognon : Les Inscriptions Semitiques P. 132-142
9) Preusser : Nordmesopotamische Bandenkmaer P. p 3-13
10) Baron Max oppenhaim.
11) Bell : Amurath to Amurath P. 262-263
12) Budge : By Nile and tigris P. 97-98
13) Harzfeld ; Forschungen Zur Islamischen Kunst.
14) Luke : Mosul and its Minorities P. 118-119

١) سجل الزائرين ٢ تشرين الثاني ١٩١٩
٢) فيه ايضا ١٤ نيسان ١٩٣٢

ويكفي هذه الكنيسة فخراً أنها تشرفت بزيارة عواهل البيت الهاشمي الأثيل الكريم المحتد، فقد زارها سمو الامير زيد في ٢٥/٧/٢٣ واكتفى بتوقيع اسمه الكريم في سجل الدير. واما المغفور له باني مجد العراق جلالة الملك فيصل الاول فكتب:

« قد زرت هذا الدير في يوم ٩ تشرين اول سنة ٩٢٣ ». فيصل

والمغفور له جلالة الملك علي والد سمو الوصي المعظم دون:

« زرت هذا الدير وانسريت لما شاهدت من الآثار والحفاوة ٢٠-٨-٩٢٦ »

الشريف علي

والمغفور له جلالة الملك غازي وكان يومذاك ولياً للعهد كتب:

« زرت هذا الدير المقدس وقد سررت جداً لما شاهدته من الحفاوة والتكريم من رهبان الدير سائلا المولى لهم التوفيق والنجاح في أعمالهم » ٢١-٧-٣٠ (غازي)

هذا ما عدا الوزراء والاعيان وعلية القوم وذوي الرتب العالية لمختلف جيوش العالم في كلا الحربين والمستشرقين الباحثين والسياح من مختلف الاقطاب الشرقية والغربية واميركا وجماهير غفيرة من البلدان المختلفة ما زالت تتوافد لزيارتها من كل حدب وعلى اختلاف الملل والنحل والامم والاجناس واللغات.

وسجلات الدير افصح لسان ناطق بذلك وهي تعج بما يختلج في خواطرهم من اعجابهم البالغ بروعة جمال هذه الآثار الممتازة فعبروا عنها بلغات عديدة منها: «العربية والسريانية والتركية والانكليزية والفرنسية والالمانية والايطالية واللاتينية والاسبانية والروسية والبولونية والفارسية والنروجية والارمنية والهندية والعبرانية والكردية وحتى اللغة اليابانية مما ينم عن جليل اعتبارهم اياها وعظيم شغفهم بها.

تفاصيل وصف هذه الآثار

تنقسم هذه الآثار الى ثلاثة اقسام :

اولا - آثار رواق الكنيسة الغربي .

ثانيا - آثار الكنيسة الداخلية .

ثالثا - آثار معبد الجب .

***

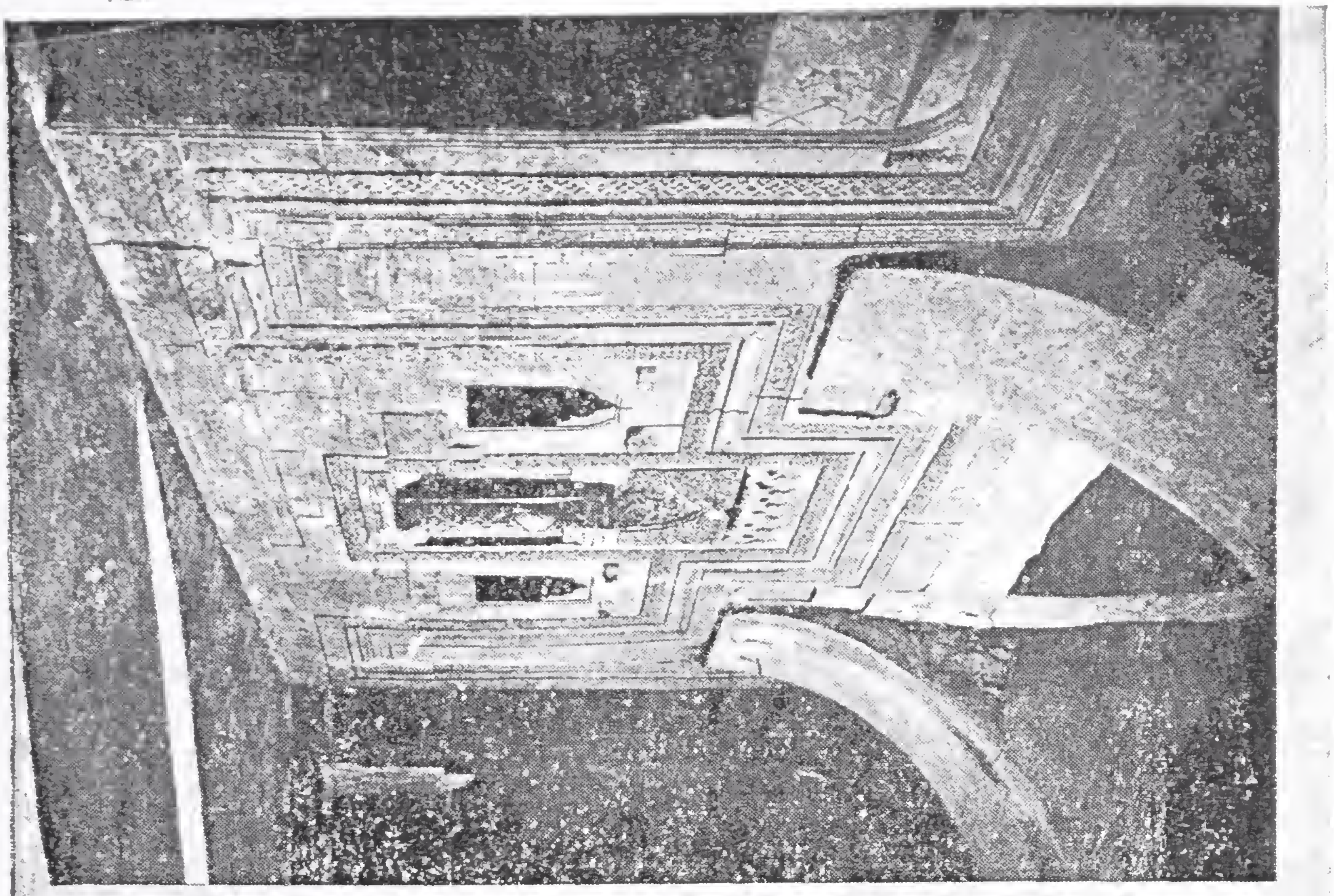

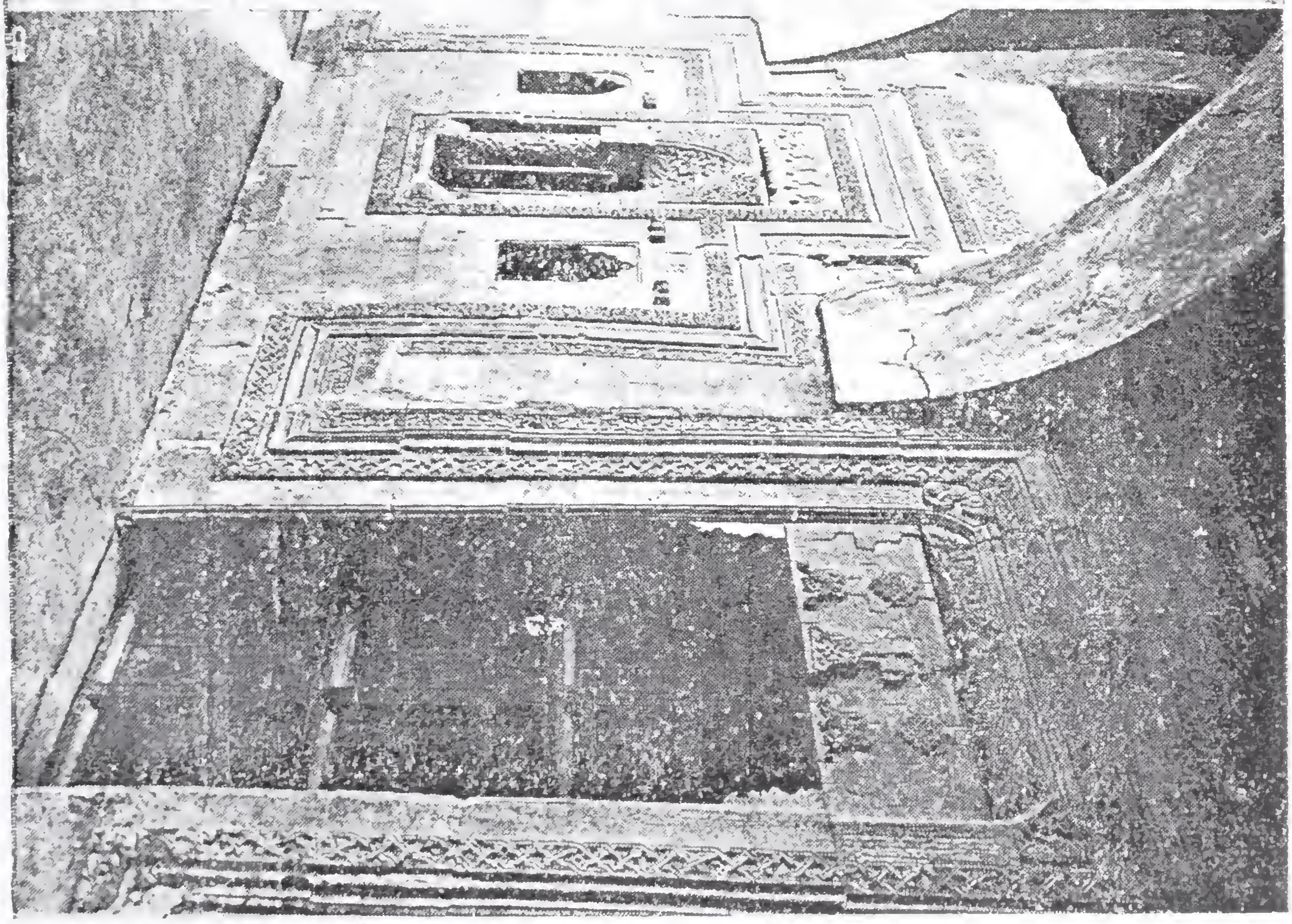

الباب الثاني

رواق الكنيسة الغربي

يقع هذا الرواق في الناحية الغربية للكنيسة (يجتمع فيه الرهبان لاقامة الصلوات الفرضية في الصيف) وهو رواق واسع يبلغ طوله ٢٠ متراً وعرضه ٦٠ر٤ من الامتار في هذا الرواق نجد بعض آثار تاريخية وفيه ايضا واجهة الكنيسة الرائعة البالغ طولها ٥٠ر٩ امتار وتشتمل ١- على مدخل الكنيسة الجنوبي ٢- على شبه رتاج مغلق ٣- على مدخل الكنيسة الشمالي .

الفصل الاول

آثار هذا الرواق التاريخية

١- في آخر دعامة منه ، على علو ثلاثة امتار ، لوحة رخامية نقش عليها بالكرشونية (١) تاريخ تجديد الدير وهذا نصه حرفياً :

---

١) لقد خيل الى البعض ان الكرشوني او الجرشوني (الكاف والجم فيهما يلفظان كالجيم المصرية) هي لغة قائمة برأسها اذ يقول : « هذا يكلمنا بالكرشوني » وما الكرشونية الا العربية بنفسها كتبت الفاظها بالابجدية السريانية لا غير وقد استعملها السريان اما لجهلهم الابجدية العربية او اخفاء لاسرارهم في مراسلاتهم او كتما لمعاني كتبهم الطقسية .؟

ويمكن تأويل لفظة جرشوني استناداً الى مدلولها السرياني اللغوي بنوعين. فبالنوع الاول نتخذها اسما مصغراً للفظة قريش تصغير قرش : لما كان الحرف الاول لهذه الكلمة يختلف باختلاف لهجات القبائل العربية فيكون قافا وغيناً وجيما مصرية وان لفظه بالغين والجيم المصرية هو لفظ الجامل السريانية اذ تلفظ تارة غيناً وتارة جيما مصرية فنقل السريان هذه الكلمة الى لغتهم بالجيم المصرية فقالوا فيه (جرش) ولما علموا ان (جريش) هو تصغير جرش ، صغروا اللفظة بموجب تصغير اللغة السريانية بزيادة واو ونون في آخره فقالوا (جرشون) ثم وضعوا في آخره ياء النسبة للدلالة على اللسان القريشي اي العربي فقالوا فيه (جرشوني) .

واما بالنوع الثاني فنعتبرها اسما منسوبا بياء النسبة السريانية لا غير ويكون معناه اللسان الاجنبي

«باحكام الله تعالى الغامضة غير المدركة، لما كان لتاريخ سنة ١٩٧١ يونانية ١٦٦٠م تجدد هذا الدير القديس بهنام باهتمام الاخوة الغيورين ربان يلدا (١) وربان كوركيس وباقي الاخوة وصار علية الف قرش دين بعد».

٢- وفي أسفل صدر الرواق تاريخ وفاة راهب بالحروف السريانية الغربية ترجمته: «المجد للكريم الدائم. انتقل اخونا الراهب من هذا العالم الزائل غرقاً في مياه عين الجرب ففعلت فيه رائحة كبريتها فعلها. تعب وكد بلا ملال في هذا الدير المقدس مدة خمس سنوات وتلألأ بما كنز من ثروة الفضائل، ولما ترامى الينا نعيه أفضنا الدموع التياعا. ألا يا رب اغفر ذنوب عبدك واقبله في خدر النور. انتقل يعقوب بن داود مقدسي ايلو الموصلي في ١٥ تموز سنة ١٩١٠م»

٣- وفي اسفل صدر الرواق تاريخ وفاة راهب آخر بالحروف السطرنجيلية (١) تعريبه: «باسم الله الحي والمحيي، مات وغادر العالم الارضي منتقلا الى العالم الروحي اخونا البار الربان دانيال البتول النقي وهو شماس وكاهن وتوفي اثناء وباء سنة ١٨٩٢ بموجب حساب اسكندر ذي القرنين ١٥٨١م فمن يقرأ هذا التذكار يطلب المغفرة لهذا الراهب قائلا: ايها الرب الغفور اصفح عن عبدك يوم البعث.»

٤- وهناك في جدار الكنيسة الغربي على علو مترين قطعة ظريفة من القاشان زرقاء اللون طولها ٢٥سم وعرضها ٤٥سم نقش في وسطها ثلاثة ايائل بيض تحف بها نقوش ناتئة تشبه اغصانا مورقة، ويظن انها من آثار العصر العباسي.

٥- ويلي ذلك الى الاسفل قطعة من الرخام حفر عليها بالكرشونية: «هذا التاريخ

نسبة الى (جرشون) وهو اسم علم لاحد ابني موسى كليم الله وقد اعطاه اياه والده ليدل به على انه ولد له في ارض غريبة (سفر الخروج الفصل ١٨ عدد ٣، طبعة الموصل) فيكون اذاً معنى (جرشوني) هنا اللسان الغريب والمراد به اللسان العربي الذى اجبر السريان على النطق به بعد الفتح العربي (طالع مجلة الحب والسلام - حمص - الجزء السادس سنة ١٩٣٦ ص ٢٧١/٢٧٦)

١) المفريان مار باسيليوس يلدا الخديدي: ولد في قرهقوش «باخديدا» ورسم مطرانا للموصل نحو سنة ١٦٨٠ فمفريانا ثم سافر الى ملبار الهند سنة ١٦٨٣ وفيها توفي.

٢) الخط السطرنجيلي او المفتوح ويقال له الخط الثقيل والرهاوي استنبطه بولس بن عرقا الرهاوي في اوائل القرن الثالث وهو اصل القلم العربي الكوفي (اللؤلؤ المنثور ص٢٦)

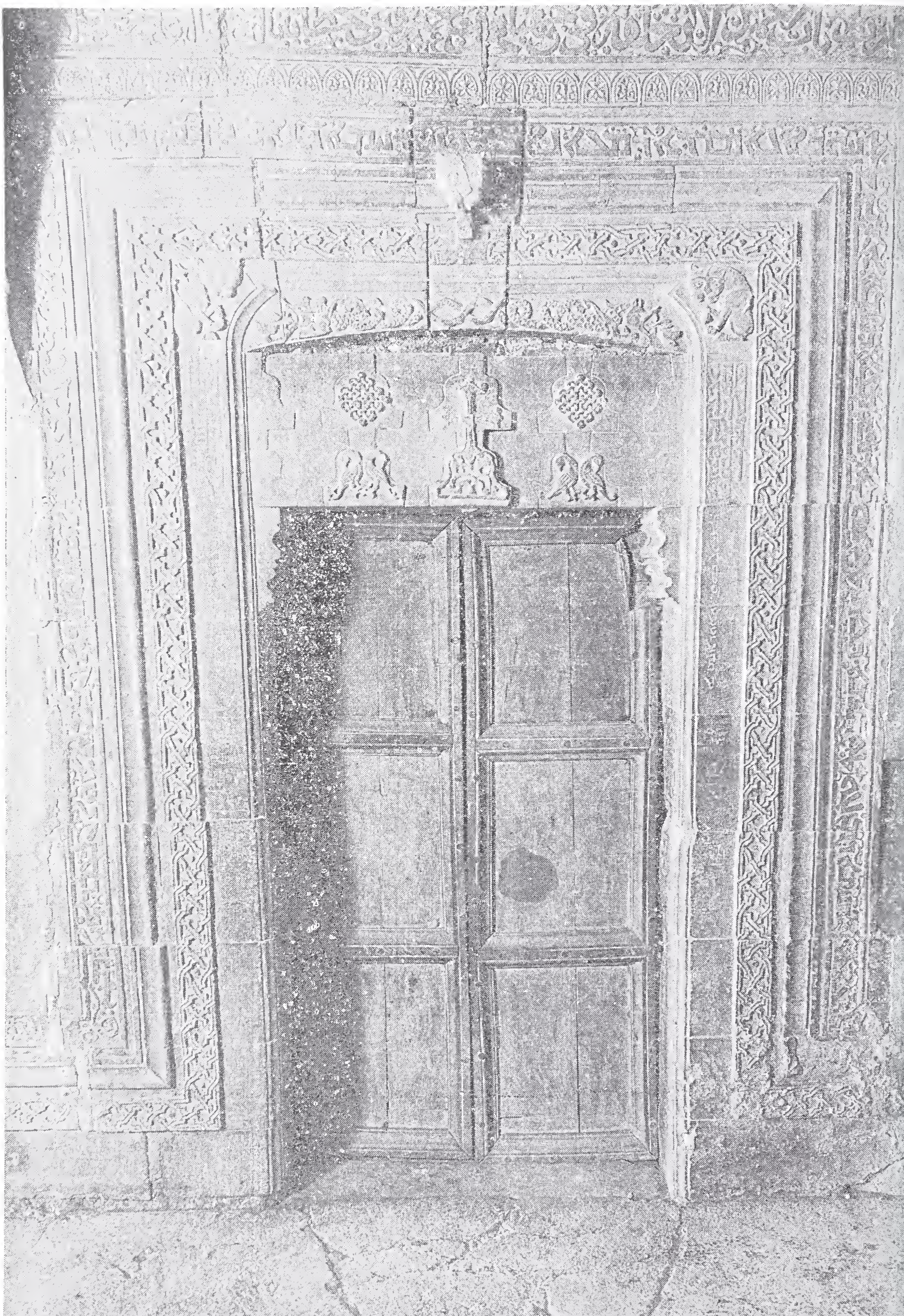

مال بهنام ابن نعمان . هذا دير مار بهنام ابن سنحاريب الذي بناه بهنام ابن نعمان الذى على «موده»(١) ، انبنى الدير بعون الله تعالى آمين ».

٦- ويلي ذلك الى الشمال لوحة من الرخام الازرق مطعمة بعرس شحمي اللـون على هيئة بديعة يتوسطها صليب مزخـرف وعلى جوانبها الاربعـة مثلثات متناظرة . طول هذه اللوحة ٥٥سم والعرض ٣٥ سم .

٧- وفي هذا الرواق على دعامة منه حجرة منكسة مكتوبة بالسطرنجيلية استعجمت علينا قراءتها والذى يبدو من فحوى بعض كلماتها انها تاريخ قبر .

الفصل الثانى

مدخل الكنيسة الجنوبى

علو هذا الرتاج مع رخامته ٣/٧٠ أمتـار وعرضه ٢/٣٠ من الامتار ، ارتفـاع فتحة الباب ٢/٧٠ من الامتار والعرض ١/٢٥م .

نقرأ بالعربية في أعلاه :

« يا رب باب رحمتك لا تغلقه في وجهنا نحن المعترفين بخطايانا افتح لنا أبواب رحمتك يا غفور » .

وتحت هذه الكتابة افريز على هيئة حنايا مزخرفة الصدر بزخارف دقيقة ، ويلي ذلك كتابة سطرنجيلية منقورة نظما على وزن مار بالاي الخماسي تبدأ من أسفل عضارة الباب الجنوبية وتأخذ بالارتفاع حتى تعلو الباب ومن ثم تبدأ بالانحـدار الى أسفل العضارة الشمالية وهي :

« الباب باب رحمة ، حاو في داخله الرحمة . فمن دخله حاملا المآثم خرج مملوءاً مراحم . اما المثقل بالمآثم ولا يذرف الدموع ، فلن يجد الرحمة ولا الغفران . يا اخوتي

١) اي اخذ البناء على عاتقه ، وهي كلمة دارجة في اللهجة الموصلية ترجع الى اصل ارامي او اثوري ولا سيما ان كثيراً من الكلمات الاثورية لا زالت مستعملة في اللهجة الدارجة لاهالي مدينة الموصل.

صلوا على كل من اشترك بالقول والفعل آمين ».

وتحت هذه الكتابة ، في أعلى الباب ، رأس سبع (١) نافر فاغر فاه وهو في وسط افريز مقعر يحيط بالباب ، يليه أفريز ثان مزخرف بنقوش ناتئة متشابكة الاضلاع .

يلي هذه الافاريز في الاسفل ، فوق حنية الباب ثعبانان متشابكان ، هامة احدهما الى اليمين والثانية الى اليسار وهما فاغران فاهيهما يحاولان ارتشاف ما في كأس امامهما .

يقابلهما اسدان جاثمان فوق عضادتي الباب ينتهي ذنب الشمالي منهما بهيئة رأس ثعبان . وقد حفر تحت الأسد الجنوبي بالسطرنجيلية ما تعريبه : « كل من يطأ عتبتك يفوز بالامان » وتحت الاسد الشمالي :« انت ميناء مفعم حنواً وكل مساعدة » .

والى جانبي اسكفة الباب بجمان متناظران ينتهي ذنبا الشماليين منها برأسي ثعبانين ويعلو كلا منها زخارف نافرة متساوية الاضلاع تتوسطها صورة الصليب الكريم .

وفي فتحة قائمتي الباب ، داخلا وخارجاً ، كتابة سطرنجيلية محفورة تعريبها من جهة الشمال « افتح لي ابواب البر » ومن الجنوب «لأدخل فيها واشكر الرب».

اخيراً في اسفل العضادة الشمالية كتابة سطرنجيلية محفورة عموديا بحروف ناعمة ترجمتها «اغفر يا رب آثام عبدك بصلوات زملائه، وترحم على تلميذ الاخوة جميعا وهو لا يستحق ان يجلس تحت اقدامهم كل يوم لكثرة ما اقترف من الخطايا والآثام على معرفة منهم . فيستجلب بايمان صلاتهم كلها الى الخاطيء الشقي الذي في غدوة كل يوم يؤدب نفسه واسمه عيسى خديدي الوطن . كتب ذلك على الباب المفعم مراحم . فليصل عليه كل من يأتي ويطأ العتبة . فلتحل الصلاة على الجمهور في العالمين »

الفصل الثالث

شبه الرتاج المتوسط البابين

واذا سرنا قليلا نحو الشمال نشاهد زخارف دقيقة وكتابات سطرنجيلية ظريفة تحيط بهذا شبه الرتاج المغلق .

---

١) تتوفر في ارجاء هذه الكنيسة صور اسود وهي رمز الاتابكيين في الموصل .

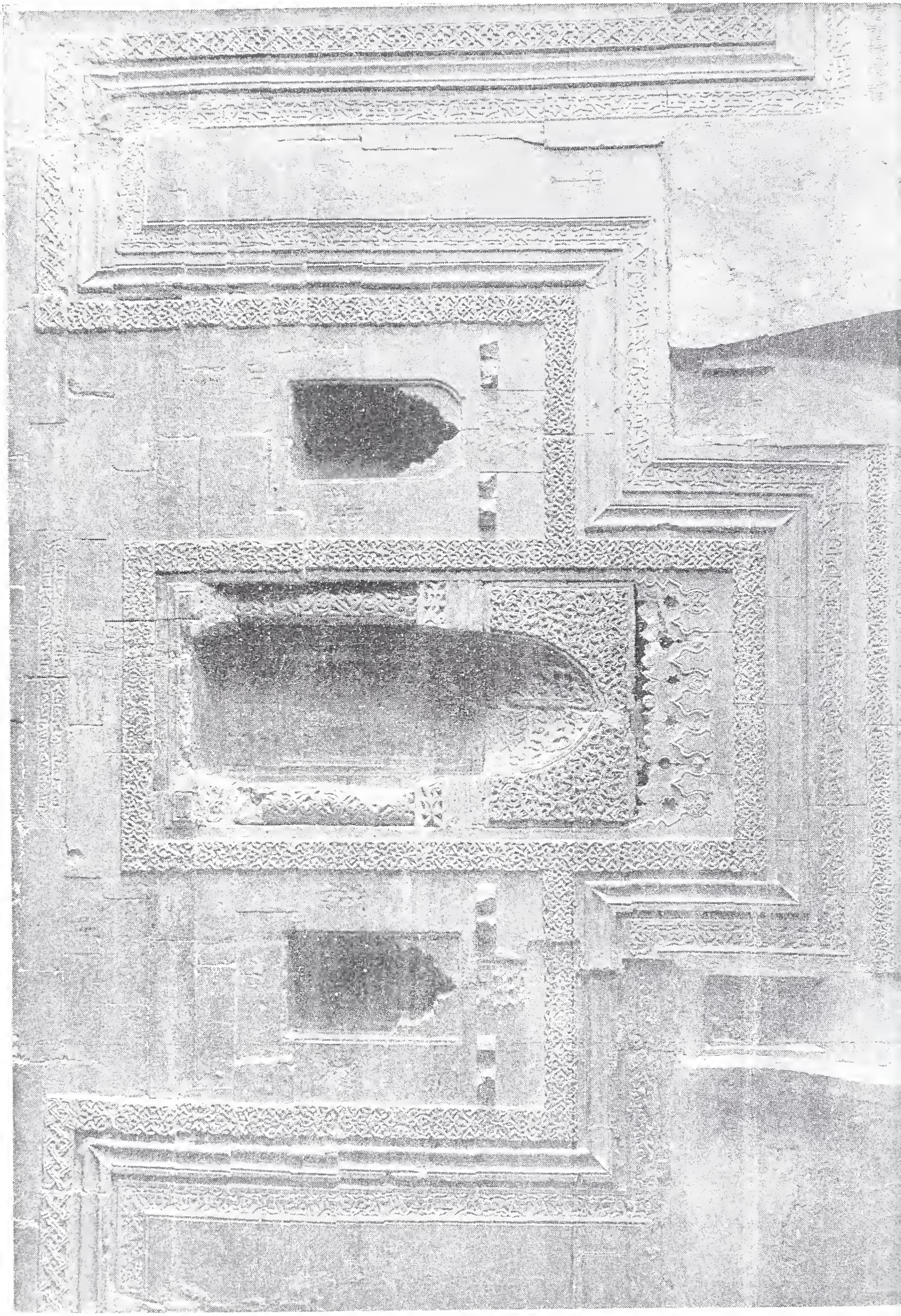

يبلغ علو الرخام ٣ أمتار وعرضه بين البابين ٤٠ر٤ أمتار . في أعلى الرتاج كتابة سطرنجيلية ناتئة ترجمتها : « لقد غدا ديرك يا مار بهنام ينبوعا للمراحم وانت مغروس فيه كالشجرة الحاملة ثماراً . لقد أضحت ذخيرتك معينا تدر كل المساعدات فيقصد اليه كل المرضى لينالوا فيه الشفاء » كتبه شمعون الخاطىء من آل هندي .

ويلي ذلك في الاسفل افريز افقي دقيق النقش ، ثم يحيط بهذا شبه الرتاج كتابة سطرنجيلية تبدأ افقية من الناحية الجنوبية السفلى ثم تأخذ بالارتفاع حتى تبلغ قاعدة الطاق فتتوجه أفقيا ثم تأخذ بالارتفاع ثانية حتى تعلو الرتاج فتنحدر متبعة خطة صعودها وهي فقرات مقتضبة من ميامر مار افرام ترجمتها :

« يا مصليا لله لا تشتم أخاك في قلبك لأن الشتيمة لا تبرر الصلاة . يا مبتهلا لغفران زلته ها ان النتانة دفينة في صدرك . فاغفر لأخيك زلته ثم صل لربك بخلوص نية . فان الغضب أمضى من السيف والسخط أحد من المدية . هاك سهما وارشق به اخاك ولا ترمه بشتيمة . لانك ان رشقته بسهم يصيب جسده الخارجي . اما اذا قذفته بشتيمة فتصيب قلبه الباطني . »

يلي ذلك في الاسفل ، افريز مقعر الجوف مرتفع الطرفين ، فافريز آخر دقيق الزخرف ، بدءاً من الجنوب ، ويرتفع عموديا ثم ينعطف افقيا فوق مشكاة حتى يتصل بافريز حول الرتاج المغلق يضاهيه تماما ، فيأخذ بالارتفاع حتى يعلو الرتاج المذكور ثم ينحدر الى الجانب الآخر الرتاج ماراً فوق مشكاة ثانية ، ويعلو المشكاتين صليب ناتىء عبثت بها الايدي وعلى جانبيها عروتان نافرتان من قطع الرخام ذاتها .

يتوسط الكل شبه الرتاج المذكور يبلغ ارتفاعه ٨٠ر١م وعرضه ٣٠ر١م ويحيط به افريز من جوانبه الاربعة دبج بنقوش بديعة الصنع . فوق قمة الرتاج ، نجوم واهلة وزخارف نافرة ، يتدلى تحتها نجوم اخرى ودوائر مجوفة .

اما الرتاج ، فقد دبج ركناه ، وهما من حجر الحلان ، بنقوش جميلة المنظر ترتكز عليها عضادتان من نفس الحجر منقوشتان أجمل نقش عبثت بها حوادث الأيام . على رأس كل منهما تاج منقوش حفر على جانبيها بالسطرنجيلية : « بك نناطح اعداءنا وباسمك

نطأ مبغضينا . »

تعلو هاتين العضادتين حنية مقعرة الوسط مكونة من قطعتي رخام مطعمة بنقوش دقيقة متشابكة الفروع في وسطها صليب على هيئة شجرة فرعاء باسقة الاغصان جمة الافنان ، كتب على جناحي الصليب بحروف سطرنجيلية نافرة : « انظر اليه وثق به . »

وصدر الرتاج قطعة رخام طولها ٩٠ سم وعرضها ٤٠ سم يحيط بها افريز ، في وسطها صليب كبير حفر في أعلاه بالسطرنجيلية ما تعريبه : « الصليب الظافر » وفي زواياه الاربع احدى هذه الكلمات : « راية الأمن وعلامة الغلبة » وعلى جانبيه : « انظروا اليه وثقوا به . » وعلى سطح قاعدته : « موضع الانجيل المقدس المسجود له » واخيراً في اسفل الرتاج منقور بالسطرنجيلية ما ترجمته : « ها ان المرضى يقرعون بابك ، يا طبيب الرحمة ، ابتغاء الشفاء ، فليظهر حنانك ويفي بتضميد الجروح . »

الفصل الرابع

مدخل الكنيسة الشمالي

ارتفاع هذا الباب مع رخاماته ٣ر٧٠ امتار وعرضه ٢ر٣٠ من الامتار وطول فتحته ٢ر٧٠م وعرضه متر واحد . في أعلى الرتاج كتابة سطرنجيلية منظومة بوزن مار يعقوب ترجمتها :

« السلام عليك يا مار بهنام الشهيد المبارك . السلام عليك وعلى أختك سارة القديسة . طوباك لأنك ذخيرة الحياة المحتاج . افتح كنزك ليغتني منه المعوزون جميعاً . انت الميناء المفعم حنواً وكل عون ، كل من يطأ عتبتك يفوز بالامان » « عمل واشترك امرأة مقدر » (كذا)

تحت هذه الكتابة افريز افقي مزخرف ، يليه في الأسفل رأس سبع نافر وفي جوانب الرتاج الثلاثة أبيات منظومة بالوزن الأفرامي بدءاً من أسفل عضادة الباب

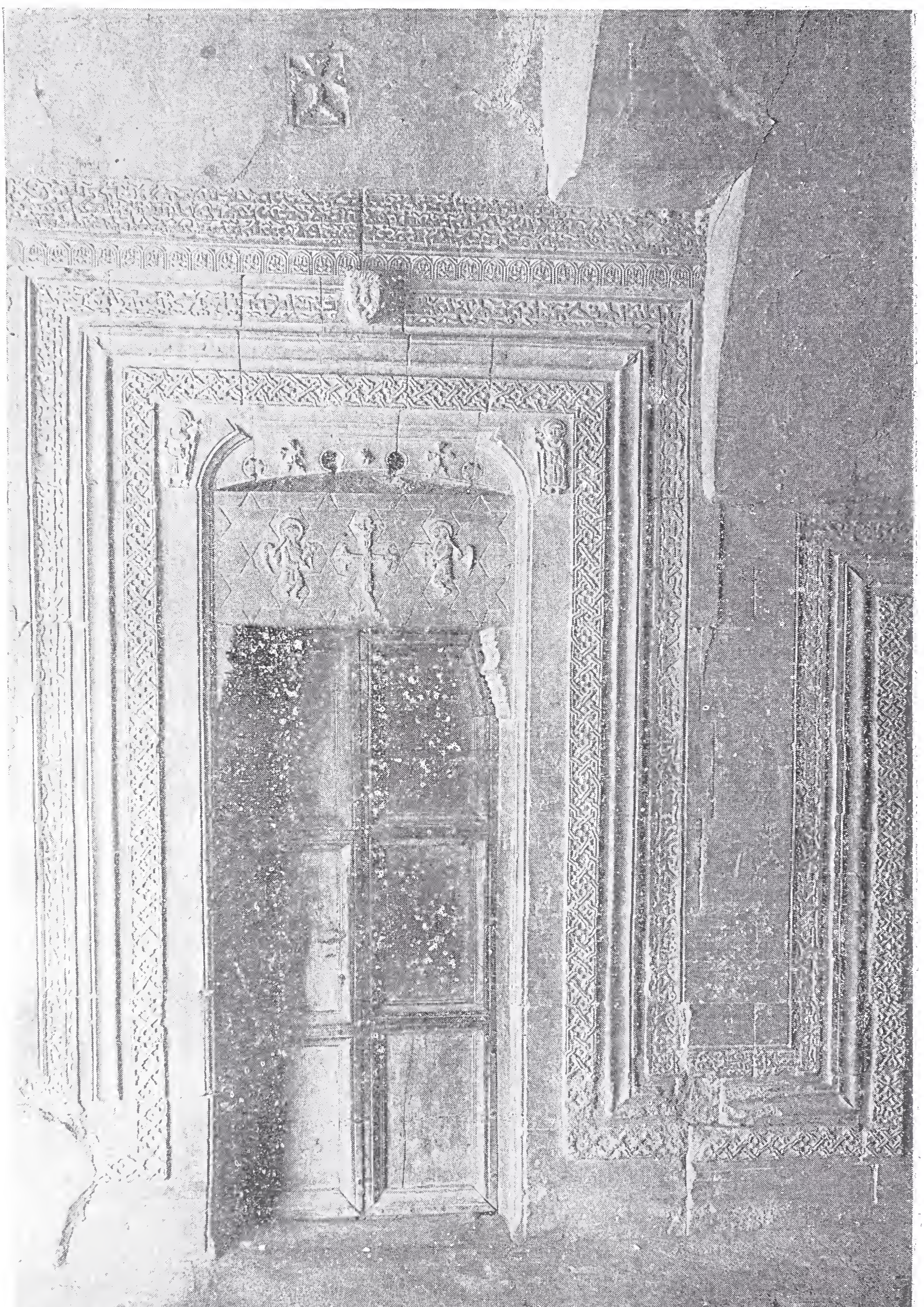

الجنوبية تعريبها :

«ان هذا الباب هو باب الرحمة وداخله توجد الرحمة ، ادخل ايها الخاطئ واطلب الرحمة من الرب المنعم رحمة . صنع ابواب هذا المصلى ابو سالم واخوه ابراهيم بهمة الراهبين عيسى وفضل الله القسيسين وابي نصر وبهنام الشماسين وتوما ومحبوب ، ليصفح الله عن كل من اشترك في العمل .»

ويلي ذلك أفاريز تطوف حول الباب تضارع نقشاً ونحتاً افاريز الباب الجنوبي السالف الذكر . والى جانب ما نجد من الزخارف الجميلة والكتابات الاثرية نجد صوراً رائعة . ففي اعلى عضادتي الباب وفوق زاوية الحنية من الشمال صورة مار بطرس بيده مفاتيح وقد نقش اسمه فوقها . تحاذيها من الجانب الآخر صورة مار بولس قابضاً على سيف وقد نقش اسمه فوقه . وبينهما في وسط هذه الحنية نجم نافر وعلى كل من جانبيه دائرة مقعرة وصليب صغير فذ ونجم ضمن دائرة .

وفي الاسفل وفوق أسكفة الباب ملاكان متناظران يتوسطهما صليب بديع النحت والكل منحوت في قطع رخام على هيئة صلبان يتشكل من اتصال اضلاعها نجوم مسدسة هي قطع رخام متداخلة الاضلاع بدقة وفن تلوح للناظر انها زخارف هندسية ، وانها قطعة واحدة .

الباب الثالث

آثار الكنيسة الداخلية

تشتمل هذه الكنيسة كما اسلفنا على صحن واحد يكاد يكون مربعا . طوله ٥٠ر١٢م وعرضه ٩م وهو مسقف بعقدتين بيضاويين مستطيلتين علوها احد عشر مترا .

وفي داخل الصحن ساريتان احداها في الوسط مستطيلة ضخمة والثانية الى جانب وهي نصف اسطوانة مستطيلة . يعلو كلا منها حنيتان شاهقتان متجهتان من الشرق الى الغرب . وفي شرقي(١) الصحن يقع بيت القدس او قدس الاقداس، يقوم في وسطه المذبح او الطرونس(٢) الذي يسمى ايضا المائدة وبالسريانية ڤاثورا . يجاور بيت القدس شمالا مدفن الآباء يتصل به بباب . يلاصقه جنوبا محل يدعى بيت ديقونيون(٣) حيث تحفظ الآنية المقدسة .

يلي قدس الأقداس الخورس ويسمى «قسطروم» (٤) ويرقى اليه من صحن الهيكل بدرجة وهو خاص بالقسوس والشمامسة . والخورس وقدس الاقداس هما على مستوى واحد. وما تبقى من الكنيسة فذو مستوى أدنى ويسمى الهيكل وهو مخصص بسائر المصلين رجالا ونساء .

واخيرا على كل من جانبي الصحن الشمالي والجنوبي مصليان في صدر كل منها مذبح مستحدث وثلاثة من هذه المصليات مقببة بعقد مستديرة يختلف علو بعضها عن بعض . واما المصلى الرابع وهو الجنوبي والموازي لقدس الاقداس ، فان سقفه يقوم

١) ان اتجاه الكنيسة منحرف عن الشرق قليلا ، الا انه يلاحظ بسهولة ان بانيها اراد ان يوجه المذبح نحو الشمس المشرقة .

٢) « الطرونس » لفظة يونانية معناها العرش .

٣) « ديقونيون » لفظة يونانية معناها بيت الخدمة .

٤) « قسطروم » لفظة يونانية معناها المرتفع عن صحن هيكل الكنيسة .

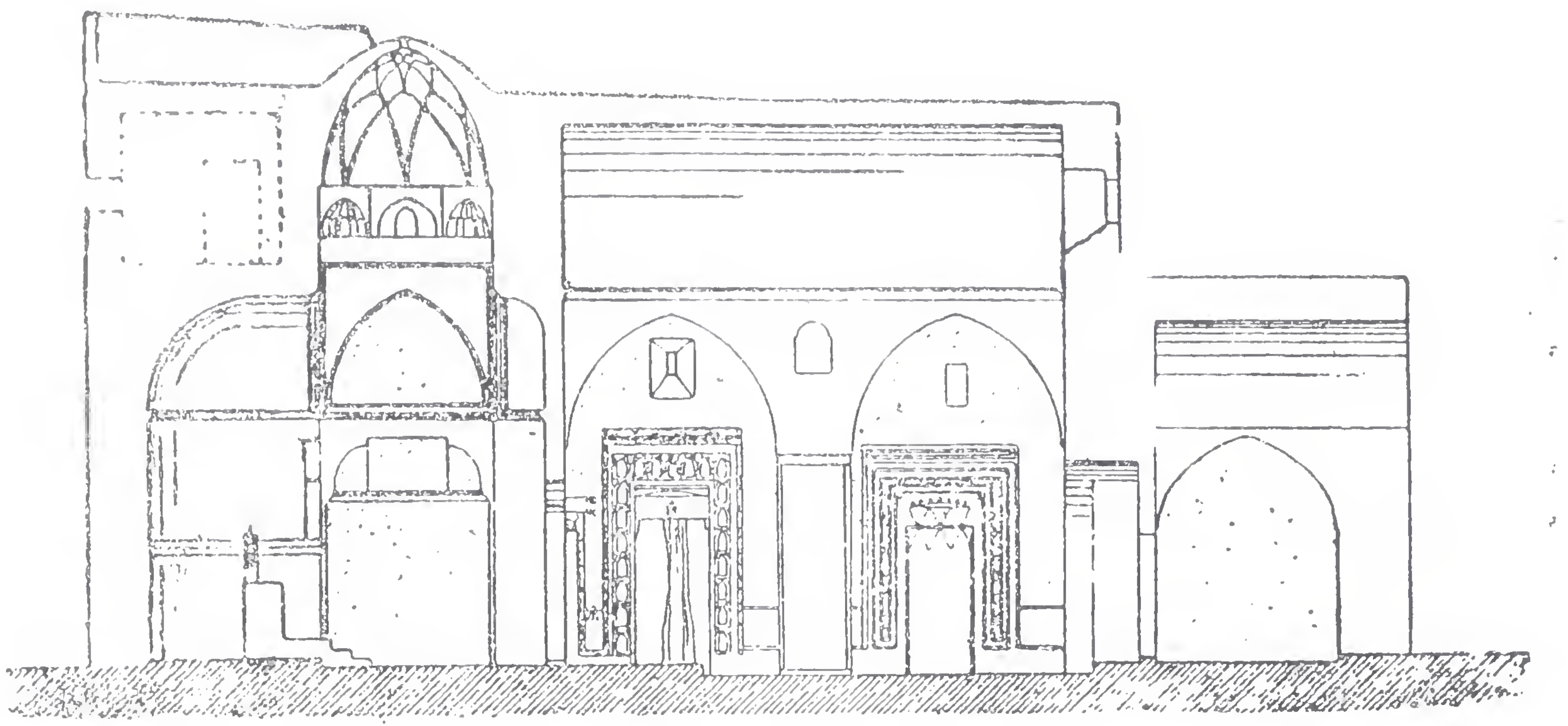

مقطع الكنيسة

على عضادات تتصل بالجدارين الجانبيين ترتكز عليها الاقواس السقفية فتقسم ارض هذا المصلى الى ثلاثة اقسام نجد في اول قسم منها جرن العماد .

طول الكنيسة مع سائر اقسامها ٢٣ مترا وعرضها ٢٠ مترا . والآن لنأخذ في طوافنا بدءا من ناحية الكنيسة الجنوبية فنجد :

الفصل الاول

تاريخ وفـــــاة راهب

أول شيء نجده في هذه الكنيسة ، عند مدخل الباب ، عن اليمين ، لوحة حجر حلان مثبتة في اسفل الحائط منعطفة على الجدار ، في وسطها صليب نافر ، بين كل من جوانبه الاربعة ، نجم ناتيء . يحيط بالصليب دائرة نقش فيها بالكرشونية وبالحرف السطرنجيلي ما نصه :

« هذا قبر ربان توما ابن ككو توفي في حزيران »

وحول الدائرة كتابة سطرنجيلية تعريبها :

« امض بسلام يا أخا ومحبا . فقد أحببت كل احد باخلاص . كم شق علينا فراقك

عنا وكم اكتأبنا لموتك »

وفي ختام الكتابة وداع عن لسان المتوفى تعريبه :

« الوداع أيها الشمامسة فان الموت قد فصلني عن زمرتكم . ابتهلوا لأجلي الى ربنا في كل حين ليصفح عني - سنة ٢١١١ يونانية (١٨٠٠م)

الفصل الثاني

الباب الجنوبي الاول

« مصلى مار متى الشيخ »

علو الباب مع الرخام ٥٥ر٤م وعرضه ٣٠ر٢م وارتفاع فتحته ٩٠ر٢م وعرضه ١٥ر١م.

يقع هذا الباب على يمين الداخل، في ركن الكنيسة الجنوبي ، جامعاً بين الرشاقة وسلامة الذوق والبساطة ، تحيط به عدة افاريز منها مقعرة الوسط ومنها مستوية يتدلى من حنيته قطعتان من الرخام على هيئة قنديلين متداخلي الاضلاع بدقة واحكام يخالها الناظر قطعة واحدة .

ويعلو حنية الباب صورة صليب انيق ، فنجوم ثلاثة نافرة مع ست دوائر مقعرة وقد حفر على عضادتيه بالسطرنجيلية ما ترجمته :

« في المكان الموضوعة عظامك يا مار بهنام الجزيل المحاسن، فليحل أمان ربك وسلامه الى الأبد . »

كانت قبة هذا المعبد ذات سقف مزخرف باشكال وخطوط هندسية نافرة تهدمت عام ١٩١٣م وجدد بناؤها سنة ١٩٢٧م

الفصل الثالث

كتابة تاريخية

عند مدخل حنية السارية الجانبية على علو ٢٠ سم من الجدار الجنوبي كتابة

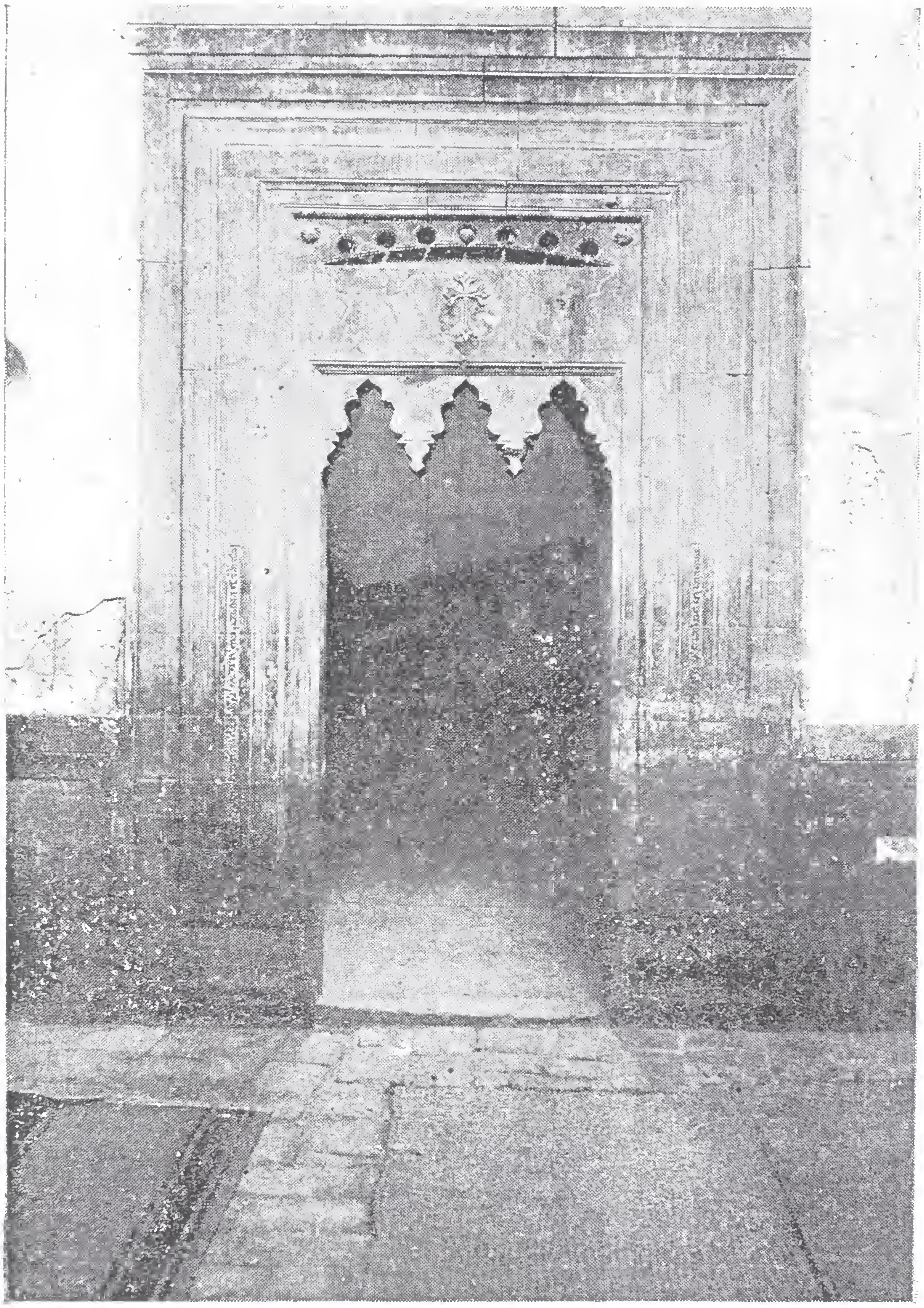

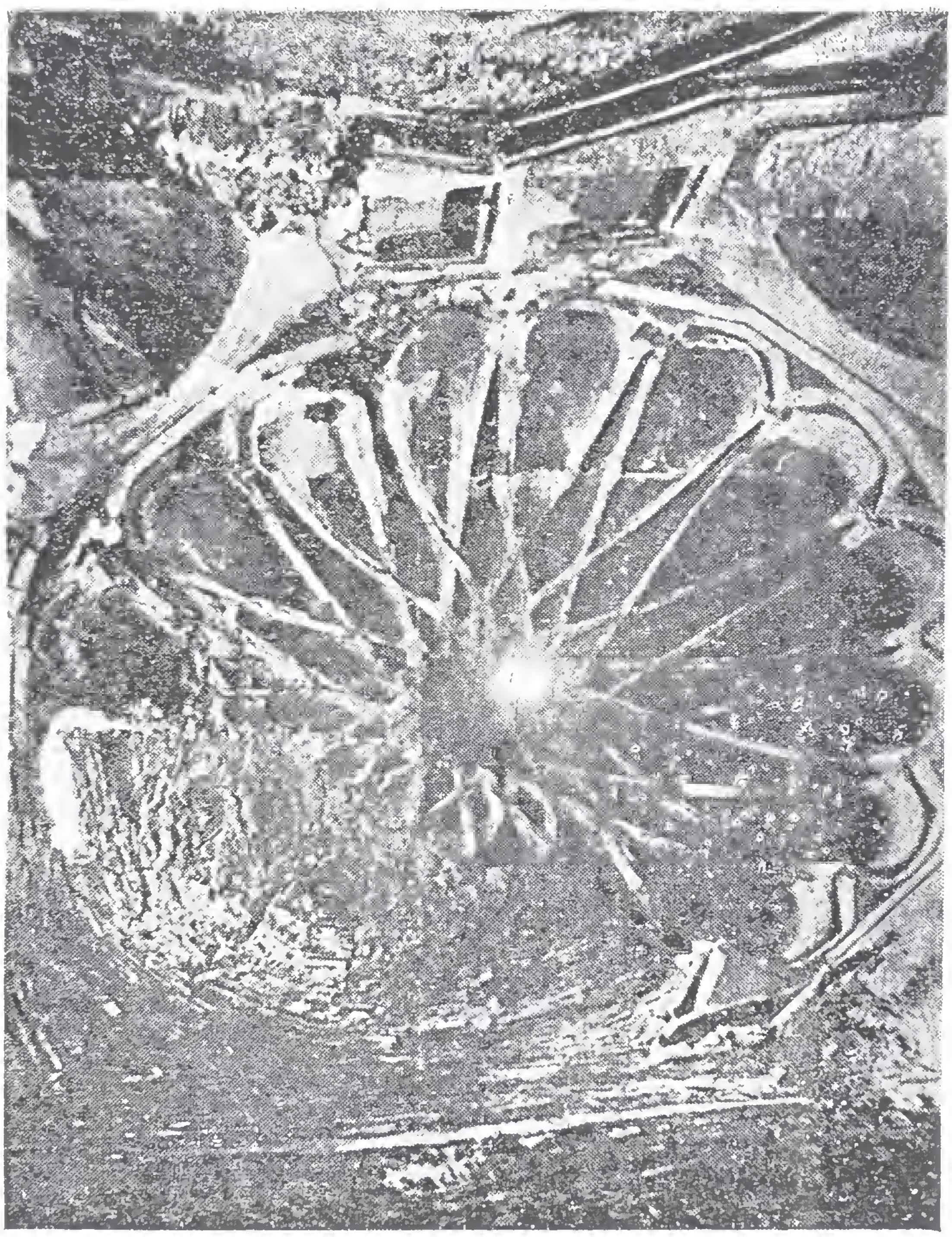

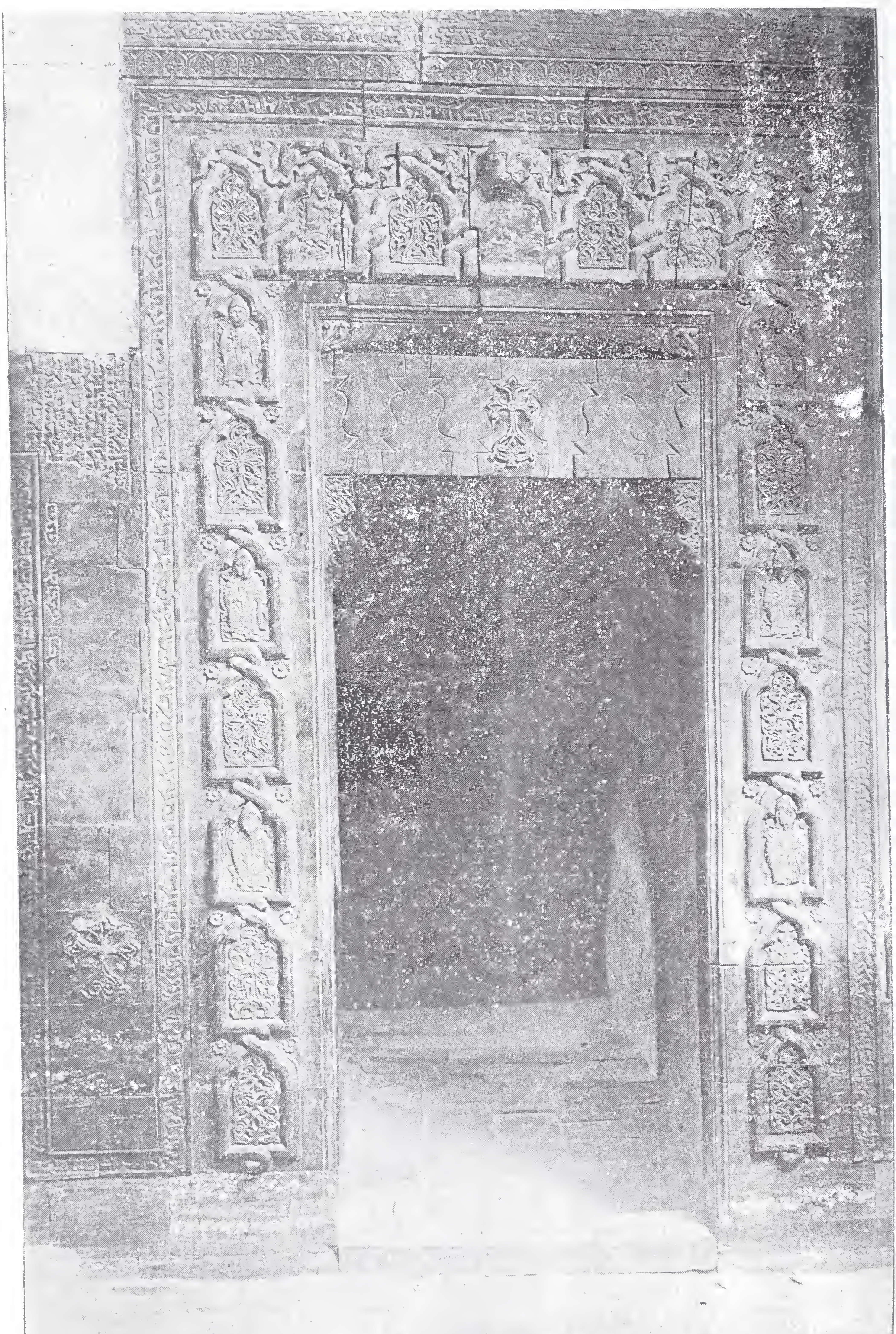

سطرنجيلية محفورة عموديا على ثلاث قطع من رخام الجدار ترجمتها :

« في السنة ١٦٠٦ يونانية (١٢٩٥م) وافى قآن بيدو الملك المظفر قريباً من آثور مدينة القديس مار بهنام وضبطوه وقتلوا « كذا » ثم ذهب الى الموصل ولم يدخلها . ومن ثم رحل الى اربيل وخلف عظماءه . فنهبوا البلاد والأديار . ثم ارسل العظماء الى الدير الكبير « دير مار متى » فاستاقوا بغال الطاحون وسلبوا كمية وافرة من الفضة والذهب . وجاء احدهم الى دير الجب « دير مار بهنام » وفتح الباب ودخل واستولى على أواني المذبح والسجوف وغيرها ، ولم يبق في المذبح الا الانجيل وتابوت القديس . فان الله أعمى عيونهم . فذهب الربان يعقوب الى الملك المظفر وأعاد للدير كل ما أخذوه . وأهدى القآن الى القديس صاحب الدير هدية من ماله وسجد للقديس وندم الملك . »

الفصل الرابع

الرتاج الجنوبي الثاني الفخم

« مصلى القديسة سارة »

في الحقيقة ان هذا الباب يعد تحفة فنية وآية في الجمال والصناعة الرائعة . فيه صور جميلة وزخارف ظريفة وكتابات مطعمة برخام . يبلغ ارتفاعه ٥٥ر٤ أمتار وعرضه ٧٠ر٢ من الامتار ، وعلو فتحة الباب ٩٠ر٢م وعرضها ٣٠ر١م.

وقد نقش في أعلى الباب بالسطرنجيلية آية من سفر الخروج واخرى من المزمور الـ ١١٧ وهما :

« جعلت يا رب مقدسك مقراً لعرشك فوطده اللهم بيديك . ليملك الرب فيه الى الأبد . افتح لي ابواب البر ، لأدخل فيه واشكر الرب. هذا الباب للرب والصديقون يدخلون فيه . »

يلي في الأسفل افريز افقي مزخرف ثم يحيط بهذا الرتاج افريز آخر عليه كتابة سطرنجيلية ابتداء من اسفل اليمين هي قانون الايمان من اوله « نؤمن باله واحد .. »

الى هذه العبارة «من أجلنا نحن البشر» ثم ينعطف هذا الافريز افقيا حتى يتصل بالباب الذي يليه شرقا .

ثم يحف بهذا الرتاج من اطرافه الثلاثة سلسلة الواح متظافرة في ضمنها صور بديعة وزخارف رائعة .

فعلى كل من عضادتي الرتاج ثعبانان ملتويان ومتشابكان ، بدءاً من الأسفل ، وينتهيان في أعلى العضادة برأسين فاغرين فاهيهما . فيتشكل من تشابكهما هذا على كل عضادة ثمانية أطر على هيئة ألواح مستطيلة . ضمن ثلاثة منها في كل جانب ثلاث صور نافرة تمثل رؤساء الرهبان الأقدمين ، كمار انطونيوس والأنبا فاخوميوس والأنبا مقاريوس ومار دانيال وغيرهم ، متوشحين بالاسكيم الرهباني ، واسم كل منهم محفور بجانب صورته بالسطرنجيلية . وعلى الاطر الاربعة الاخرى من كل قائمة صلبان مزخرفة تحف بها نقوش مشجرة دقيقة يعلو الالواح من كل جانب نجمان نافران .

وعلى أسكفة الباب العليا ثعابين اخرى فاتحة فاها ، تكون خمسة ألواح يتوسطها رأس سبع بارز . وفي وسط أحد هذه الالواح الخمسة من الغرب صورة تمثل مار بهنام ممتطياً صهوة جواده يطارد ايلا . تحاذيها من الجانب الآخر الشرقي صورة مار متى يعمذ الاميرة سارة .

وعلى زاويتي حنية هذه الاسكفة العليا صقران جاثمان يعلوهما نجم. واما الأسكفة السفلى فمرتكزة على قوائم مزخرفة في وسطها صورة صليب فذ أنيق ، تحاذيها شرقا كتابة سطرنجيلية محفورة عموديا ترجمتها « اشتركت في اقامة هذا الباب بهبة امرأة المرحوم مقدر ليصفح عنها الرب » .

اخيراً ، على واجهة عضادتي الباب الداخلية كتابة سطرنجيلية محفورة هي :

« قام الشهيد مار بهنام بين صبغتين فاستحم بالماء . ولم يكتف به فزاد واستحم بدمه ايضاً . فلما تضرج جسده بدم عنقه وشاهدته الكنيسة وتتبعت عمله ، طفقت تتساءل من هو هذا يا ترى المصطبغة ثيابه بدمه ؟ » .

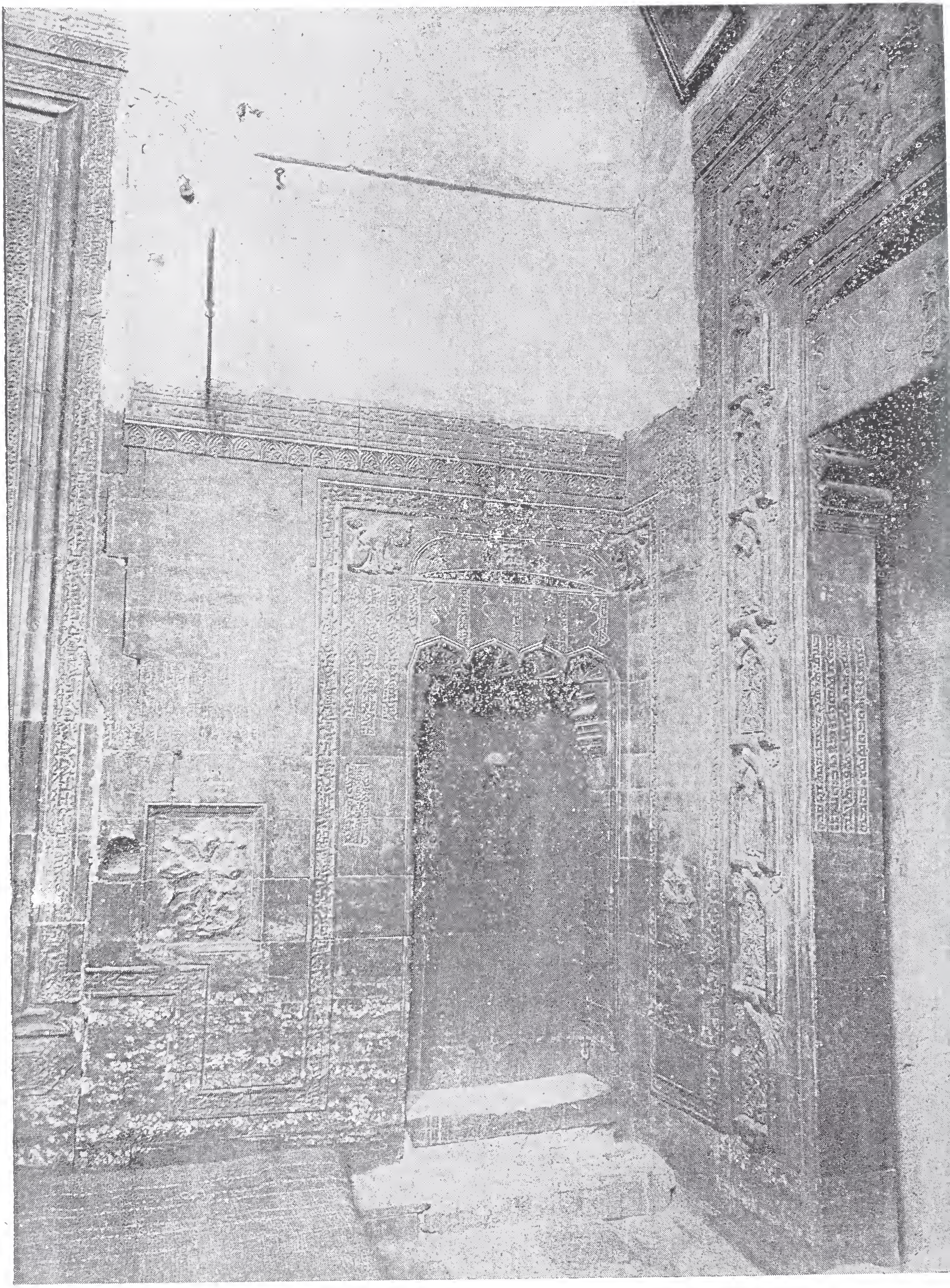

الفصل الخامس

باب قدس الاقداس الصغير

يقع هذا الباب الصغير في الضلع الشرقي من الكنيسة ويتصل ببيت المقدس. وهو باب جميل ياخذ بمجامع القلب، نظراً لما ازدان به من النقوش والكتابات المنقورة والمحفورة حفراً ناتئاً عموديا او أفقياً. يبلغ ارتفاع الرخام ٣ر٣٠ من الامتار. وعلو فتحته ٨٠ر١ م، والعرض ٩٠ سم.

في أعلى الباب آية من المزمور الرابع والعشرين بالخط السطرنجيلي هي:

« ارفعي رؤوسك أيتها الابواب. ارتفعي أيتها الابواب الدهرية ليدخل ملك المجد. من هو هذا ملك المجد. الرب القوي هو ملك مكرم الى أبد الآبدين آمين ».

يلي ذلك في الاسفل افريز أفقي على شكل حنايا مزخرفة. ثم يحيط بالباب اطار يبدأ أفقيا في أسفل الجدار الجنوبي، ثم يرتفع عموديا حتى يعلو الباب فينعطف الى الجدار الشرقي ماراً بزاوية. ثم ينحدر على جدار ضلع الكنيسة الشرقي متبعا خطة صعوده حتى يبلغ علوه ١٥سم من مستوى سطح الارض، فينعطف أفقيا الى الشمال، ثم ياخذ بالارتفاع عموديا فأفقيا ثانية حتى يتصل بافريز رتاج قدس الاقداس الملكي.

وقد نقش في هذا الاطار بالسطرنجيلية تتمة قانون الايمان بدءاً من « لأجل خلاصنا نزل من السماء... الى الرب المحيي المنبثق من الآب ».

ومما هو جدير بالذكر ان الكاتب كتب بعد قوله في قانون الايمان « وقام في اليوم الثالث » عبارة « كما شاء » بدلا من « كما هو مكتوب » طبقاً لما ورد في المصاحف السريانية القديمة.

وهناك على جانبي حنية الباب أسدان جميلان جاثمان وقد شطرت زاوية الكنيسة الجنوبية الشرقية، احدهما الى شطرين بمهارة، جاعلة الرأس على الجدار الشرقي والجسم على الجدار الجنوبي. يعلو ذنب كل منهما نجم نافر. يتوسط الحنية صليب دقيق الصنع وعلى كل من جانبيه نجمان مقعران.

واما أسكفة الباب فمقمرة ، على شكل أروقــة مزخرفة ، نقش عليها كتابات سطرنجيلية محفورة عموديا تكسبها رونقاً وجمالا ترجمتها :

« يبتهج العلويون ، ويفرح الأرضيون ، في يوم تذكار الشهيد مار بهنام » .

وعلى عضادة الباب الشمالية حفر عموديا بالسطرنجيلية ما ترجمته : « شمعون خادم هذا المحل المقدس ، محل دير مار بهنام » .

الفصل السادس

مدائح لمــــــار بهنام

وهناك على جدار قدس الاقداس الشرقي ، بين البابين ، أبيات منظومـة على وزن مار افرام السباعي محفورة عموديا بالسطرنجيلية وهي :

« وضع مار بهنام في ديره نظير مجمرة البخور في هيكل القدس . فلتحيي صلاته نفوسنا كما يحيي المطر والندى الارض . ليكن تذكارك يا مار بهنام هنا وفوق السماء . والذين يكرمون ذكراك يعضدون بصلواتك . فليدم أمن مولاك وسلامه الى الابد يا مار بهنام الشريف المحاسن في مستودع عظامك . لاجل المرضى والمتضايقين ولاجل البائسين والمساكين . ولاجل الايتام والارامل . ولاجل العالم وساكنيه .

ارحم البرايا يا رحيما يشبه أباه . يجذل العلويون ويطرب السفليون في يوم تذكارك أيها الشهيد مار بهنام .

وفي أسفل هذه الابيات حفر بالرخام ضمن افريز صليب كبير نافر ، غير ان عامل الخراب والامحاء قد أصابه بسهمه .

الفصل السابع

رتاج قدس الاقداس الملكي

❀ مذبح مار بهنام ❀

باب في غاية النفاسة ، رائع بزخارفه الدقيقة وكتاباته المزركشة على الرخام الجميل

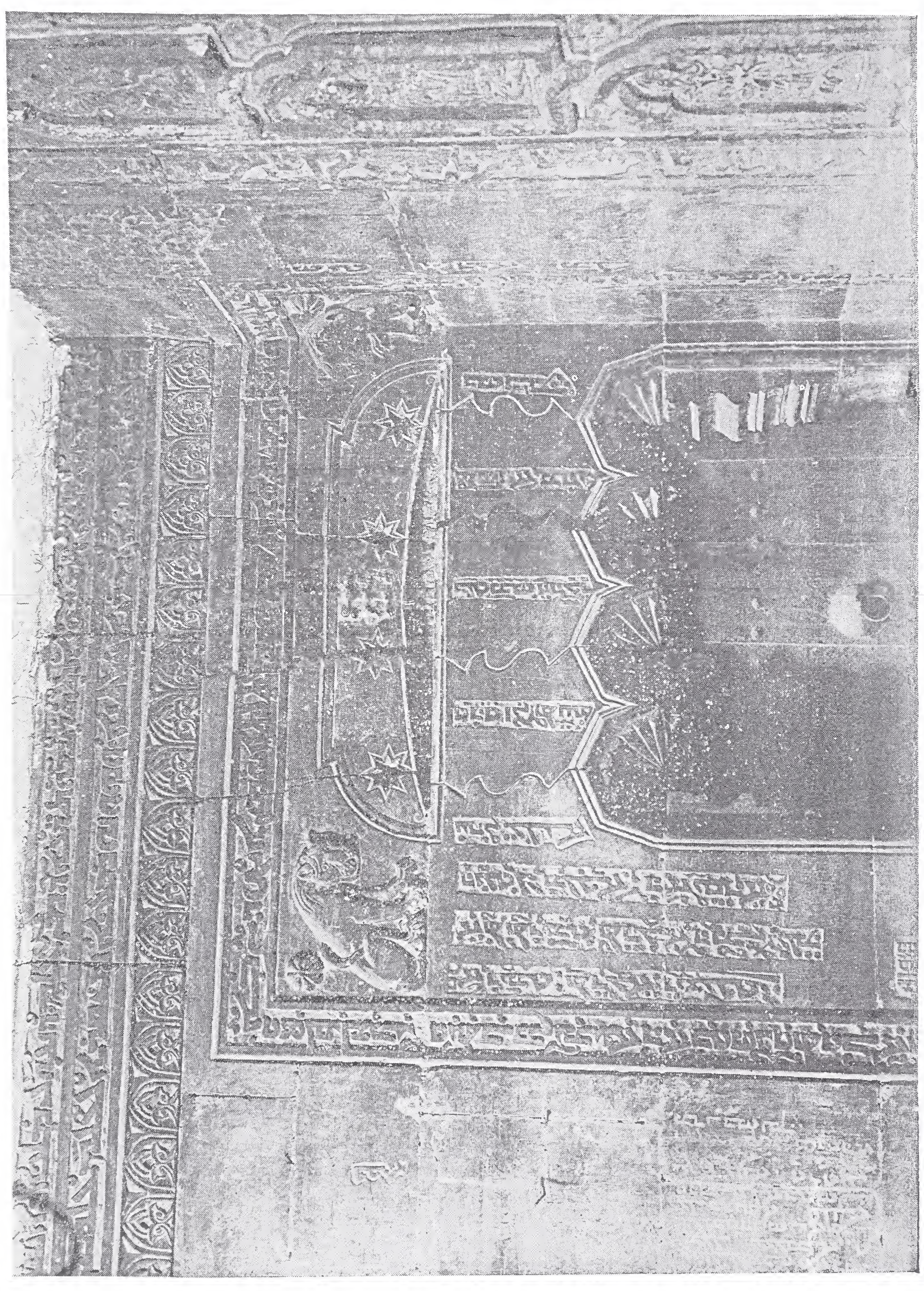

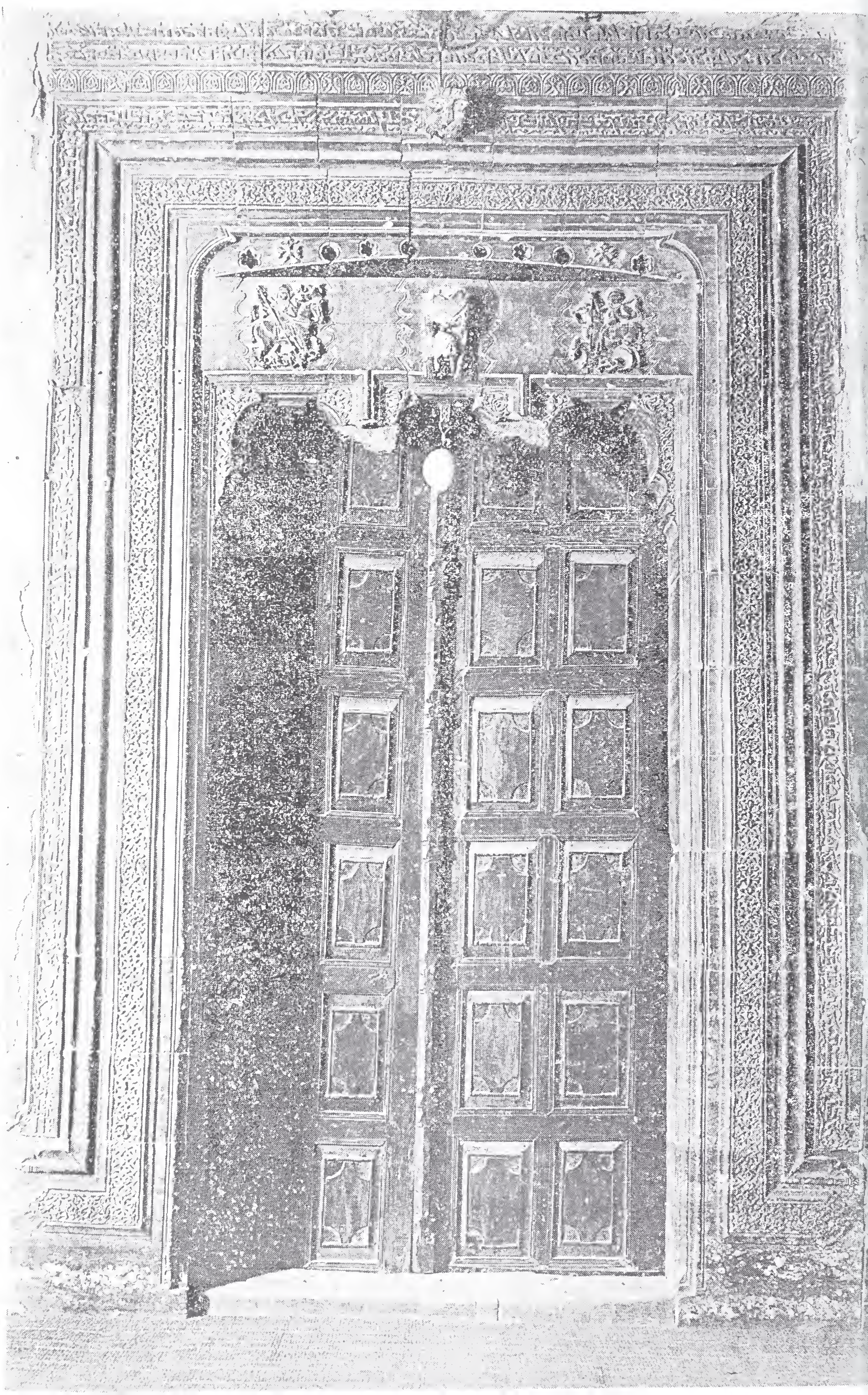

اللامع ارتفاعه ٥٥ر٤م امتار وعرضه ٨٥ر٢ من الامتار وعلو الفتحة ٣٠ر٣م والعرض ٦٥ر١م.

في اعلاه كتابة سطرنجيلية وهي عبارة تتلى في بعض الحفلات البيعية ولا سيما في الرسامات الكهنوتية تعريبها :

« تمجيداً واكراما للثالوث المسجود له والمتساوي بالجوهر . واجلالا وبنيانا لبيعة الله المقدسة » . ويليها : « تجدد وشيد وازدان هذا باب قدس الاقداس » وفي الاسفل تحت هذه الكتابة افريز افقي فيه شبه اروقة مزخرفة الصدر .

وقد أحاط بالرتاج افريز في اعلاه اسد نافر وقد كتب في هذا الافريز الصلاة الربية بالسطرنجيلية يليها في عضادة الرتاج الشمالية ما تعريبه :

« صنع هذا الباب ابو سالم وابرهيم بهمة رفاقه الرهبان . ليصفح الله عن كل من اشترك قولا وعملا . »

ويحيط بالرتاج ايضاً افريز ثان مقعر الوسط بارز الجانبين ، فافريز ثالث مستوي السطح فيه نقوش ذات دقة وروعة . فافاريز اخرى أنيقة تكسب الرتاج جمالا فنياً رائعاً .

وفي الأعلى تحت هذه الافاريز ، حنية الباب ، وفيها صليبان صغيران دقيقان ونجوم ودوائر مقعرة .

وفي الأسفل ، اسكفة الباب ، وهي متكونة من خمس قطع متداخلة الاسنة في وسطها اسد رابض وقابض على فريسة ، وقد لعبت به يد الخراب فحزت رأسه . وعلى جانبيه صورتان نافرتان دقيقتان تمثل الشمالية منهما مار بهنام ممتطياً جواداً مطهما ، وبيده رمح يطعن به راس ابليس وهو مجندل تحت سنابك حصانه . وأما الجنوبية فتمثل مار جرجس على صهوة جواده يقتل تنيناً .

وقد تدلى من هذه الحنية قطعتان من الرخام ، شبه قنديلين ، هما من الاسكفة نفسها عليها نقوش مشجرة ناتئة دقيقة اتلفتها عوادي الدهر .

أخيراً وعلى عضادتي هذا الرتاج الداخلية كتابة سطرنجيلية محفورة هي ، عن اليمين : « المذبح الغافر » وعن اليسار : « المذبح المقدس . »

الفصل الثامن

داخل قدس الاقداس

اما قدس الأقداس فصحن مستطيل . في منتصف ضلعه الشرقي دائرة تجعله على هيئة صليب ، تعلوه ثلاث حنايا شاهقة مسقفة بعقد منعطفة نحو الأمام فتشكل في الوسط دائرة تحمل قبة يبلغ ارتفاعها خمسة عشر متراً مزخرفة بتقاطيع هندسية .

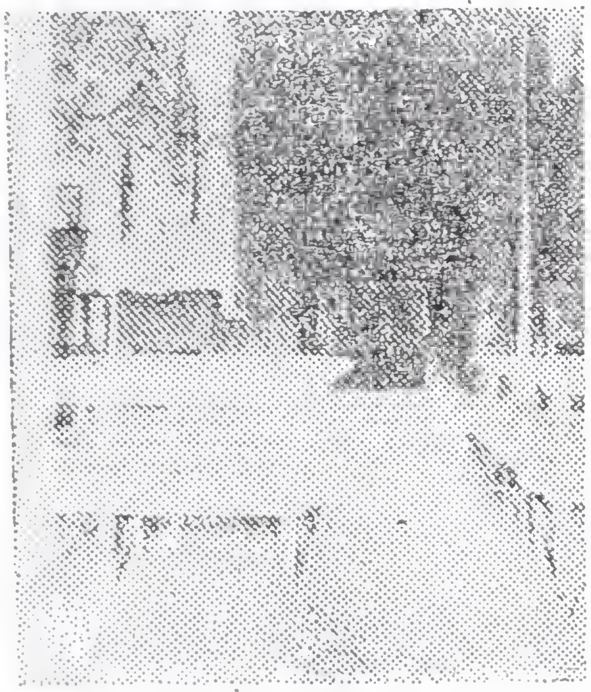

(المذبح)

اما الحنية الوسطى الشرقيـة ، فتقطعها حنية اخرى مستقيمة فوق المذبح ، زخرفت جبهتها الأماميـة بمثمنات هندسية ، ضمنها صلبان ناتئة صبت بقوالب خاصـة من الجبس ، وهي في غاية الدقة والجمال تتخللها نقوش زهرية مطلية بلونين احمر قاني وازرق .

ووراء المذبح في الحنية الوسطى الشرقية كوتان ضيقتان مستطيلتان تدخل منها الى المذبح اشعة الشمس عند بزوغها . تعلوهما آثار صليب كبير منقوش من الجبس مطلي بالوان زخرفيه لا تزال آثاره بادية .

وفي الضلع الشرقي ، على كلا جانبي الحنية الوسطى حجرة صغيرة لحفظ الآثاث المقدسة تعرف « ببيت الخدمة » او « السكرستيا » فالجنوبية مربعة ، اما الشماليـة فقد تهدمت على كر الدهور ، واقيم جدارها الخارجي بين زاويتين منها فاصبحت مثلثة الزوايا ثم سدت من الداخل على شكل ايوان .

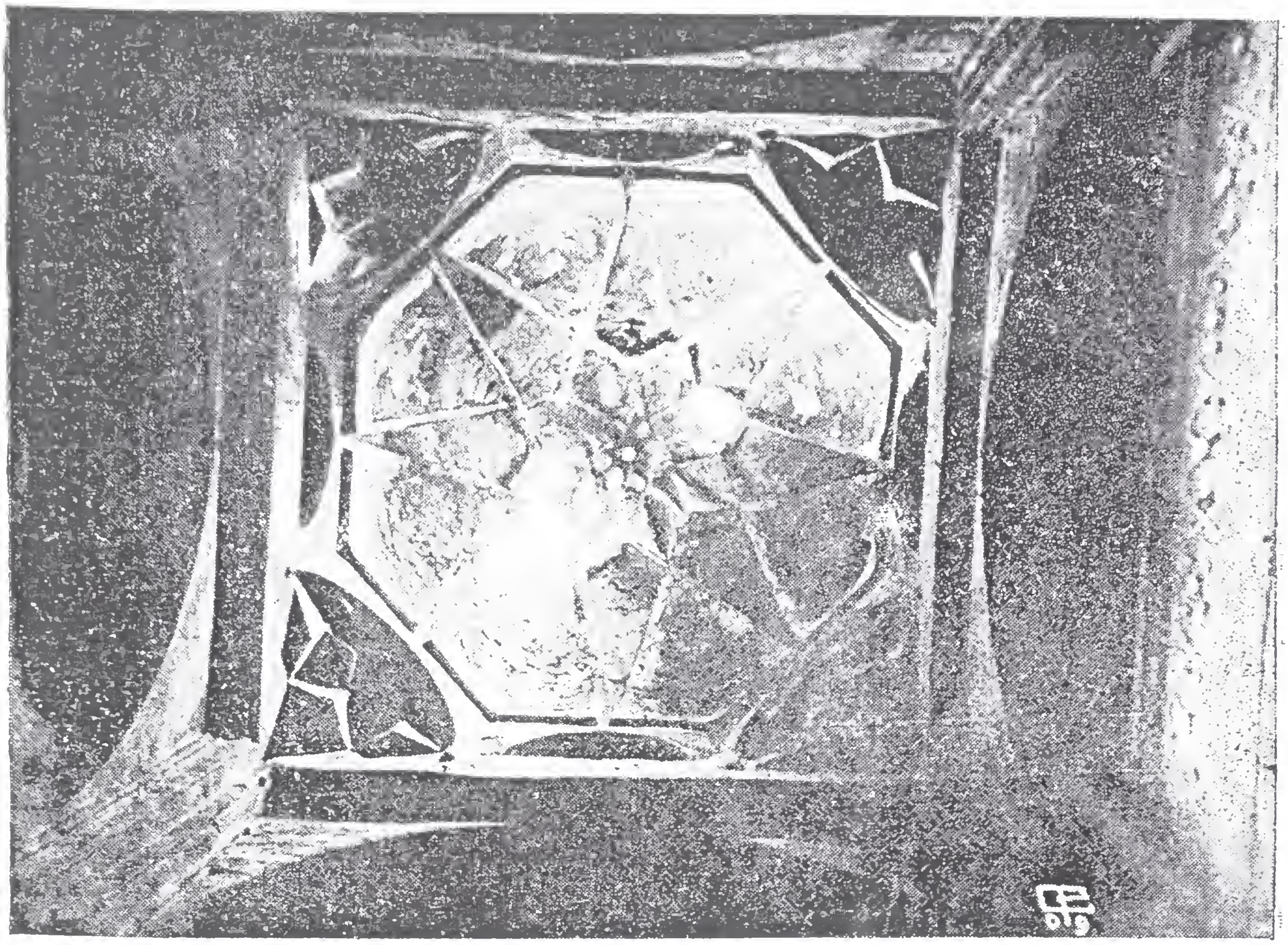

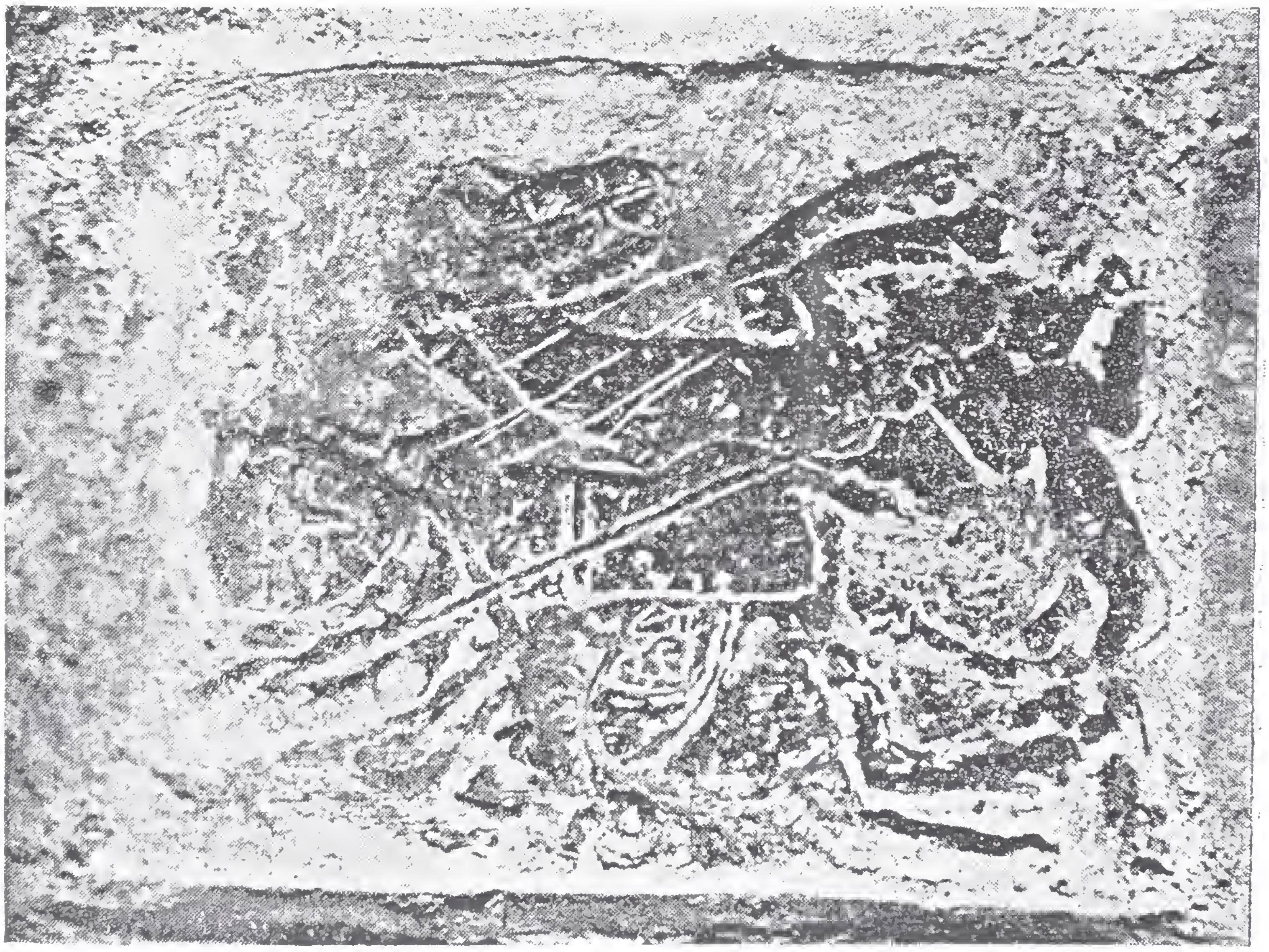

الفصل التاسع

كتابة تاريخية

الى يمين المذبح على علو ٣ر٢٥ امتار، في طول ٥٥سم وعرض ٣٢سم حجرابيض مثبت في الجدار عليه كتابة سطرنجيلية محفورة، هي اقدم كتابة أثرية فى هذه الكنيسة تعريبها :

«باسم الله الحي القدوس ، تجدد وكمل هذا المذبح بهمة الرهبان يوسف القسيس بالاسم وابي الفضل وجبرائيل الشماسين والأخ حسن، سنة ١٤٧٥ يونانية (١١٦٤م) وهى سنة ٥٥٩ للهجرة في عهد الابوين المغبوطين بطريركنا مار اثناسيوس الأنطاكي (١) ومار ايونيس الاسكندري ، وهي السنة التي توفي فيها مار اغناطيوس مفريان المشرق من يقرأ هذا فليصل عليه.»

الفصل العاشر

صورة رخامية لمار بهنام

في جدار بيت المقدس الشمالي ، على علو متر وربع المتر ، صورة لطيفة منقورة في رخامة طولها ٣٠ سم وعرضها ٢٢ سم تمثل مار بهنام على صهوة جواده يطعن برمحه شيطانا مجندلا على الحضيض .

الفصل الحادى عشر

مدائح على يمين باب المذبح الكبير

عند الخروج من قدس الأقداس الى صحن الكنيسة ، فى الناحية الشمالية من

---

١) اثناسيوس الثامن (١١٣٩-١١٦٦م)

٢) اغناطيوس لعازر (١١٤٣-١١٦٤م) راجع عنهما ص٦٧ من هذا المؤلف

جدار الكنيسة الشرقي ، على علو ٤٥ سم لوحة رخام نقش فيها بالسطرنجيلية مدائح لمار بهنام هذه ترجمتها :

« اذ كان مار بهنام قد تعذب من أهل بيته ومن قبيلته على حب المسيح ، دفع عنقه الى السيف الماضي ولم يكتئب عند موته ، بل هتف وهو يجود بنفسه مسروراً يا آله الديورة قوني » .

« السلام عليك ايها المغوار الذى غلب وأحرز الشرف . السلام عليك ايها البطل الباسل . السلام عليك يا ايها الصنديد . السلام عليك يا معيناً تتفجر منه المعونات للمتضايقين . السلام عليك يا واهب الشفاء للسائلين جميعاً » .

الفصل الثاني عشر

تمثال مار بهنام

على علو ٢ر٤٠ من الامتار من جدار ضلع الكنيسة الشرقية، يوجد تمثال لمار بهنام على صهوة جواد كريم مطهم . وقد تجندل تحت سنابكه ابليس عاقداً ذراعيه حول عنقه ، وله جناحان وذنب ينتهي برأس ثعبان ، فاتحا فمه يحاول لذع عقبه . وقد مست يد الخراب هذه الصورة فشوهتها .

والصورة كبيرة طولها ٣ر٧٥ امتار وعرضها ٢ر٣٠ من الامتار، مرسومة بجبس رسما ناتئا . يبلغ هذا النتوء في الوسط نحو ٢٥ سم ومطلية باصباغ حمراء وخضراء وزرقاء .

ويعلو رأس الامير الفارس سلة بديعة الصنع على شكل تاج ، في داخلها صورة ثانية للشهيد بهنام يحمله ملاكان متناظران يرتفعان به الى العلى . وفي أعلى السلة كتابة عربية هي :

« عمل الشماس هرمز بن القس خمر الله » .

وتحيط بالصورة كتابة عربية تبرز على بقعة منمنمة وملونة باللون الازرق بحيث

تزيدها بروزاً هذا نصها :

« باسم الله الحي المحيي هذا ما تطوع بعمله وصنعه العبد الخاطىء الراجي رحمة الله أبو الفتح بن أبو البركات المعروف بابن توما رحمه الله ورحم من ترحم عليه وعلى أخيه سعد . في أيام الرهبان ... هنا الكتابة ممحية » .

وفي أسفل الصورة كتابة سطرنجيلية قد عدت عليها العوادي ، يقرأ منها ما ترجمته « اشتغل هذه أبو الفضل ...

وتحت هذه الصورة كتابة سطرنجيلية على الجدار بالصبغ الاحمر اعبث بها صروف الزمان ، يقرأ منها ما تعريبه :

« في سنة ١٨٦١ يونانية (١٥٥٠ م) أتى ... الى دير الجب للشهيد القديس المختار مار بهنام ... بن يوسف المعروفين من قبيلة ... وايضا جانب الدير الشمالي ... كثيرة من الداخل ... وقد بقينا من اثني القيامة ... ليس فيها ماء ... وكان الشبان يذهبون ... ويأتون بالماء ونشرب ... حينئذ الرب ... وأمطرت فكثرت المياه ... » .

الفصل الثالث عشر

تمثال الاميرة الشهيدة سارة

في الدطامة الكبرى التي في صحن الكنيسة ، تجاه تمثال مار بهنام ، صورة اخته الاميرة الشهيدة سارة .

طول الصورة متران وعرضها ١٫٣٧ من الامتار ، وهي بالزي الاثوري القديم ، عليها حلة مزخرفة فوق رداء طويل ذي أهداب مطرزة ، مرسومة بالجبس رسماً ناتئاً ومطلية بالوان مختلفة .

ومما يؤسف له ان يداً غريبة قد عبثت بها فشوهتها . وتحيط بجوانبها الأربعة كتابة سطرنجيلية بدءاً من الجانب الشمالي ترجمتها :

« باسم الله الحي والحيي ، رسمت صورة القديسة سارة هذه . فلتساعدنا صلاتها ... (هنا كتابة ممحية) المدبر ليصفح عنه الله ، وعن أخيه وأمه . في عهد أبي الفضل وسعيد ومنصور ، ليشفق الله على أولادهم » .

الفصل الرابع عشر

رتاج بيت القديسين

(مصلى الأربعين شهيداً)

يراد ببيت القديسين «مدفن الآباء» المفارنة والأساقفة ورؤساء الدير . وموقعه في الضلع الشرقية من الكنيسة ، شمالي قدس الأقداس يتصل به بباب صغير :

باب مهيب رائع يبلغ ارتفاعه مع الرخامات ٤ر٦٠ أمتار وعرضه ٣ر٥٠ أمتار وطول فتحته ٣ر٥٠م وعرضها ١ر٨٠م . يختلف عن سائر الابواب المار ذكرها بطرازه القوسي الشكل .

يعلو رتاجه كتابة سطرنجيلية تعريبها :

« تمجيداً واكراما للثالوث المسجود له والمتساوي بالجوهر ، واجلالا وتأميناً وتعزيزاً لكنيسة الله المقدسة ، تجدد وتجمل هذا الباب . ليصفح الله عن كل من اشترك في العمل آمين » .

في أسفل هذه الكتابة افريز أفقي منقوش على هيئة أطواق ومن ثم يحيط بالباب أفريز مقعر الوسط بارز الجانبين ، تحدق به عضادتان رائعتان منحوتتان نحتاً دقيقاً نافراً من قطع الباب ذاتها ، ومنقوشتان بأجمل نقش وأظرفه ، ركزت عليها حنية قوسية في أعلاها صليب أنيق والحنية تتألف من تسع عشرة قطعة من المرمر . كل قطعة مسننة على شكل اصص متداخلة ببعضها وهي منقوشة الجناحين اللذين في جانبيها بزخارف نابتة على شكل أغصان متشابكة متعانقة الفروع في غاية المهارة ومنتهى الدقة والاتقان .

وقد حفر على العضادتين بالسطرنجيلية ما تعريبه :

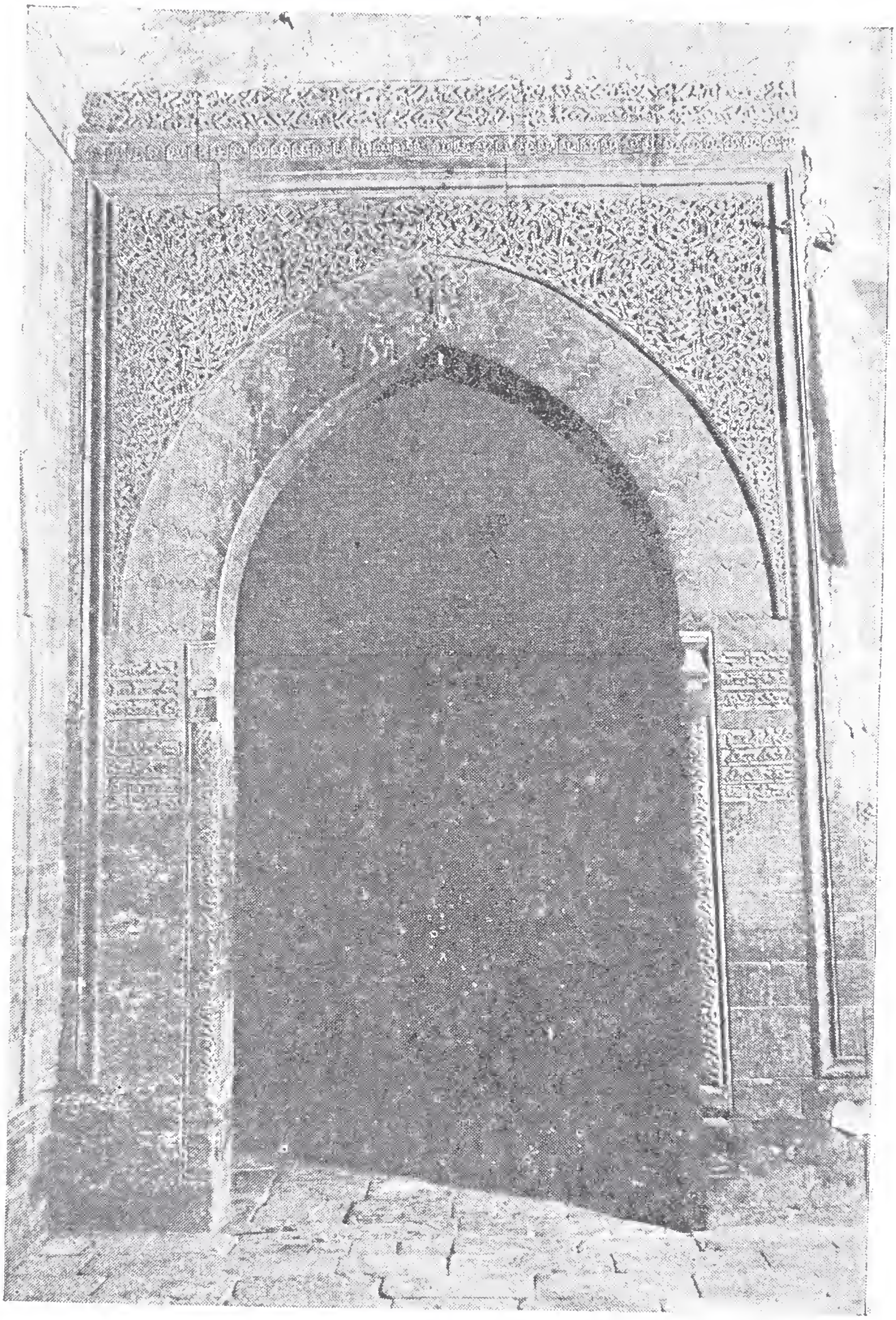

«المرجو من كل مؤمن يشاهد هذاالباب ان يصلي على الاساتذة الذين اشتركوا في العمل. ركب هذا الباب بعناية الشماس ابي نصر بن المرحوم خلف وذلك بفضل ماله.»

الفصل الخامس عشر

ألواح ضريحية في مصلى بيت القديسين

وفي صدر جدار هذا المعيد الشرقي في الداخل اربعة الواح رخام عليها تواريخ وفاة بعض الآباء المدفونين فيه وهم :

اللوحة الأولى :

في الزاوية الشمالية على يسار الداخل لوحة نقش عليها بالسطرنجيلية ما ترجمته :

«غادر عالم الأتراح وانتقل الى خدر الأفراح ابونا البار والقديس الطاهر ديوسقورس مفريان المشرق وهو بهنام الاربوي سنة ١٧٢٨ لليونان (١٤١٧م) في ٢١ من شهر تموز شهر الرياح الحارة السامة . ليرح الله نفسه مع الآباء آمين.»

اللوحة الثانية :

وفي منتصف اسفل الجدار لوحة كتب عليها بالسطرنجيلية ما تعريبه :

«خرج من هذا العالم الارضي وانتقل الى العالم الروحي ابونا البار والمغبوط المنفصل عنا بالوفاة سنة ١٩٣٦ للاسكندر ذي القرنين (١٦٢٥م) في ٢٨ نيسان المعروف بشهر العرائس ، استدعاه الملك السموي ليناقشه الحساب ، فاصيب بالوباء واقتاده الله من هذا العالم . اما اسمه فهو المطران يوحنا من بيث خديدا . ليرح الرب نفسه .»

اللوحة الثالثة :

على يمين الداخل ومن الاسفل ركبت لوحة مكتوب عليها بخط سطرنجيلي ترجمتها :

«باسم الله الحي الواحد المثلث الذي عرشه في السماء ومسكنه نور بهي . الذى هو الاول والآخر . لا بدء لأزليته. خرج من العالم الارضي وانتقل الى العالم الروحي ابونا البار والمغبوط مار ايونيس وهو المطران كارس ، العذب الاسم والرخيم الأناشيد

ومعلم الحقائق وذلك في ٢٠ نيسان سنة ٢٠٥٨ يونانية (١٧٤٧م) وهو من قبيلة يغمور الحديدية ابن المؤمن مار بهنام .»

اللوحة الرابعة :

وفوق منتصف جدار هذا المعبد لوحة رخام كبيرة نقش عليها بالكرشونية وبالحرف السطرنجيلي ما نصه :

«هذا قبر المرحوم مطران بهنام الهاروني ابن قس عيسى ، انتقل في شهر كانون الواحد سنة ٢٠٨٨ (١٧٧٧م) اي مار ايونيس مطران بهنام .»

ويلي هذا بالسطرنجيلي ما تعريبه «الرجل الوقور يا من هو سبعة وثلاثون (الله) ويسجد له اثنان وتسعون (الملائكة) تحنن على ابينا في اليوم الخامس والستين (يوم الدين) وصالح ثلاثمائة واثنين وثمانين ؟ فليساعدنا ربنا يسوع المسيح .»

الفصل السادس عشر

الباب الشمالي

(معبد العذراء)

في ركن الكنيسة الشمالي رتاج يضاهي سابقه شكلا وقياساً وتركيبا ، الا انه عار عن أي تصوير او تزويق او كتابة ، وعلى الرغم من خلوه من هذه الميزات الزخرفية فانه يوحي بالعظمة والجلال، ويبدو للباحث المنقب، ان النية كانت معقودة على تزويقه بعد تركيب حجاراته اوجود ثلاث قطع من الرخامات في أعلاه بارزة دون سواها ، من غير داع او مبرر ، غير ما تقدم . وقد حالت دون ذلك تصاريف الزمان . وهذا الباب يفضي الى معبد تعلوه قبة هي من أجمل آثار هذه الكنيسة وأنفسها .

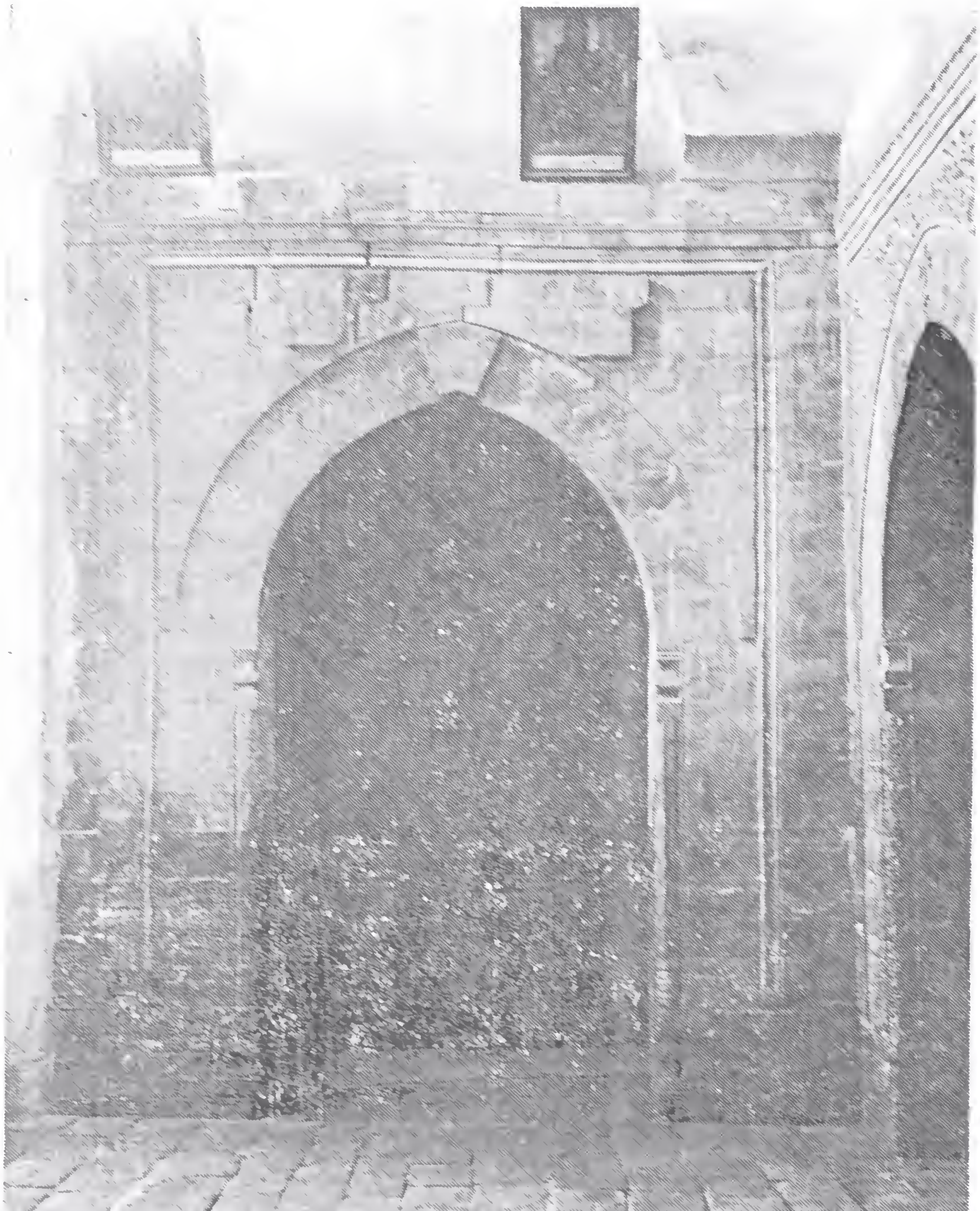

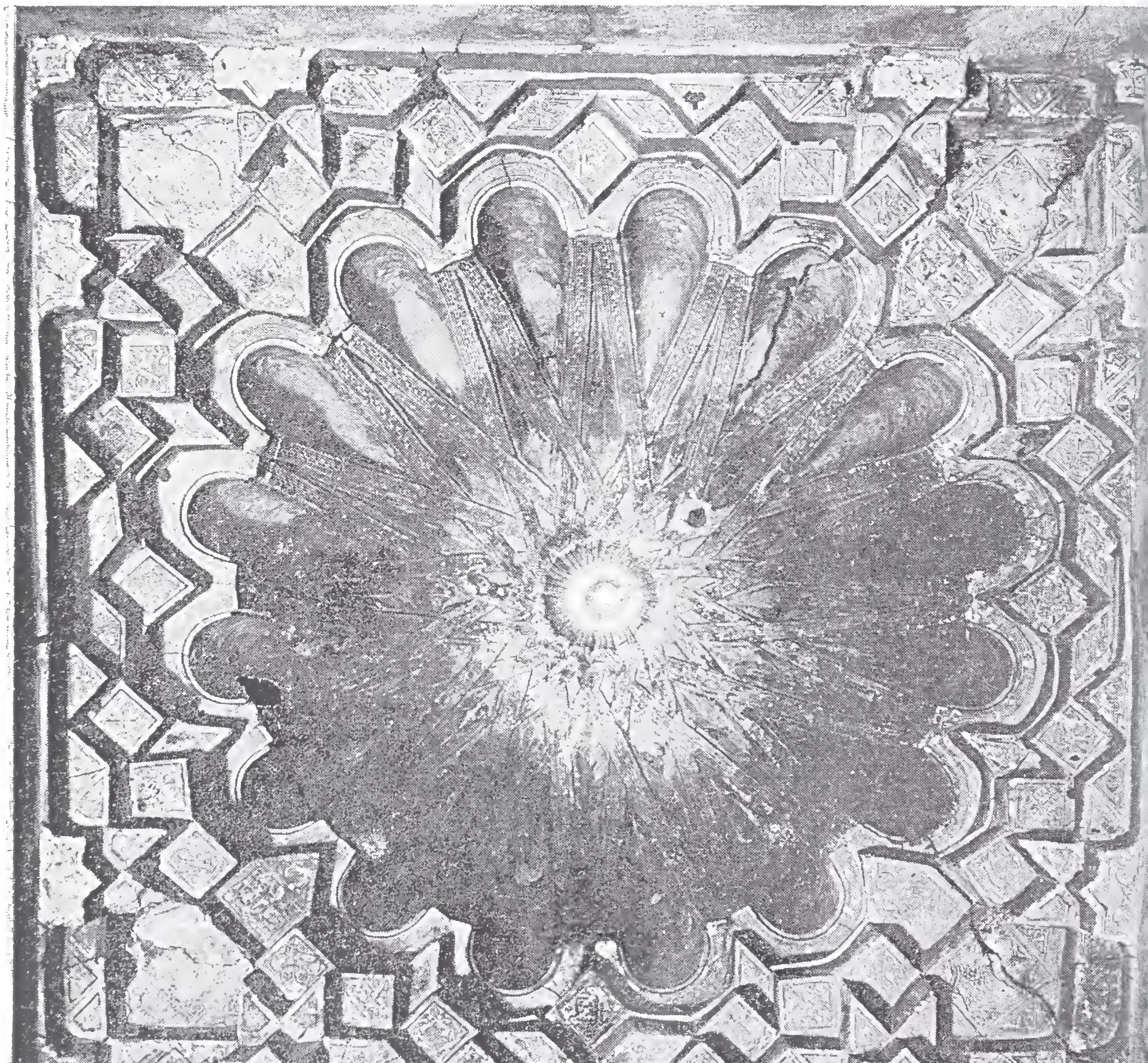

الفصل السابع عشر

قبة المصلى الشمالي

ان هذه القبة غنية بالزخارف الجبسية . وهي تتألف من أشكال هندسية دقيقة متناظرة تتخللها كتابات بالخط السطرنجيلي يخالها الناظر انها نقوش وقد حافظت على نفسها رغم مرور العصور .

يبلغ ارتفاع هذه القبة أحد عشر مترا ،وهي تستند الي سلسلة حوامل مقرنصة وأفاريز بديعة تخرج من زوايا هذا المعبد الاربع بصورة تدريجية الى ان تتباعد عنه في بعض أمكنة بما يقرب المتر ونصف المتر . وهي تؤلف نطاقا مزخرفا وشكل دائرة تجمع بين اتقان الصنعة وروعة الفن ونقاوة الجمال .

وتحمل هذه الدائرة قبة منيفة هي شبه مظلة مؤلفة من ستة عشر نصف مخروط مقعر ، ينفذ النور اليها من كوتين منها ، تتخللها خطوط زخرفيـة متظافرة ، تنتهي في أعلاها بقبة صغرى هي بمثابة تاج ضفر على قمتها . وفي أعلى القبة الصغرى كوة صغيرة مستديرة مفتوحة يدخل النور منها .

اما الحوامل القرنصة والافاريز فمصبوبة بقوالب مختلفة الأشكال والحجوم طعمت بصلبان أنيقة ونقوش بديعة الشكل وكتابات سطرنجيلية وعربية على بقعة زرقاء تزيدها بروزاً وبهاء .

فلا نغالي اذا قلنا ان هذه القبة تكون أثراً معماريا نفيسا فريداًمن نوعه وهو بلا مراء أروع العقادات الموجودة في هذه الديار .

اما الكتابات العربية فهي :

١ـ «صنعة عيسى النقافة وميخائل»

٢ـ «النعمة تدوم بالشكر»

اما السطرنجيلية فتعريبها :

«باسم الله الحي والقدوس ، يتبارك جمعنا كله في هـذا بيت والدة الله البتول ، لأجل هذا بني له الرب بيتاً على الارض ، فمن شاء ان يعاين الرب له المجد فليأت الي بيته . »

الفصل الثامن عشر

الباب الشمالي الثاني

« مصلى مار أفرام »

في ركن الكنيسة الشمالي ، على يسار الداخل ، مصلى ثان خال من كل التزيينات والزخارف، الا ان وضعه الحالي يحملنا على الايقان بقدمه ، وقد جرت فيه ترميمات في أزمنة متفاوتة ، ويبدو كل ترميم منها يختلف عما سبقه .

«الخلاصة»

يجدر بالزائر الكريم قبل ان يغادر هذا الاثر الخالد ان يلقي نظرة اجمالية على مشتملاته . فتتجلى له الكنيسة بمظهرها الفتان وارتجتها العديدة المزدانة باجمل الزخرف . فلا يتمالك وهو فيها من الشعور بخشية تدب في جنانه لمرأى آثار هي بالحقيقة في منتهى الجمال والدقة والروعة .

الباب الرابع

آثار معبد الضريح المعروف «بالجب»

الفصل الاول

موقع معبد الجب

بعد ان يمتع الزائر الكريم نظره ببدائع الفن وروائع الزخرف في كنيسة هذا الدير النفيسة ، لا بد له من زيارة ضريح الامير الشهيد في معبد الجب .

فيخرج من الكنيسة ويعود ادراجه الى خارج الدير ، فيشاهد الى الجنوب الشرقي ، على مسافة نحو ٦٠ م ، بناء مستطيلا تليه قبة في سفح تل تضم آثاراً خالدة

(معبد الجب ، منظر خارجي)

وذكريات جليلة مؤثرة تحوي داخلها ضريحاً مقدساً ، فيه رفات ثمينة عبقت باريجها العصور وعطرت بعبيرها الدهور ، وستبقى متضوعة فواحة ما تعاقب الملوان وكر الجديدان .

الفصل الثانى

مخطط معبد الجب

يتألف معبد الجب من بنائين احدهما أمامي مستطيل تليه قبة مستديرة . أما البناء الأمامي فيتكون من غرفتين احداهما بداخل الثانية يصل بينهما باب مقوس . وأول ما يقابلنا من باب البناء المستطيل صورتان تقليديتان ، اليمنى لمار بهنام ممتطيا جواداً وهو يطارد ايلا ، واليسرى لمار متى يعمذ سارة . وتعلو الباب كتابة سريانية تعريبها :

«تجدد(١) باب الجب المحفوظ فيه رفات مار بهنام واخته سارة والاربعين شهيداً في أواخر تشرين الثاني سنة ١٩٢٦م وفي هذا الوضع استشهدوا سنة ٣٥٢(٢)

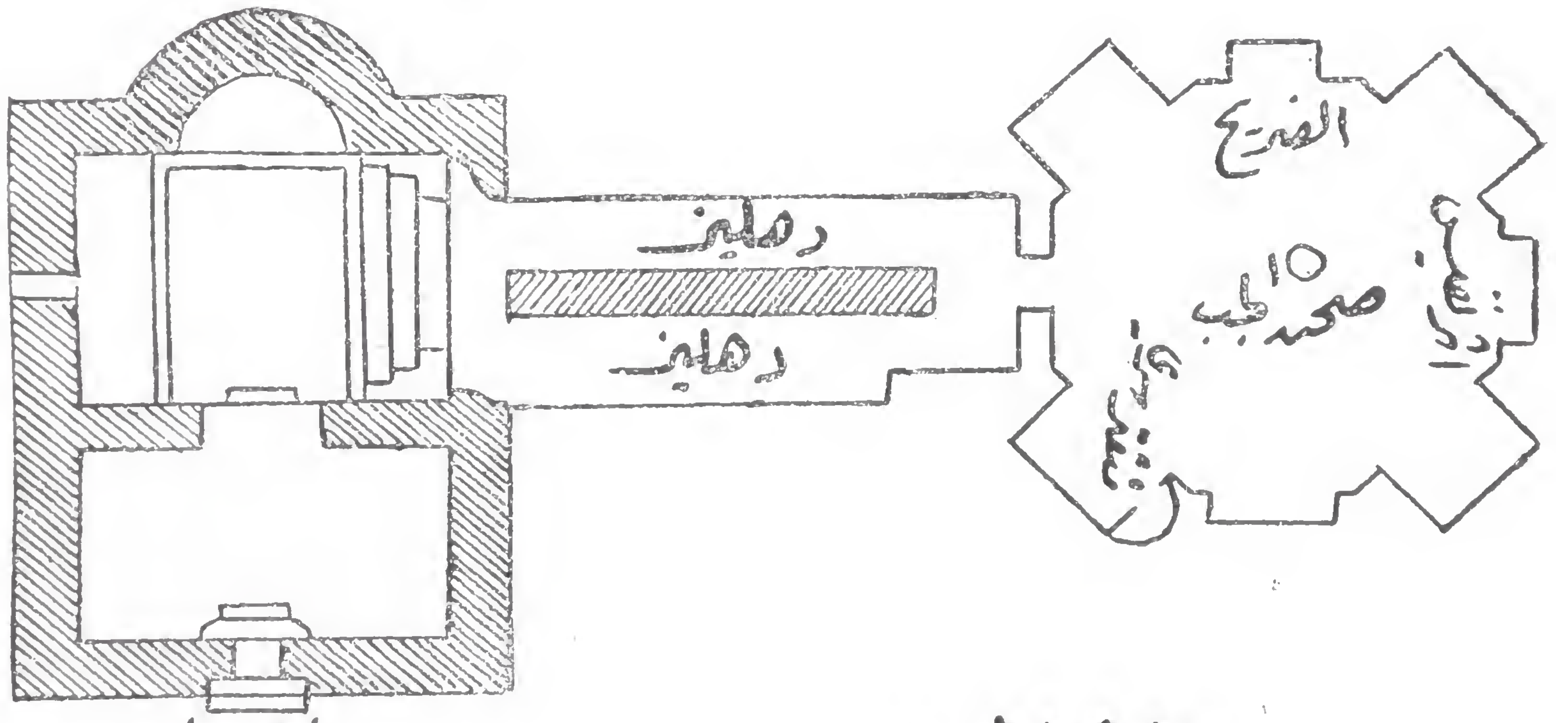

مخطط الجب

عندما نجتاز الباب تقابلنا غرفة مستطيلة حديثة البناء تتصل بغرفة اخرى مربعة رممت مراراً في أزمان متباينة ، في صدرها فجوة على شكل نصف دائرة كان فيها جرن قديم من الصوان يظن انه جرن عماد (٣) .

١) تهدم هذا المدخل في ٥ شباط ١٩١٣ وبقي دون ترميم ثلاثة عشر عاما

٢) عن تاريخ استشهاد مار بهنام راجع ص٢٤-٢٦ من هذا الكتاب .

٣) اطلب *Bodger : The Nestorians and their Rituals V. I , p 94*
والاثار الشرقية مجلد ٣ ص٢٢٥

وهناك في هذه الغرفة مدخلان ينحدر اليها بثلاث درجات يفضيان الى دهليزين متناظرين ، تحت الأرض ، طول كل منهما تسعة أمتار وارتفاعهما ٧٥ر١ من الأمتار ، يلتقيان شيئاً فشيئاً حتى ينضما ويلتقيا معاً في مقدمة صحن الضريح وهو المعروف «بالجب».

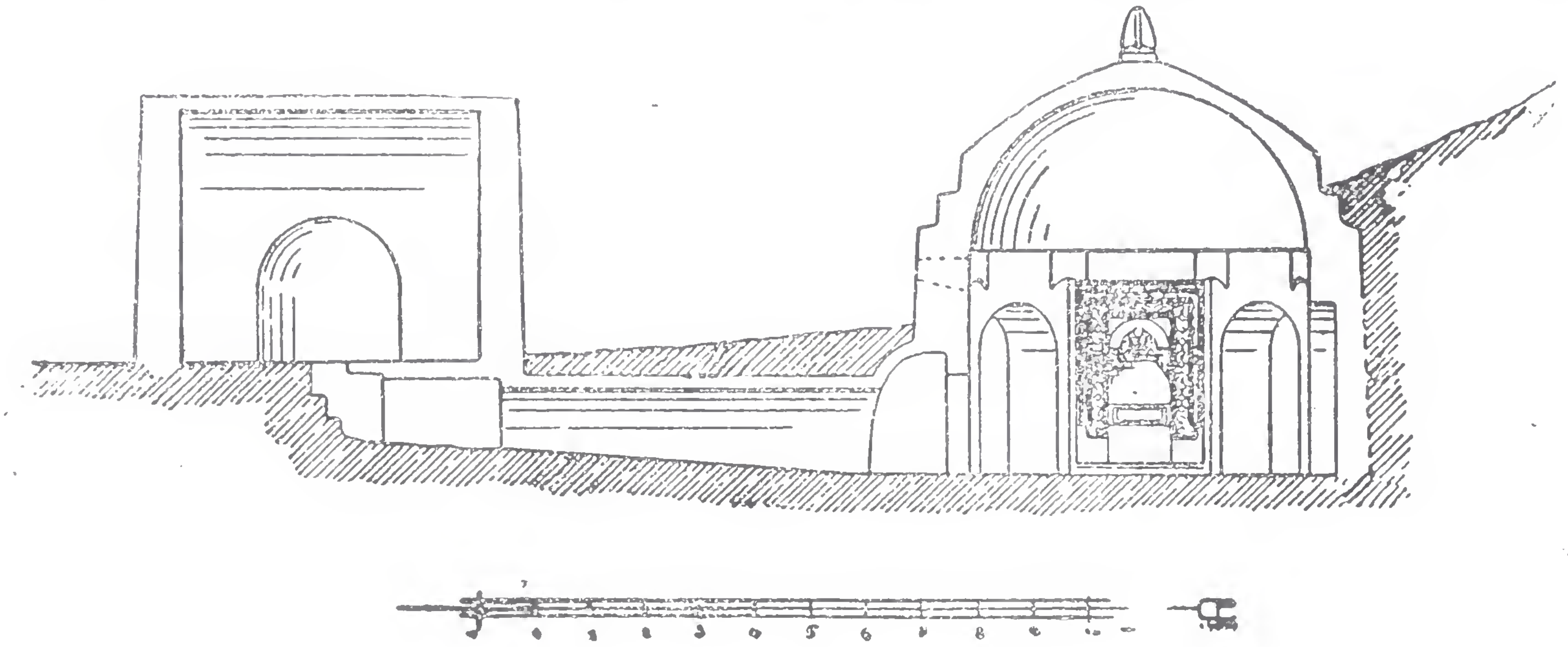

(مقطع الجب)

ومعبد الضريح يتألف من قبة مثمنة الزوايا. في كل زاوية شبه أواوين متباينة العمق ، تحيط بجوانبها السفلى صفائح مرمرية ذهبت عوادي الزمان ببعضها . وتعلو هذه الأواوين حنايا من القرميد وضعت لازالة الزوايا الحاصلة من اتصال الاضلاع وجعل أعلى الجدار مستديراً ، وقد ركبت القبة فوق هذه الدائرة .

وقطر القبة ٢٥ر٧ من الأمتار وارتفاعها ٥٠ر٩م ينفذ اليها النور من كوتين في أعلى السقف من الجانب الشمالي الغربي .

الفصل الثالث

هل يا ترى هذا هو المخطط الاصلي للجب ؟

ورد في حياة الأمير القديس بهنام بان هذا المعبد انشىء في أول عهده على شكل أقبية ضيقة صغيرة (١) ويجدر بنا ان نتساءل هنا ماذا يراد بهذه الأقبية الصغيرة ؟ هل

١) اخبار الشهداء والقديسين بيجان ٢ : ٤٢٨

يعنى بها الحنايا التي تحيط بهذه القبة المثمنة الاضلاع ، ام ان هناك في صدر كل ايوان غرفة صغيرة مغلقة تحوي ضمنها ذخائر الاربعين شهيداً رفاق مار بهنام ؟ هذا ما لايمكن البت به لخلو أيدينا من مصادر موثوق فيها تبحث عما نحن في صدده .

وما من شك في ان هذا البناء لم يبق ثابتاً على هيئته الاصلية حتى اليوم بل أجري فيه على كر الدهور ترميمات عديدة وربما جدد بالكلية . ومما لا جدال فيه هو ان جدران الدهليزين اللذين يصلان البناء الامامي بالقبة لم تبق على عمارتها الاصلية بل جددت وانشئت في سالف السنين على أسس قديمة لا تزال آثارها بادية للعيان . اما متى وكيف تمت هذه الترميمات او التجديدات فهذا ما يتعذر تعيينه او اثباته بوجه التحقيق لافتقارنا على بينات تلمع اليه . ومهما يكن من أمر هذا المعبد فانه ولا شك من أقدم آثار النصرانية في العراق وأبعدها عهداً . يحمل على هذا الاعتقاد وضعه الحالي أعني هبوط مستوى أرضه عن الأراضي المحيطة به .

الفصل الرابع

تاريخ بناء معبد الجب

كثيرة هي الاعتبارات التي تحملنا على الاعتقاد اعتقادا راسخا ، ان معبد ضريح مار بهنام المعروف بالجب هو أول ما انشيء بعد اهتداء سنحاريب الى النصرانية ، اي في الربع الاخير من المئة الرابعة . غير انه جاء خلاف هذا في سيرتي مار متى ومار بهنام . فواضع السيرة يمثل سنحاريب بمظهر من يتغاضى عن أمر ولديه ، ويوجه جل اهتمامه الى ما هو لمار متى : من بناء هيكل فخم وحفر صهاريج واسعة وتعبيد طريق . ويروي الكاتب بان هذه الاعمال قد استغرقت وقتا طويلا وسببت أتعابا مضنية واستنفذت أموالا طائلة . ثم بلغ عدد الرهبان الالوف وتوفي مار متى ، والاميران الشهيدان لا يزالان في الهوة السحيقة التي انشقت فوارتهما مع رفاقهما الصناديد . كل هذا حدث وسنحاريب الاب متغافل عنهما غير آبه لهما . وأخيرا لما عن له ان يشيد لولديه معبداً ،

تعهدت بذلك الملكة الوالدة فعمل على شكل أقبية ضيقة صغيرة ولم يستغرق بناؤه إلا وقتا قصيراً .

فيستدل من هذا ان واضع السيرتين ماتي النحلة ، وقد بالغ في كل ما هو لديره وهذا بعيد عن الحقيقة والصواب ، لا يقبله كل ناقد خال من غرض او هوى في النفس.

اذا كان سنحاريب قد تعهد او تولى عمارة دير لمار متى ، فهذا لا يمنعه ان يهتم في الوقت نفسه بامر ولديه ، وهو القائل لمار متى عندما أشار عليه باقامة بيعة حيث مقتل الشهداء : « دع عنك ايها الأب الفاضل الاهتمام بهذا الأمر فانه يخصنا ، واما انت فابذل عنايتك الى ما هو لرهبانك . »

من الغريب وهو بعيد عن الصواب ، ان سنحاريب بقي متغافلا عن ولديه الى أجل غير محدود .

وعلى الفرض انه كان خلواً من العاطفة الأبوية ، فهذا ما لا يمكن نسبته الى الملكة الوالدة وهي المشهورة بشهامتها وسخائها وعاطفتها . فقد جاء عنها انها أرغمت مار ابرهيم ان يأخذ مالا وفيراً لاقامة دير له ، وانها ساعدت اسحق الفارسي في بناء الكنيسة وهو لم يكن بحاجة الى هذا الاسعاف .

فليس اذن من الصواب ان تترك ولديها الوحيدين وفلذة كبدها مهملين في الهاوية الى اجل غير معين ، وقد حز السيف رأسيهما ، وسلطان الموت قد اخذهما من بين يديها شابين يافعين ، وتبقى هي تلك المدة هادئة ناعمة البال لا تعبأ بشأن ولديها العزيزين .

كل القرائن تحملنا على الاعتقاد بانها قامت فور شفاء سنحاريب الملك زوجها وتنصره ، بالبحث عن ولديها الحبيبين وانها لم تهدأ او تهجع الا بعد ان عثرت عليهما . ومن ثم وضعتها في محل يليق بهما وأقامت لهما معبداً تذكاريا . هذا ما يفرضه الذوق السليم وعليه تحليل مجري الحوادث الطبيعية ، ولا ينكره الا من فقد العاطفة الانسانية .

وبناء على هذا نرى ان تشييد معبد الضريح اي « الجب » كان اول ما أنشىء بعد تنصر سنحاريب ، او انه أقيم في وقت واحد مع كنيسة دير مارمتي وليس بعده ، وذلك في الربع الأخير من المئة الرابعة للميلاد .

الفصل الخامس

سبب تسمية هذا المعبد بالجب

جاء في سيرة مار بهنام ، أنه بينما كان الجنود محاولين اضرام النار في أجساد القديسين حدث اضطراب وزلزال انشقت الأرض على أثرها وابتلعت أشلاء الشهداء . وجاء في موضع آخر أنه عندما رامت الملكة اقامة معبد للشهداء ، نظر مار ابرهيم في فم الهاوية ثم نزل فيها ورفيقيه وتبعتهم الملكة الوالدة. وجاء ايضا : وأخذ العمال في بناية الجب ... ولما صار اسحق الى باب البئر ... الخ

يستنتج من هذا وجود «جب» أو «بئر» قديم مهجور في تلك البقعة انشق على أثر زلزال أخفى أجساد القديسين .

ان هذا قابل الحدوث خاصة أن التل وما يجاوره ما هو إلا أطلال آثار مندرسة يرتقي عهدها الى مئات السنين. والباحث المحقق يجد في هذه الاصقاع قطع خزف مطلية بالوان مختلفة وآثاراً يرجع تاريخها الى عصور ما قبل التاريخ (١).

وعلاوة على كل هذا نقول أنه في عام ١٩٣٧م وعلى مسافة نحو نصف كيلو متر جنوبي الدير عثر فعلة مديرية الاشغال العامة عند قيامهم باعمال فتح قنوات اوقاية الطريق المؤدي من الموصل الى الكوير على خوابي عديدة تحوي عظاما بالية مما يحملنا ان نقول انها آثار مقبرة آشورية سحيقة في القدم .

روى الاثري الفرنسي فيكتور بلاس ، وكان قد زار الدير عام ١٨٥٢م بان دير مار بهنام شيد من أنقاض أثر ساساني (٢).

وعليه نقول انه لا يستغرب وجود «جب» او «بئر» مهجور في تلك البقعة التي ثوي فيها الشهداء على أثر الزلزال المذكور . وقد حدث هذا طبيعيا بل بآية سموية، لان الله عز شأنه يسخر غالبا الطبيعة لاتمام رغائبه السامية .

لقد بان لنا وجود «جب» لذلك نستطيع ان نجزم بان سبب تسمية معبد الضريح «بالجب» هو ما اوردناه آنفا .

---

١) مجلة سومر المجلد الخامس السنة ١٩٤٩ ص ٣٢٠

٢) *Place : Ninive et l'Assyrie, Paris, 1870 T. II. P. 171*

الباب الخامس

أهم آثار الجب

الفصل الاول

ضريح سنحاريب والد مار بهنام

يؤثر عن الاقدمين ، ان عن يمين الداخل في الغرفة الاولى المستطيلة من بناء الجب الامامي ، قبر سنحاريب الملك والد مار بهنام ، الا انه ليس هناك مصدر موثوق فيه يدل على وجود هذا القبر المزعوم ، ولكن مهما يكن فالرأي المجمع عليه انه في الموضع المذكور .

الفصل الثاني

ضريح مار بهنام

تاريخ انشاء هذا الضريح :

جاء في حياة الامير الشهيد :« وصنعت الملكة لولديها ضريحين من الرخام ركزا في الجدار الشرقي حذاء البئر(١) . وكان ذلك في الربع الاخير من المئة الرابعة كما أسلفناه . وورد فيها ايضا :« نقلت هذه الذخائر الى الهيكل الذي شاده اسحق الفارسي واودعت يمين المذبح(٢) ، وكان ذلك في منسلخ المئة الرابعة او بالاحرى في صدر المئة الخامسة للميلاد .

هل نقلت هذه الذخائر الى موضع آخر بعيد عن الدير ؟

---

١) اخبار الشهداء بيجان ٢ : ٤٣٢ والاثار الشرقية مجلد٣ ص٤٣

٢) اخبار الشهداء بيجان ٢ : ٤٤٠

جاء في تاريخ ابن العبري انه في سنة ١٥٧٣ يونانيـة ١٢٦٢م حاصرت جيوش المغول مدينة الموصل ، فهرب عـدد وافر من شعبنا المقيم في نينوى والنواحي المجاورة الى اربل ولم يكن له ثمة محل للصلاة ، فطلب الوجوه الى مار مكيخا جاثليق النساطرة الذى كان يومئذ في اربل ان يؤذن لهم ببناء بيعة فلم يطاوعهم . فالتجأوا حينئذ الى مار دنحا مطران اربل والى الامير المتدين تاج الدين ابن مقتص فأذنا لهم ولو لم يطاوعهم الجاثليق . وشادوا ايضاً داراً للاسقفية وللرهبان ولزوار مار بهنام . (١) ماذا يراد هنا بزوار دير مار بهنام ؟ اما يعني ذلك ان ذخائر مار بهنام او بعضها نقلت الى الكنيسةالتي شيدت في اربل على اسم مار بهنام ؟

غير انه يستدل من كتابة أثرية محفـورة في جدار كنيسة دير مار بهنام سبق وصفها ان هذه الذخائر كانت محفوظة في هـذه الكنيسة يوم اجتاحت الجحافل التترية هذه الديار عام ١٢٩٥م وقد جاء نفر منهم الى هـذا الدير ونهب كنيسته واستولى على أواني المذبح والسجوف ولم يبق فيه الا الانجيل « وتابوت القديس » فان الله قد أعمى عيونهم فلم يروها . (٢)

ويزيد ذلك ثبوتا كتابة سطرنجيلية منقورة تحيـط بالضريح الحالي ورد فيها ما ترجمته : « ركبت هذه الحجارة المنحوتة في ضريح مار بهنام ... في سلخ كانون الثاني سنة ١٦١١ يونانية ١٣٠٠م . فيستنتج من ذلك ان هذهالذخائر قد نقلت ، بعد هذا الحادث الى الجب واقيم لها هذا الضريح ، ولما تزل محفوظة فيه اذ لم يرد ما يدحض هذا ويؤيد خلافه . وما تقاطر جماهيرالزائرين على هذا المعبد عبر الأجيال الا أنصع برهان محسوس على صحة ونصاعة هذه الحقيقة . فالشعب على اختلاف نحله وملله اذا أجمعت كلمته على أمر وتوحدت عقيدته ، كانت ولا شـك مبنية على دعائم متينة . وهذه عقيدة قرون واجيال .

---

١) ذخيرة الاذهان ٢ : ٦٠

٢) كتابة محفورة بالرخام في جدار كنيسة دير مار بهنام .

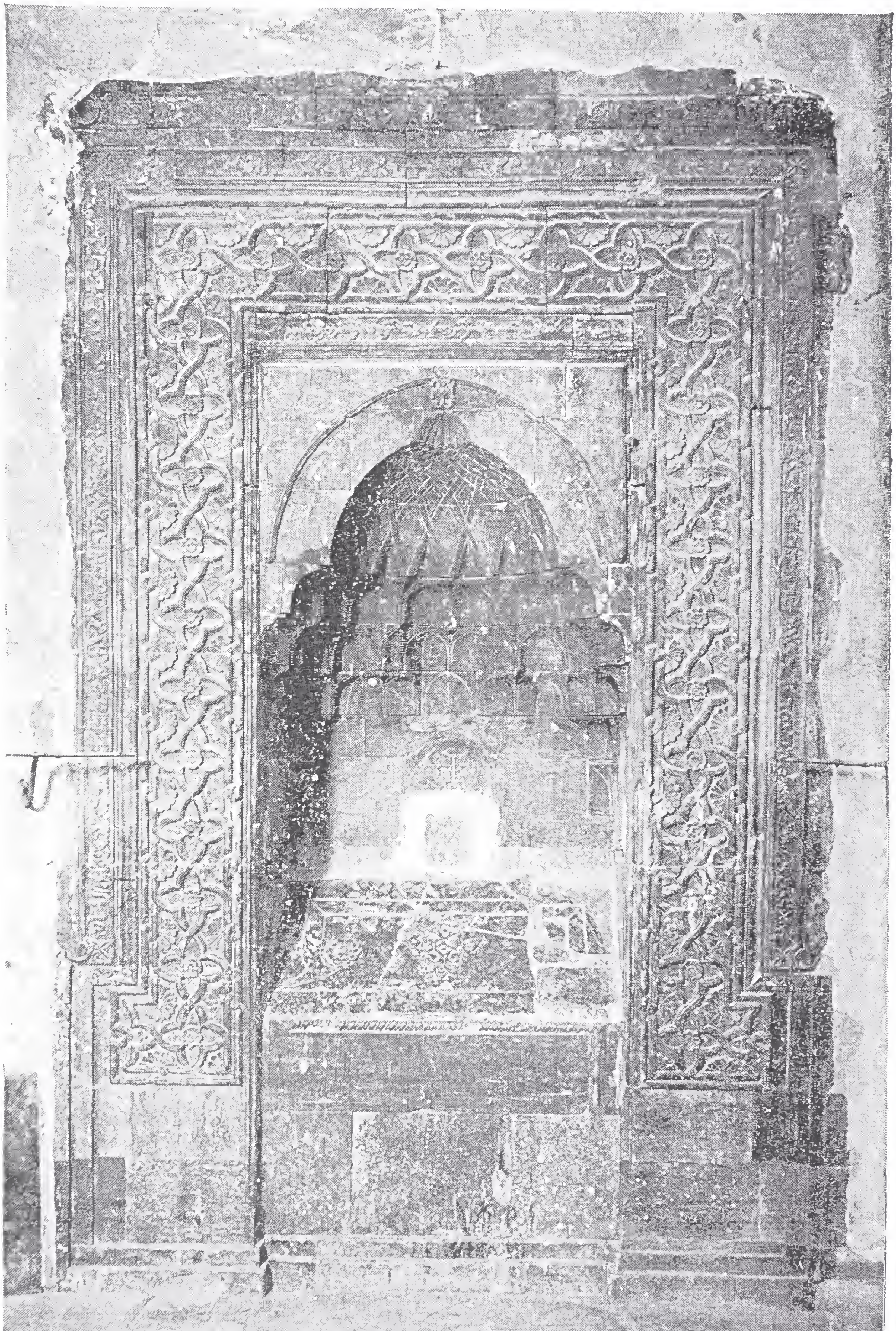

الفصل الثالث

وصف هذا الضريح

يقع هذا الضريح في الجدار الشرقي من معبد الجب ، وهو على هيئة مذبح من الرخام الازرق الصقيل اللامع ، ضمن حنية داخلة في ثخانة الجدار ٦٠ سم منعطف السطح الى الامام .

وأما اللوحة التي على سطح الضريح فهي قطعة واحدة يحيط بها اطار مستو داخل الزوايا في الاسفل . وفي وسط هذه اللوحة صليب أنيق ، وعلى كل من جانبيه نجمتان كبيران نافران . وقد عبثت الايادي بها فحطمت جانبا منها . وفي اسفل اللوح قطع رخام منحوتة على شكل حبال متشابكة .

ارتفاع الرخام الذي يحيط بالضريح ٤ أمتار وعرضه ٢ر٤٠ من الامتار وطول لوحة الرخام التي على الضريح ٢ر٢٠ من الأمتار وعرضها ٧٠ سم وعلو الضريح عن مستوى سطح الارض متر واحد .

يعلو الضريح محراب ظريف ، تستند حنيته الى سلسلة حوامل مقرنصة من رخام منحوتة نحتا صقيلا تخرج من الجدار تدريجيا على هيئة أواوين وتؤلف نصف دائرة متشابكة الخطوط الهندسية تنتهي بنصف قبة صغيرة يعلوها صليب دقيق فوقه دائرة صغيرة .

وفي صدر المحراب ، قطعة رخام بيضاء نادرة المثال نقش فيها صليب أنيق تحيط به زخارف دقيقة وعلى جانبيها الاعليين ملاكان متناظران قائمان . وقد اثبتت هذه اللوحة في كوة منقورة في الرخام فوق الضريح .

ثم يحف بالضريح من جوانبه الثلاثة أفاريز من رخام دبجت باجمل النقوش وهي على شكل حبال متشابكة الاطراف تؤلف صلبانا نافرة أضلعها الاربعة مخروطية الشكل وفي وسطها وعلى جوانبها نجوم نانئة دقيقة الصنع . واخيرا تحيط هذا الضريح أصناف الكتابات .

الفصل الرابع

كتابات الضريح

تزين أطراف هذا الضريح صنوف من الكتابات السطرنجيلية والعربية والتركية القديمة المعروفة بالايغورية (١) اليكها :

١- في أعلى المحراب كتابة عربية هذا نصها :

« هذا ما تطوع بعمله العبد الخاطىء مسعود بن يعقوب بن مبارك نازك رحم الله من ترحم عليه » .

٢- يحيط بالضريح كتابة تاريخية بالسطرنجيلية نافرة تعريبها :

« ركبت هذه الحجارة المنحوتة في ضريح القديس بهنام بهمة الربان مسعود بن يعقوب بن مبارك نازك البرطلي لكي يصلي عليه وعلى أبويه كل من في الدير . تم ذلك في منسلخ كانون الثاني سنة ١٦١١ يونانية ١٣٠٠م ولله المجد امين » وتنتهي بالعربية « كتبه تمور الصائغ » .

٣- ويلي ذلك في الأسفل فوق قبة الضريح كتابة ايغورية ويقال انها الكتابة الوحيدة التي اكتشفت بهذه اللغة في أقطار الامبراطورية العثمانية القديمة (٢) قرأها المسيو هالى *Halevy* الذي كان موظفاً في السفارة الفرنسية بالقسطنطينية هكذا :

« خضر الياس برخوده القيشي القاآن ملك التتار كبير لوخانو نلر كاقو نسون اورناسون » .

وشرحها على هذه الصورة :

« ليحل سلام خضر الياس ولي الله ويستقر على القاآن وعظمائه وخواتينه »(٣)

---

١) الكتابة الايغورية هي حرف خصوصي نقله الاويغور عن الكلدانية وعرف بالحرف الايغورى وهو يكتب عموديا من الشمال الى اليمين .

٢) ج *Les Inscrions Semitiques P. 14*

٣) عن الجريدة الاسيوية باريس المجلد العشرون ص٢٩١ سنة ١٨٩٢ م والاثار الشرقية مجلد ٣ صفحة ٢٢٧

والمراد بخضر الياس هنا « مار بهنام » لأن غير النصارى يطلقون لفظ الخضر على غير واحد من أولياء الله تعالى (١) .

٤- وعلى جانبي قبة الضريح العليا حفر بالعربية :

« عمل استاذ مسعود بن يوسف الفسال رحم الله من ترحم عليه » .

الفصل الخامس

قبور الشهداء

من آثار الجب التاريخية الجميلة قبور الأربعين شهيداً ، رفاق مار بهنام . في صدر كل ايوان من الأواوين التي حول صحن هذه القبة المثمنة الزوايا ، لوحة رخام مزخرفة او مكتوبة للدلالة على انها مثوى رفات الشهداء الأربعين ، صحب ماربهنام .

-١-

لوحة أثرية نفيسة

بين هذه الألواح ، لوحة أثرية نفيسة مثبتة في جدار الجب الجنوبي ، طولها ٧٠ سم وعرضها ٤٠ سم عليها نقش نافر .

في وسطها صليب مجنح هو آية في الدقة والمهارة الفنية ، تحف به زخارف أنيقة

---

١) كان في بغداد كنيسة على اسم خضر الياس . قال الرحالة تافارنيه *Tavernier* الفرنسي وهو في بغداد في سنة ١٦٥٢ وكثيراً ما يذهب المسيحيون للتعبد الى موضع يبعد عن المدينة (يريد انهم كانوا يسكنون الجانب الشرقي) بنحو ربع فرسخ (اي نحو كيلومتر ونصف كيلومتر) حيث كنيسة صغيرة موسومة تبركا بقديس يسمونه خضر الياس وهم يؤدون شيئاً زهيداً للترك الذين بيدهم المفاتيح ليسمحوا لهم بالدخول . ا ه . (الرحلة ١ : ٢٣٦ من طبعة لاهي في سنة ١٧١٨) زال هذا الموضع باستيلاء دجلة عليه وجرفها اياه في سنة ١٩٢٠ او ١٩٢١ وباسم خضر الياس سميت المحلة وتسمى . (يعقوب سركيس ، مجلة النور ، السنة الاولى) العدد ٤ ص١٢) وفي الموصل جامع مشهور يعرف بجامع الخضر . طالع ص٢٦-٢٧ من هذا المؤلف .

وأقراص خبز منقوشة . يتدلى من ضلعيه عنقودا عنب ، تعلوه حنية ضمن افريز مربع ترتكز على قرصي شهد فوق أصيص زهر . والى الأسفل من كل جانب حمامة مطوقة أمامها قرص خبز مستديرة . ويتفرع من قاعدة الصليب ورق عرعر .

والى الأسفل كتابة أرمنية قديمة (١) محفورة استعصى حلها على الجمهور، فحواها بناء على ما رواه أحد الزوار الأرمن كما يأتي :

« ان هذا المحل مقدس فيه يرقد قديس عجائبي كريم وكل من يقصده مستنجداً اياه بإيمان يفوز بالمنى . يجب علينا ان نقف باحترام وخشوع ونسجد للصليب المقدس ونصلي على القديس حتى يترحم علينا الرب ويذكرنا بشفاعة هذا القديس » . ويليها ما يأتي محفوراً بالسريانية : « ليغفر الرب لجوندينا (تلفظ كالجيم المصرية) اكخيس بن اكتيس » .

-٢-

مدائح لمار بهنام

في أحد هذه الأواوين ، ازاء الضريح ، في الجدار الغربي من الجب ، لوحة مستطيلة عليها كتابة سطرنجيلية محفورة عموديا ترجمتها :

« السلام عليك يا مار بهنام الجليل المحاسن . السلام عليك يا حبيب المسيح . السلام عليك أيها المختار في المجاهدين والمعظم في الشهداء . السلام عليك يا زينة الكنائس وتاجاً يتلألأ على مفرق الديورة . عليك السلام يا مفواراً شرف وانتصر . السلام عليك أيها البطل . السلام عليك أيها الباسل . السلام عليك يا ينبوعاً تجري منه المساعدات للمتضايقين . السلام عليك يا مانح انواع الشفاء لكل السائلين . يبتهج العلويون ويجذل

---

١) تعليل وجود هذه الكتابة الارمنية هو انه في اثناء الرعب الذي استحوذ على الناس على اثر غزو هولاكو البلاد الواقعة في شرقي الفرات وبلاد فارس لاذ اهلها بالهجرة واندفع بعضهم الى كورة آثور وقد حلت جماعة منهم في اربيل وفي قرية كرمليس ولعل بعض رهبانهم قد لجأ الى هذا الدير فترك هذه الكتابة .

السفليون في يوم تذكارك يا مار بهنام الشهيد. كتبه شمعون الشقي. فليصل عليه من يقرأه. اللهم اصفح عنه ».

الفصل السادس

— ١ —

منفذ سري

وهناك في جدار الحنية الغربية منفذ يفضي الى حجرة صغيرة كانت تؤدي قديما بناء على اسطورة تناقلتها الألسنة الى نفق يتصل بمدينة نمرود وطن مار بهنام. وأكد غير واحد من الشيوخ بانه سار في هذا الدهليز الى مسافات. اما اليوم فقد تهدم وانهار وسد كل منفذ منه. ولعله يؤدي الى بناء مدفون تحت هذا التل الأثري، او الى كنيسة الدير. وقيل انه مقبرة. فقد حفر حول هذا المنفذ بالسطرنجيلية ما تعريبه :

« ليصنع الرب الرحمة في اليوم الذى تطلب فيه الرحمة على بطرس وبولس وحننيا وشابور بن سولاقا الخاطىء الغريب. »

— ٢ —

صورة لمار بهنام

وتجاه هذا المنفذ على المضادة الاخرى من الحنية المذكورة لوحة صغيرة من رخام برتقالي اللون عليها صورة مار بهنام ممتطيا جواداً. وفي أسفلها لوحة رخام اخرى تمرية اللون لماعة حفر فيها كتابة سطرنجيلية ترجمتها :

« ليذكر الله ويحفظ بصلاة هؤلاء القديسين يوحنا وعبدالله ابني حبيب وأولاد كل من جبرائيل وأبي الخير وأبي عيسى وأبي الحسن وأبي الفتح وأبي نصر. »

— ٣ —

وفي زاوية الحنية الشمالية سلسلة حديد تنتهي بحلقة توضع في عنق من مسه الجنون او

اصيب بصرع فيبيت ليلته في الجب وينال الشفاء باذن الله . وقد ورد ما يؤيد ذلك في معجم البلدان ، قال ياقوت : « دير الجب ، دير في شرقي الموصل بينها وبين اربل (١) مشهور يقصده الناس لاجل الصرع ويبرأ منه بذلك كثير »

-٤-

وفي صدر هذه الحنية الشمالية لوحة رخام عليها رسم مثلثين متقاطعين ضمن دائرة وفيها كتابة بالسطرنجيلية ترجمتها :

« كالبخور المقرب في الهيكل هكذا مار بهنام في ديره ، وكالطل المنعش الارض صلاته تنعش نفوسنا . »

واما بقية الألواح فعليها زخارف وصلبان نضرب الصفح عن وصفها في هذه اللمحة.

-٥-

حفرة في منتصف باحة القبة

أخيرا وفي وسط صحن القبة حفرة مستديرة يأخذ منها الزائرون ترابا يسمى بالسريانية «حنانا» تبركا وتذكارا لاستشهاد القديسين في هذا المحل وهي عادة قديمة وتقليد عام في الكنائس الشرقية .

الفصل السابع

جدول بلوحات آثار دير مار بهنام التاريخية

-١-

كتابات الكنيسة

١- في قدس الأقداس ، الى عين المذبح ، لوحة حلان حفر فيها بالسطرنجيلية تاريخ تجديد هذا المذبح سنة ١١٦٤م . وهي أقدم وثيقة تاريخية في هذا الدير .

١) اربيل معناها بالسريانية « أرع بيل » اي ارض بيل او « اربع ايل » اي اربعة آلهة .

٢- تليها عهداً كتابة سطرنجيلية محفورة عموديا على ثلاث قطع من رخام ركن الكنيسة الجنوبي تتضمن اخبار اجتياح جيوش بيدو قآن لهذه النواحي ونهبها ديري مار بهنام ومار متي وآثور مدينة مار بهنام سنة ١٢٩٥م .

٣- في جدار مصلى « بيت القديسين » الشرقي أربع لوحات ضريحية أقدمها عهداً يدور موضوعها حول وفاة المفريان ديوسقوروس بهنام شتي الاربوي سنة١٤١٧م.

٤- في أسفل صورة مار بهنام الجبسية الكبرى كتابة سطرنجيلية مسطورة بالحبر الاحمر على الجدار سنة ١٥٥٠م .

٥- في أسفل صدر رواق الكنيسة بالحرف السطرنجيلي تاريخ وفاة راهب يدعى دانيال سنة ١٥٨١م .

٦- في معبد « مدفن الآباء » لوحة يدور فحواها حول وفاة المطران يوحنا بن عبد المسيح الحديدي سنة ١٦٢٥م .

٧- في آخر دعامة من الرواق على نحو ثلاثة امتار لوحة رخام نقش عليها بالكرشونية تاريخ تجديد هذا الدير سنة ١٦٩٠م .

٨- في معبد « مدفن الآباء » لوحة رخام عليها كتابة بالحرف السرياني الغربي موضوعها يدور حول المطران مار ايونيس كارس بن بهنام من آل يغمور الحديدي سنة ١٧٤٧م .

٩- وفي المعبد المذكور لوحة اخرى كتب عليها تاريخ وفاة المطران بهنام بن القس عيسى الموصلي سنة ١٧٧٧م .

١٠- عن يمين الداخل في الكنيسة لوحة حجر حلان مثبتة في أسفل الحائط نقش فيها تاريخ وفاة الراهب توما بن ككو سنة ١٨٠٠م .

١١- أخيراً في أسفل صدر الرواق لوحة رخام كتب عليها بالحرف السرياني الغربي تاريخ وفاة الراهب يعقوب بن داود مقدسي ايلو سنة ١٩١٤م .

-٢-

كتابات الجب

١- يحيط بضريح مار بهنام كتابة سطرنجيلية تتضمن تاريخ تركيب رخامات هذا القبر سنة ١٣٠٠م .

٢- في أعلى مدخل الجب تاريخ تجديد القسم الامامي من هذه البناية سنة ١٩٢٩م .

الفصل الثامن

وقفة على تل الدير

يحسن بالزائر الكريم ، عند خروجه من معبد الضريح ان يرقى التل المجاور وهو المعروف « بتل الدير » او « تل الخضر » . فقد شاهد هذا التل كفاح مار بهنام المجيد وجهاد اخته سارة البطولي ورفاقهما الأربعين في سبيل العقيدة الثابتة والايمان الراسخ. في لحف هذا التل حل مار بهنام ، الامير الشاب، وزمرته النبيلة للاستراحة ، وفي سفحه سالت دماؤهم الزكية ورقدوا رقدتهم الأبدية فاصبح من ثم مثواهم قبلة الأنظار وقبرهم معيناً دفاقاً تجري منه النعم والمساعدات للمستفيثين بهم بايمان .

ان هذا التل هو تل خرب قديم . والدليل في هذا الراي هو بعض قطع فخار من جرار وخوابي او كاشان مطلي بمختلف الأصباغ والألوان يعثر عليها في جنباته وعلى مقربة منه ، يرقى عهدها الى عصور ما قبل التاريخ (١) ذلك مما يدل على ان هذه البقعة كانت يوما عامرة آهلة بالسكان أبادتها يد الحدثان فاخنى عليها الدهر وجعلها أثراً بعد عين .

طول هذا التل نحو ١٣٠ مترا وعرضه نحو ٤٠ مترا وارتفاعه عن السهل المجاور

(١) مجلة سومر المجلد الخامس ص ٣٢٠

له نحو ١٣ متراً ، وهو يطل على برية فسيحة الارجاء مترامية الاطراف تتخللها آكام ووهاد وبطاح ونجاد . يرى المرء من قمته مسافات شاسعة حيث المناظر الطبيعية الفتانة.

لو وقف الزائر فوق هذا التل واتجه نحو الشرق لسقط نظره ، في الافق البعيد، على نتوءات جبلية تسبح في الفضاء وتمتد على طوله كسلسلة العمود الفقري مكللة بالثلوج الدائمة ، تلك هي سلسلة جبال زاجروس الفاصلة بين العراق وايران منها جبال شقلاوة وكويسنجق وراوندوز .

واذا دار ببصره نحو المغرب ، التقى بالهضاب الممتدة على ضفاف نهر دجلة الجميل وقد ربضت امامها اطلال نمرود ـ مدينة كلاح « كلخو » العظيمة احدى العواصم الآشورية المهمة ـ فتروي على مسامع الدهر قصص الغابرين وتوحي الى ابناء العصر ما دفن تحت تلك الاطلال من المآثر والمفاخر وما كان عليه العراق في تلك العصور من العظمة والسؤدد .

واذا طاف بنظره نحو الجنوب رأى جبل قرهجوق قائماً في وسط السهول الخصبة الممتدة الى ما وراء الزاب الكبير على مسافات قاصية تلك هي اراضي امارة حدياب وهي « حزة » كما يسميها العرب ، وكانت البقعة الاشرف موقعاً والاهم سياسة في جميع بلاد آشور وعاصمتها اربيل على ما قال السمعاني(١).

واذا ما جال الشاهد ببصره نحو الشمال ، وجد أمامه الجبل المقلوب وقد سما بقمته على ذلك السهل الفسيح الافيح . فيبدو في وسطه دير الشيخ متى الشهير كغرة بيضاء . وينبسط أمامه جبل بعشيقة (٢) وقد استطال نحو الشمال . ويحاذيه جنوباً جبل مار دانيال وعلى قمته يرى أطلال دير هذا الناسك الشهير (٣) .

واذا تطاول الناظر ليشاهد الى ما وراء ذلك وقع بصره على سلسلة جبال مكتسية

---

١) السمعاني مجلد٣ ج٢

٢) بعشيقة قرية صغيرة في شرقي الموصل مشهورة يذكرها الحموي ويسميها مدينة من نواحي نينوى ثم يذكر بساتينها واشجارها الكثيرة من الزيتون والنخل والنارينج ونهرها الجاري الذي يشق في وسط المدينة ويذكر عن سوقها الكبير وحماماتها وقيسارتها وتجارتها وكان اهلها نصارى .

٣) يقع دير مار دانيال غربي دجلة على قمة جبل شامخ وهو دير صغير لا يسكنه اكثر من راهبين فقط ، وهو نزه لعلوه على الضياع واشرافه على انهار نينوى والمرج ... (ياقوت)

بحلة بيضاء ناصعة ، واذا أطلق عنان الخيال عبر الأجيال الخوالي الى تلك السهول المترامية الاطراف ، ذات المرافق الفسيحة ، شهد مرور الغزاة الفاتحين من الاثوريين والكلدانيين والماديين والفرس والساسانيين واليونان والرومان فالعرب والتتر والاعجام والأتراك وتأمل الطرق التى سارت فيها جحافلهم الجرارة والمواقع التى التحمت فيها معاركهم الدامية وانجلت عن غلبة الظافرين وهزيمة فلول المغلوبين . تلك هي أراضي آثور وكالح ونينوى المدن الآشورية الشهيرة بالصناعة والزراعة ، وكان قديما أحواض ومخازن من الماء عديدة تسيل اليها بقنوات وجداول تأتي بها من مياه الأنهر الكثيرة واليوم لم يبق من ذلك الري فيها غير آثار دراسة . فباتت تلك الاراضى الخصبة تحت رحمة الامطار تلبسها ثوبا قشيبا من الخضرة وتكسوها ألوانا جميلة من الازهار والنباتات واذا شحت انقلب الخصب جدبا وأمست تلك البقاع أرضا جرداء ليس فيها سوى الهشيم وبعض الاشواك .

اما هذا التل وما يجاوره من البقاع فيكتسي في فصل الربيع بحلة سندسية مزركشة بضروب شتى من الاوراد . والنسيم يهب بين جنباته لطيفا منعشا ، فيصرف الزائرون شطراً من سحابة نهارهم فوق سطحه معجبين برقة الهواء مستطيبين ذلك الشذا الزكى الفواح معطراً ذاك الفضاء .

الفصل التاسع

عين القديسة سارة

في شرقي الدير ، على بعد ثلاثة كيلومترات تقريبا ، عين ماء كبريتية، تعرف «بعين سارة»(١) او «بعين الجرب» نسبة الى الاميرة سارة الشهيدة التي تعمدت فيها

---

١) كان على الزاب دير موسوم باسم القديسة سارة . قال بادجر Badger : « ان انقاض دير يعرف باسم القديسة سارة لا تزال قائمة حتى اليوم بجوار قرية تدعى « زهرة خاتون » او (السيدة سارة) تسكنها الان فئة قليلة من الاكراد (الجزء الاول ص٩٥ من كتابه :

(*The Nestorians and Their Rituals* .

وتطهرت من برصها ، وهي عين ماء عجائبية تفجرت مياهها بآية سموية على يد مار متى الشيخ الناسك وذلك بضربه الارض بعصاه نظير موسى الكليم في البرية .

وفي هذه العين قد تعمذ ايضا الامير القديس بهنام وأعوانه الاربعون فارساً . وماؤها اصفر اللون راكد تنبعث منه رائحة الكبريت بحدة وشدة في ضواحيها . ويعلو سطحه فقاقيع وهو اشبه بمرجل يأخذ بالغليان، وهو جزيل المنفعة خصوصا للامراض الجلدية . وفعلا نال الكثيرون الشفاء من امراضهم الجلدية بعد اغتسالهم بهذا الماء .

ولا بد لزوار الدير من زيارة هذه العين ومشاهدتها نظراً لما لها من الشهرة التاريخية والمفعول الطبي ، ولكونها العين التي طهرت مياهها اجساد الشهداء ونفوسهم من ادران الوثنية .

ـ الخاتمة ـ

هذه عجالة وجيزة في تاريخ دير مار بهنام الخالد ووصف آثاره التالدة ، وهي تعرب عما تفوق به أسلافنا السريان في العراق من سلامة الذوق والمهارة العجيبة في فني النحت والبناء . قاموا بها عن عقيدة ثابتة اجلالا للامير الشهيد مار بهنام المعظم وتخليداً لذكراه . نزفها الى محبي ديره والى زواره الكرام ، سائلين المولى الكريم ان يعيد الى هذا الدير العزيز سالف مجده الاثيل وماضي عهده الجليل بمنه تعالى وهمة المحسنين الكرام ومساندتهم واسعافهم .

واننا لنسر باتحافنا اياهم قبل ان نمسح قلمنا جزيل شكرنا لما أسبغوا على هذا الدير من المكارم بنفس طيبة وجود حاتمي سائلين الله تعالى بشفاعة أوليائه الشهداء ان يسبغ عليهم خيراته ويغمرهم بعطاياه ويجود عليهم بالعافية وطول العمر ويمتعهم اخيراً في نعيمه السموي .

آمين

ذيل

الآثار التاريخية المجاورة لدير مار بهنام

وقبل ان نطوي كتابنا هذا نرى لزاما ان نضيف عليه هذا الذيل ذاكرين نبذة مقتضبة عما يحيط بهذا الدير ويصاقبه من الآثار التاريخية ، لان ارض العراق غنية في آثارها وعادياتها . ففي كل مرحلة أثر ولكل شعب فيها مأثرة . فهي منذ فجر التاريخ مهد الحضارة البشرية ومعدن المدنية ومهبط الشعوب القديمة ومطمح أنظارهم بلا منازع لاهمية موقعها الجغرافي والسياسي ، ولما حوته هذه التربة الخصبة من الخيرات والنعم ، واليك :

الباب الاول

آثار مدينة كالح او كالخو « نمرود »

الفصل الاول

فذلكة تاريخية عامة

ازدهرت في هذه الربوع دول يعتز التاريخ بذكرها ويفتخر بحضارتها ، فمن السومريين ، الى الاكاديين ، الى الاموريين ، فالعيلاميين ، الى البابليين ، فالآشوريين فالماديين ، فالفرس ، فاليونانيين ، الى العرب فالتتر فالأتراك . وكل من هذه الامم خلفت فيها آثاراً تمثل ناحية بارزة من نواحي الثقافة المتعاقبة والمدنيات المتباينة. اما الأمة التي بزت غيرها من الامم ، وتركت وراءها ، في هذه الديار ، آثار حضارة زاهية ، ومدنية راقية ، فهي الامة الآشورية .

١- نسبة الآشوريين :

سميت هذه الامة بهذا الاسم ، نسبة الى آشور الآله القومي للآشوريين، وهو أحد ابناء سام . ثم اطلقت هذه اللفظة على المدينة التي كان فيها ذلك المعبود فسميت آشور، وهي المعروفة اليوم بقلعة «شرقاط»، وقد عرفهم الآراميون والعرب «بآثوريين»

٢- أصل الآشوريين ومهدهم :

اختلف المؤرخون في اصل الآشوريين ومهدهم، فقال بعضهم :« ان الآشوريين جاؤوا من ارض بابل ويتفق ذلك وما جاء في التوراة»(١) . ورأى آخرون انهم جاؤوا من الجهة الشرقية . وهناك نظرية اخرى ترى ان مهد الآشوريين جزيرة العرب ، على ان هناك من يرى انهم جاؤوا من منطقة في غربي دجلة في وادي الخابور وبليخ او باليخ في بداية الالف الثالث قبل الميلاد(٢) .

١) تكوين ١٠ : ١١
٢) دليل المتحف العراقي : مقدمة تاريخية ص٢٨

كان الآشوريون يؤلفون امة حربية تهمها الفتوح والانتصارات قبل كل شيء ولذلك تهيأ لهم ان يكونوا لانفسهم امبراطورية فخمة تضم الى لوائها سوريا وفلسطين ولبنان والاناضول علاوة على مجموع بلاد ما بين النهرين .

٣- حضارة الآشوريين :

اصبح لآشور كيان سياسي مستقل حقبة تنيف على الف سنة (٢٠٥٠-٦١٢ ق م) قامت فيها ممالك وامبراطوريات معظمة فاقت الدول العراقية التي سبقتها خفقت أعلامها على ربوع سوريا ومعظم بلاد فينيقيا الواقعة على ساحل البحر المتوسط ومصر فتواردت اليها الارزاق والغنائم وفيرة وبلغت ذروة المجد والرفعة حتى صارت اعظم مملكة شاهدها العالم بعد الخليقة ولم تكن قوة تجرؤ على مناوأتها (١) .

وكما فاق الآشوريون معاصريهم في القوة والبأس ، فقد فاقوهم ايضا في المناحي العمرانية والاجتماعية الاخرى ، منها تنظيم الادارة وسعة المساحة وعمران البلاد . فشادوا المدن الواسعة ، والدساكر الزاهرة ، والمعاقل المنيعة ، والهياكل الفخمة ، والقصور الانيقة . كما وقد حفروا القنوات في اطراف البلاد وأجروا المياه في الفلوات اليابسة وزينوها بالخضرة الدائمة ، وأنشأوا من القفر الغامر مروجا رائعة وخمائل يانعة . وقف على هذه الآثار المنقبون ، ولما يزل قسم منها دفينا في قلب الارض . وهو اليوم موضوع بحث الباحثين من العلماء وهواة العاديات يقصدونه من البلاد الشاسعة ليستطلعوا ماطمسته كوارث الحدثان من اخبار هذه الامة . وقد هيمنت ثقافة آشور على الثقافات الاخرى التي اكتسبت مع الزمن شكلا جديداً (٢) .

ليس هدفنا في هذه اللمحة ان نبحث عما تركته هذه الأمة ، في طول البلاد وعرضها ، من معالم العمران ، بل نجتزىء على ما يجاور منها ديرنا ، وفي وسع زائرينا الكرام مشاهدتها فيقفوا بانفسهم عما كان عليه أسلافنا من الحضارة العالية والثقافة الراقية ، نريد بذلك ١- آثار مدينة كالح (كلخو) المعروفة اليوم « بنمرود » ٢- وقناة اسور ناصربال المعروفة « بالنكوب » .

---

١) العصور القديمة ص١١٥ وتاريخ نصارى العراق ص ج

٢) دليل المتحف العراقي ص٣٠

الفصل الثاني

مدينة كالح (كالخو) « نمرود »

١- موقع هذه المدينة :

لقد أجمع الأثاريون على ان موقع هذه المدينة كان قديماً في الجانب الأيسر من دجلة عند مصب الزاب الكبير (١) وأكد أهل البحث والتنقيب بان كالح هذه هي اطلال المدينة المعروفة اليوم « بنمرود » . قال العلامة رولنصون : « ان كالح هي حيث نمرود اليوم » (٢) . وقد حققت ذلك اكتشافات لايارد سنة ١٨٤٥ ، اما متى وكيف صار هذا التبدل بالاسم فلم يرد في التاريخ ما يؤيده .

وأما أطلال « نمرود » هذه فهي اليوم في داخلية البلاد ، على الضفة اليسرى من دجلة بنحو كيلومترين الى الشرق وهي على خمسة وثلاثين كيلومتراً من جنوب الموصل وشمال مخلط الزاب الكبير ببضعة كيلومترات . ويمكن للزائر ان يصل اليها عن طريق الموصل ماراً بقرية تلعاكوب ، او من الدير رأسا وهي تبعد عنه نحو ثمانية كيلومترات الى الغرب ماراً بقرية عباس فمنابع النفط الموجودة في السفح الجنوبي لهذه الأطلال والمعروفة « بالسيح » حيث تستخرج هذه المادة بالطرق الاولية والوسائل القديمة .

٢- مؤسس هذه المدينة :

لقد اختلف المؤرخون وأهل البحث والتنقيب عن مؤسس هذه المدينة فمن قائل انه « اشور » بن سام ، وباسمه دعيت هذه البلاد مستمسكين بظاهر لفظ قول التوراة : « ومن تلك الأرض (يريد أرض شنعار) خرج اشور فبنى نينوى وساحات المدينة

---

١) تاريخ كلدو وآثور ١ : ٥

٢) *Rowlinson: Five Great Monarchies of Ancient World V,I,p313*
وتاريخ الموصل ١ : ٣٧ وأثر قديم في العراق ص٢ وكلدو وآثور ١ : ٥ و ٥٢ و ٥٩ ودليل المتحف العراقي ص٣٢.

وكالح وراسن (١) بين نينوى وكالح وهي المدينة العظيمة » (٢) .

وقال آخرون، لابد ان واضع أساسات هذه المدينة هو « نمرود الجبار » بن كوش بن حام ، مدعين انه لا يراد بآشور رجل بل بلاد ، وهذا بنظرهم ما يفرضه معنى الآية وسياق الكلام ، وعندهم : « خرج نمرود من تلك الأرض ، الى بلاد آشور ، فبنى نينوى .. الخ »(٣).

ومهما يكن الأمر فان هذه المدينة قديمة يرقى عهدها الى فجر التاريخ المعروف، وهي من المدن الآشورية المقدسة ، وقد لعبت في تاريخ العراق القديم ادواراً هامة، فكانت تارة حاضرة ، وطوراً عاصمة خطيرة .

الفصل الثالث

كالح « نمرود » عاصمة الامبراطورية الآشورية في دورها الاول

ان هذه المدينة كانت ، منذ اول عهدها ، من امهات المدن الآشورية ، كما تؤيد ذلك الاكتشافات الحديثة، واستمرت كذلك حتى جدد بناءها شلمناصر الأول(٤) (١٢٨٠-١٢٦٠ق.م) ونقل اليها عاصمة ملكه ، وكانت قبلا ، في مدينة آشور (شرقاط) وبنى فيها هو وبعض خلفائه قصوراً شاهقة . ومن الملوك الذين اقاموا فيها في هذه الحقبة تغلت فلاسر الأول ١١١٥-١٠٩٣ق.م . (٥) وفي زمنه بلغت المملكة الآشورية درجة

---

١) قال اوبير *Oppert* في رحلته (في ما بين النهرين) : يرجح ان موقع « راسن » هو حيث قرهقوش اليوم . وكانت هذه المدينة عاصمة اشور بعد نينوى في دورها الاول ثم سقطت راسن من ذرى عظمتها فخلفتها نينوى في دورها الثاني (طالع تاريخ سوريا القديم مجلد ١ : ١٠٧)

٢) تكوين ١٠ : ١١

٣) فيكورو مجلد اول : الكتاب والاكتشافات ص٣٠٩ ولانرمان مجلد ٤ من تاريخه القديم ص٦٤ واوبير في رحلته ما بين النهرين مجلد اول ص ١٠٢-١٠٦ وتاريخ سوريا القديم ١ : ١٠٥

٤) ماسبيرو مجلد ٢ : ٦٠٧-٦٠٩ وتاريخ كلدو وآثور ١ : ٤٧-٤٨ ودليل المتحف العراقي صفحة ٣١-٣٢.

٥) عن تغلت فلاسر الاول راجع تاريخ كلدو وآثور ١ : ٥١-٥٦ ودليل المتحف العراقي صفحة

سامية من العظمة والقوة فاصبحت امبراطورية كبيرة ضمت داخل حدودها ارمينيا وامتدت غربا حتى سواحل البحر الأبيض المتوسط .

الفصل الرابع

كالح عاصمة الامبراطورية الآشورية في دورها الثاني

في السنة ٨٨٤ ق.م تبوأ آشور ناصربال الثالث أريكة الامبراطورية الآشورية(١) فادرك اهمية مدينة كالح ، وذلك لمركزها المنيع ، اذ يحميها الزاب من الجنوب ودجلة من الغرب فيحفظانها من غزوات البابليين والآراميين ، فنقل اليها تخت ملكه وامر باستئصال كل القصور والهياكل التي فيها وشيد فيها قصوراً وهياكل اعظم وافخم وخلف لنا اخباره الحربية والعمرانية في مخطوطاته الكثيرة على جدران قصره .

فبنى فيها زقورة(٢) او صرحا مدرجاً اي هيكلا لنينيب آله الحرب ، ذات سبع طبقات . وكانت هذه الطبقات ذات سبع سطوح متسلسلة تصعد في الجو درجات بعضها فوق بعض ، على شكل هرم ، يعلوها معبد صغير حيث كان هذا هو المعبد الحقيقي . وقد نصب فيه تمثال نينيب الآله من مرمر مذهب، وفي مدخلها كان تمثال للملك آشور ناصربال طوله متر وقد انتصب قائما ، وبيده منجل ، وفي اليسرى عصا ، ولا تزال بقايا هذه الزقورة قائمة حتى اليوم وهي على شكل هرم عال جداً مدفون بالتراب .

ثم بنى له قصراً فخما على الدجلة طوله مائة وعشرون متراً وعرضه مائة متر ، مشحونا بصور الملك المختلفة الحركة والتي تمثله مشاوراً وزراءه او خارجاً الى الصيد او عابراً

---

٣٢ وماسبيرو ٣٤٧-٣٥٤ ومجلة الكتاب المقدس ٧ : ٥٦-٥٨ وتاريخ دول الكلدان والآثوريين العظمى لاوبير صفحة ٤٤-٥٩

١) اوبير تاريخ دول الكلدان وآثور : ٧٢-١٠٢ وميفان سني ملوك اثور ٦٦-٩٣ وماسبيرو ٣ : ١٣-٥١ ومجلة الكتاب المقدس ٧ : ٥٩-٦٢ وتاريخ كلدو واثور ١ : ٥٩-٦٥

٢) الزقورة لفظة سومرية تعبر عن فكرة السمو والعلو ويراد بها الصرح المدرج الذي كان يقام في ساحات المعابد الرئيسية (طالع مجلة سومر المجلد ٣ صفحة ١٥-٢٠

أطلال زقورة مدينة نمرود

النهر او متسلقاً الجبل للمحاربة منقضاً على الأعداء او عائداً ظافراً الى غير ذلك من النقوش الناتئة والكتابات المسمارية المنتشرة في أرجائه .

وكان لهذا القصر عدة ابواب مبنية بالأحجار الضخمة على شكل اسود فاتحة افواهها استعدادا للافتراس او ثيران جسيمة مجنحة برؤوس بشرية رمز القوة العاقلة(٢)

وجلب آشور ناصربال الى هذه المدينة مياه الزاب في قناة واسعة لا تزال واضحة المعالم ، وأنشأ على جانبيها مروجاً وبساتين رائعة وخمايل يانعة رائقة ، فيها أشجار متنوعة تتخللها قصور جميلة للمصيف(١).

ثم شيد فيها خلفاؤه قصوراً اخرى ، بجانب هذا القصر ، « اذ كان من عادة الملك ان يهجر قصر سلفه فيبني قصراً خاصاً به ، اتقاء تذكاره ، وتجنب روح الفقيد » وزينوها بالشيء الكثير من الرسوم والكتابات المسمارية والنقوش المتنوعة المحفورة حفراً ناتئا على المرمر .

١) كان اعتقاد الاشوريين في الاسود او الثيران المجنحة انها ارواح تحرس سكان القصر من سوء .

٢) تاريخ كلدو واثور ١ : ٥٩-٦٠

هذه كانت مدينة كالح في إبان عزها يوم استولى عليها الكلدان والماديون سنة ٦١٢ ق.م. فدكوا حصونها ودمروا قصورها وأسلموها طعاما للنار فانطمست معالمها حتى القرون المتأخرة.

ومن الملوك الذين أقاموا في كالح، في هذه الحقبة، شلمناصر الثالث (١) ٨٥٩-٨٢٤ ق.م وهو ابن اشورناصربال السالف الذكر. وكان حكمه الذي دام خمسا وثلاثين سنة سلسلة حملات حربية جعلته سيد آسيا الغربية. وقد دونت أكثر أخباره في مسلته المشهورة بالمسلة السوداء، وصورت مشاهد حروبه على الصفائح الفلزية (البرنزية) التي اكتشفت في تل بلاوات وهي مدينة «آمكر - انليل» القديمة التي شيدت على تل أثري من مستوطنات عصور ما قبل التاريخ (٢). ثم عقبه اداد نيراري الثالث ٨٠٥-٧٨٢ ق.م. وشاد له فيها قصراً (٣).

ومن الملوك العظام الذين سكنوا فيها ايضا تغلثفلاسر الثالث ٧٤٥-٧٢٧ق م(٤) وبنى له فيها قصراً. وبلغت في عهده الامبراطورية الاشورية أقصى امتدادها وعظمتها فقد سيطرت على العالم المعروف آنذاك وأصبحت بنظمها وادارتها نموذجا للامبراطوريات القديمة التي قامت بعدها.

وسكن في كالح ايضا سرجون الثاني العظيم ٧٢٢-٧٠٥ق.م (٥) «شروكين» اي الملك الصديق من سنة ٧٢٢-٧١٣ ق م وقد ورد ذكره في نبوة اشعيا (٦) ثم أسس

١) عن شلمناصر الثالث (راجع اوبير: تاريخ دول الكلدان واثور ١٠٨ - ١١٧ ورحلة في ما بين النهرين ١ : ٣٤٢-٣٤٧ وميثان تاريخ سني ملوك اثور: ٩٧-١٠٤ ومجلة الكتاب المقدس ٦٢-٧٥ و ١٧٩ و ١٨٧ حاشية ٧ وماسبيرو مجلد ٣ : ٥٢-٩٥ واميودشيل اثار شلمناصر الثالث وتاريخ كلدو واثور ١ : ٦٥-٧٤

٢) دليل المتحف العراقي ٣٣-٣٤

٣) مجلة سومر سنة ١٩٤٩ ص٣٢٤

٤) كلدو وآثور ١ : ٨٠-٨٦ وميثان تاريخ سني ملوك اثور ١٤٠-١٤٤ ومجلة الاسيوية الفرنسية ٦ : ٤٤١-٤٧٣ ومجلة الكتاب المقدس ١٨٩-١٩٩ وماسبيرو ٣ : ١٣٩-١٩٣

٥) مجلة الكتاب المقدس : ٣٧١-٣٩٠ وماسبيرو مجلد ٣ : ٢٢١-٢٧٣ وبوتا اثار نينوى ٩٣-٩٢ و ١٠٥-١٢٠ و ١٥٥-١٦٠ وميثان تاريخ سني ملوك اثور: ١٥٨-١٧٩ واوبير اثار دور شروكين ومقدمة دليل المتحف العراقي ٣٦-٣٨ وتاريخ كلدو واثور ١ : ٨٨-١٠٠

٦) اشعيا ٢ : ١

تمثال أحد الملوك الاشوريين في نمرود

عاصمة جديدة سماها « دورشروكين » اي مدينة سرجون في قرية تدعى « مكانبا » حوالي ١٦ كيلومتراً الى الشمال الشرقي من نينوى (١) وفي زمن سرجون هذا بلغت اشور ذروة العز والمجد والسؤدد .

خلف سنحاريب أباه سرجون ٧٠٥-٦٨١ ق.م ، ونقل العاصمة ثانية الى نينوى وذلك لأن الكهنة غضبوا في حينه على أبيه لتركه العواصم المقدسة وتشييده مدينة جديدة . وفي عهده بلغت الامبراطورية الآشورية أوج عظمتها وأصبحت سيدة آسيا الغربية كلها . وفي زمن سنحاريب ايضا كثر استعمال الحديد في بلاد آشور ، فصنع الآشوريون منه الأسلحة وتسلح به الجيش الآشوري ؛ فكان اول جيش تسلح باسلحة الحديد . مات سنحاريب قتيلا ، بينما كان يصلي في هيكل نسروخ وقيل مردوخ ، فقد

١) شوه الساسانيون اسم « دورشروكين » واطلقوا على المدينة اسم « خسرو اباد » ومن هنا اسمها الحالي اي خورصباد او خورسباد .

اغتاله ابنه أدرملك (١) .

تولى الحكم بعد سنحاريب ابنه اسرحدون ٦٨١-٦٦٩ ق.م. « آشور - اخا - ادينا » اي (اشور رزق اخا) في كالح وشاد له فيها قصراً (٢) .

ثم خلفه ابنه آشور بانيبال (٦٨٨-٦٢٦ ق.م.) ومن جلائل أعماله انشاؤه في نينوى مكتبة تتألف من ثلاثين الف كتاب تبحث في الأديان والعلوم والآداب وهي اليوم في المتحف البريطاني (٣).

جلس على سرير الملك بعد آشور بانيبال ابنه اشور أتيل ايلاني (٦٢٥-٦١٥ ق م.) وله في كالح قصر ايضا (٤) وتولى الحكم بعده ساراقوس وهو آخر ملوك الآشوريين وقد أحرق نفسه مع عائلته لما يئس من النجاة عند سقوط نينوى عاصمته سنة ٦١٢ ق م.

الفصل الخامس

نهاية الدولة الآشورية

اخذ الضعف والانحلال يدبان في جسم الامبراطورية الآشورية بموت سنحاريب سنة ٦٨١ ق.م. وتمكن الخدر من عروقها في عهد خلفاء آشور بانيبال ، وما عتمت ان تضعضعت اركانها واهتزت جوانبها لكثرة الثورات وانحطت في الأخير انحطاطا مابعده انحطاط وذلك لأسباب أهمها :

١- ان الحملات الواسعة المتتابعة التي شنتها القوات الآشورية لتوطيد كيان الامبراطورية واخضاع القبائل المتمردة العنيدة وصد غارات الشعوب الواقعة عن حدودها

---

١) الدليل العراقي ص٣٨-٤٠ وتاريخ كلدو وآثور ١ : ١٠١-١١٣ ومجلة الكتاب المقدس ٥٠١-٥٢٠ وماسبيرو ٣ : ٢٧٣-٣٢٠ ومينان تاريخ سني ملوك آثور ٢١٤-٢٣٠

٢) مجلة سومر المجلد الخامس ص٣٢٥ وكلدو وآثور ١ : ١١٤-١٢٢

٣) دليل المتحف العراقي ٤٠-٤٢ وكلدو وآثور ١ : ١٢٢-١٣٤ وسميث تواريخ اشور بانيبال عام ١٨٧١ ومجلة الكتاب المقدس ٨ : ٣٤٥-٣٦٤ وماسبيرو ٣ : ٣٨١-٤٦٤

٤) مجلة سومر المجلد الخامس ص ٣٢٥

النائية قد استنزفت موارد المملكة وأنهكت قواها وشلت حركة عمرانها لاتساع رقعتها وقصي مساحتها .

٢- وما زاد الطين بلة نشوب نيران ثورات وفتن داخلية متأججة حول وراثة العرش تشاغل خلفاء آشور بانيبال في قمعها ففقدوا على اثرها هيبتهم وتقلص ظلهم عن اكثر الأقاليم التي كانت تحت سيطرتهم وآل الأمر اخيراً بان اصبحت سلطة الدولة الآشورية لا تتعدى المدن الآشورية نفسها .

والأنكى ان خلفاء آشور بانيبال كانوا ضعاف الشكيمة خائري العزيمة لتماديهم في الغواية واللهو والتواني ، لذلك عزت عليهم المحافظة على امبراطوريتهم المترامية الأطراف والمتباينة في العادات والأطوار والاخلاق والتقاليد وسنن الاجتماع وبذلك سهل على القريب والبعيد ان يخضد شوكتهم ويقوض امبراطوريتهم .

فانتهزت بابل فرصة ضعفهم هذه وانفصلت عن الامبراطورية الآشورية تحت قيادة زعيم الكلدانيين «نبوبولاس» سنة ٦٢٥ ق م . ، وقد حذت فلسطين حذو بابل ، فطرحت عنها النير الآشوري ، وكذلك فعلت معظم المدن الفينيقية . وقد توحد الماديون (١) فقويت شوكتهم تحت قيادة ملكهم «كي اخسار» او «كواصار» ، ثم تحالف هذا مع الملك الكلداني واعتصبا على تقويض المملكة الآشورية واقتسام اراضيها ، فلم تلبث ان جاءت الجيوش المتحالفة متدفقة متراصة وزحفت على الأراضي الاشورية من الشمال والجنوب وكان النصر حليفهم . فتوغلوا فيها واستفتحوا مدائنها حتى بلغوا نينوى وضيقوا عليها الخناق . وعلى الرغم من الدفاع المجيد الذى أبدته القوات الآشورية سقطت عاصمتهم العظيمة بيد الاعداء بعد حصار طويل وظل سيفهم مسلطا يرشف من دماء سكانها حتى أتوا على آخرهم . ومن ثم أسلمت المدينة العظيمة للنهب والحريق والتخريب سنة ٦١٢ ق م . فقوضت أركانها ودكت حصونها ودمرت هياكلها واحيلت سلسلة آكام لا يخطر ببال المار بها انها كانت سلسلة قصور فخمة ومعابد رائعة .

---

١) بلاد مادي نسبة الى ماداي بن يافث وتسمى اليوم اذربيجان وهي واقعة في شمال بلاد اشور .

وهذا كان حظ سائر المدن الآشورية الاخرى وفي ضمنها « كالح » التي يدور بحثنا عنها ، فان العدو أخذ بحد السيف جميع سكانها ودك حصونها ودمر قصورها وأسلمها طعاما للحريق(١)، فانطمرت بقاياها تحت التراب وانقلبت الى تلال بصورة ان كسه نفونس عندما مر بالقرب من اطلال نمرود ، وقد تمادى عليها قرنان ، لم ينتبه اليها ولم يجل في خاطره ان الاطلال المذكورة هي بقايا تلك المدينة التي كانت حافلة باهلها زاهية ببساتينها ومزارعها ، عامرة بمعابدها وقصورها (٢) . وبعد هذه الضربة القاضية لم تقم آشور من كبوتها واضيفت الى قائمة الدول التي أكل عليها الدهر وشرب وأسدل التاريخ عليها ستاره .

الفصل السادس

مدينة نمرود في عصر مار بهنام

أفل نجم الدولة الآشورية عام ٦١٢ ق.م. وقام على انقاضها دولتان هما المادية والبابلية ومن بقي من سكانها لعبت بهم ايدي سبا فتشردوا في كل صقع واندمج بعضهم بالشعوب المجاورة وسيق الآخرون سبياً الى بابل حيث أقاموا الى ان قوض كورش الفارسي (٣) «٥٣٨-٥٢٩ ق.م.» أركان الدولة الكلدانية وضمها الى تاجه سنة ٥٣٨ ق.م. ، ففك قيودهم واباح لهم حريتهم فعادوا الى اوطانهم عام ٥٣٥ ق.م. وانصبوا الى الزراعة والتجارة، فطاب عيشهم وراقت أحوالهم وعمروا مدنا منها «آثور» وكاني(٤) قرب حمام العليل و«خانيكار» في بيت كرماي و«بيث كينا» بين الموصل وتكريت وقد

١) تاريخ كلدو وآثور ١ : ١٥٧

٢) اناباز ك٣ ف٣ وتاريخ الموصل ١ : ٤٠

٣) قضى كورش ايام ملكه في اصلاء الحروب ، فوسع بها نطاق مملكته واحرز شهرة بعيدة حتى عد في جملة الفاتحين العظام في الاعصر الخوالي .

٤) « كاني » لفظة يونانية معناها الجديدة والعرب يسمونها الحديثة وفي الارامية حدتا . وهي كانت واقعة على ضفة دجلة عند حمام العليل (راجع السمعاني المجلد ٣ الجزء ٢ : ٧٣٨

سكت التاريخ عن ذكر غيرها (١) .

لم يبحث احد المؤرخين الاقدمين او الاحدثين عن موقع مدينة آثور الجديدة التي عمرها الآشوريون العائدون الى وطنهم بامر كورش ، بيد انه ورد في سيرة مار بهنام ذكر مدينة تدعى آثور كان يقيم فيها سنحاريب والد مار بهنام وهي قاعدة امارته: « حينئذ اخذ القديس متى واحداً من الرهبان ونزلا من الجبل ووصلا الى سهل قريب من مدينة آثور .. » وجاء ايضا : « واستصحب مار متى خمسة أخوة وما عتموا ان وصلوا حيث مقتل الشهداء فوقفوا وجثوا على ركبهم وابتهلوا الى الله تعالى ، ثم واصلوا سيرهم الى مدينة آثور. » (٢)

وعليه اننا نرى ان مدينة آثور الجديدة كانت حيث أطلال مدينة نمرود اليوم او هي مدينة نمرود نفسها ، وقد اطلق عليها تارة اسم « نمرود» وعرفت طوراً بمدينة «آثور» وهي كانت عامرة آهلة في العهد الساساني ٢٢٥-٦٥١م وما بعده باجيال .

وهذا ليس بمستبعد بل من المحتمل ان بعض الآشوريين العائدين من الجلاء قد استوطنوا هذه البقعة وعمروا فيها مدينة حيث نمرود اليوم وأخذوا في النمو والرقي والازدهار حتى أصبحت مدينتهم هذه في العهد الساساني قاعدة امارة هذه الديار لقربها من الحدود . وقد أبصر الامير بهنام فيها النور وفي ربوعها نشأوترعرع وشاهدت كفاحه المجيد في سبيل الايمان على مرأى ومسمع الشعب المجتمع في هيكل احتفاء بعيد أقيم اكراما للآلهة .

وظلت هذه المدينة عامرة عدة قرون بعد هذا الحادث، اذ ورد ذكرها في كتاب العفة ليشوعدناح مطران البصرة (نهاية القرن الثامن) باسم نمرود كما رأينا (٣) ، ومما يؤيد ذلك كتابة اثرية سطرنجيلية محفورة في جدار كنيسة دير مار بهنام للقرن الثالث

---

١) تاريخ كلدو وآثور ١ : ١٥٨ وتاريخ الموصل ١ : ٣٨ والسمعاني الجزء الثاني ص٢١٨

٢) اخبار الشهداء والقديسين بيجان ٢ : ٤٠٧ و ٤٢٥

٣) الديورة في مملكتي الفرس والعرب تعريب القس (المطران) بولس شيخو ص٧٥-٧٦ .
يشوعدناح كان مؤرخا عاش في اواخر القرن الثامن ، ومن تصانيفه تاريخ بيعي في ثلثة مجلدات وهو مفقود وكتاب العفة الانف الذكر او هو الديورة في مملكتي الفرس والعرب ، وله تعازي وتراجيم وغير ذلك (المكتبة الشرقية مجلد٣ص١٩٥)

عشر الميلادي ، وورد ذكر هذه المدينة في تاريخ الرهاوي المجهول (١) كما وقد أورد عمرو بن متى (القرن ١٣) في كتابه المسمى المجدل اسم آثور بين مطرانيات الكرسي المشرقي (٢) .

اما الكتبة العرب فقد اختلفوا في ضبط هذه اللفظة اختلافهم في حصر مدلولها فقد كتبها بعضهم بصورة «آثور» وبعضهم «أقور» وجاء الكتبة المحدثون فكتبوها «أشور» و «آشور» و «آثور» ، وكل هذه الألفاظ يعني ما اصطلح عليه الافرنج في قولهم Ashur او Assur او Assyria ، ويريدون بها المدينة والاقليم المعروفين بهذا الاسم .

قال صفي الدين ابن عبد الحق المتوفي سنة ١٣٣٨م :« ان آثور اسم الموصل قبل هذا ، وقيل كان اسمها أقور بالقاف ، وببلد الموصل ، بقرب سلامية ، بليدة خراب يقال لها أقور كانت مسماة بها . »(٣)

وقد أوضح ياقوت الحموي المتوفى سنة ١٢٢٨م من قبله هذا الأمر ، فوصف المدينة بقوله : « .. كانت الموصل ، قبل تسميتها بهذا الاسم ، تسمى أثور ، وقيل أقور بالقاف ، وقيل هو اسم كورة الجزيرة بأسرها ، وبقرب السلامية ـ وهي بليدة في شرقي الموصل ، بينهما نحو فرسخ ـ مدينة خراب يباب يقال لها أقور ، وكأن الكورة كانت مسماة بها »(٤)

والسلامية المشار اليها في هذين النصين ، قرية عامرة الى يومنا هذا ، راكبة ضفة دجلة اليسرى ، مقابل حمام العليل ، وليس بقرب السلامية من مواطن الآثار البارزة إلا ما يسمى اليوم «بالنمرود»(٥) وهذا ما اراده المؤلفون العرب الأقدمون بلفظة أثور .

وقد جاءت الاكتشافات الحديثة مؤيدة لوجود هذه المدينة في العهد المادي ،

---

١) الرهاوي المجهول طبعة رحماني في دير الشرفة ص٨٩

٢) طالع هذا المؤلف ص٢١-٢٢

٣) مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ١ : ٢٣ طبعة جونبيل في ليدن .

١) معجم البلدان (مادة : أثور)

٢) عن المقال فى اثار العراق في نظر الكتاب العرب الاقدمين للاستاذ كوركيس عواد مجلة سومر المجلد الخامس ص٦٦-٦٧

اذ عثر في الناحية الجنوبية الغربية من تل نمرود على آثار قصر انشىء من انقاض قصور قديمة ويعتبر الآثاريون عهد بنائه بعد سقوط نينوى بناه احد الملوك الماديين مقراً لهم او لسكنى ولاتهم في هذه البقعة ، وقد ظهرت على حيطان هذا القصر آثار احتراق، ثم وجد بجانبه مجموعة كبيرة من ألواح رخام مهيأة لبناء قصر آخر او لنقلها الى جهة اخرى (١) .

الفصل السابع

التنقيبات الاثرية الاولى في أطلال كالح « نمرود »

ظلت مدينة نمرود مدفونة تحت انقاضها نحو ٢٥٠٠ سنة ، واول من بدأ باعمال التنقيب في خرائبها هو هنرى لايارد الانكليزي في ٨ تشرين الثاني من عام ١٨٤٥ ، فكشف عن شيء كثير من آثارها المستبدعة وتحفها النفيسة ونقلها الى المتحف البريطاني.

عثر لايارد اولا على غرفتين غشيت جدرانها الداخلية بصفائح من الرخام المكتوبة بالخط الآشوري وظهر له انها من بقايا بنايتين مختلفتين انشئتا في عصور متأخرة من انقاض قصور الملوك الأقدمين فاستنسخ الكتابة وردمها . ثم فحص بنظره الثاقب سطح التل وحفر في الزاوية الجنوبية الشرقية منه والزاوية الجنوبية الغربية وفي وسطه، وتمكن بين سنة ١٨٤٥-١٨٤٧ من اكتشاف سبعة قصور أسماها حسب اتجاه مواقعها :

١- القصر الشمالي الغربي ، ويتألف من قصرين متلاصقين يشكلان بلاطاً واسعاً وقد بنى معظمه الملك اشور ناصربال الثالث ٨٨٣-٨٥٩ ق.م. ، وبعد مرور نحو ١٥٠ سنة جدده سرجون الثاني وسكنه من سنة ٧٢٢-٧١٣ ق م. حيث انتقل الى عاصمته الجديدة خرساباد.

٢- القصر الأوسط، وقد بناه شلمناصر الثالث ٨٥٩-٨٢٤ ق.م. ثم جدد بناءه من الأساس ووسعه الملك تغلات بلاصر الثالث ٧٤٥-٧٢٧ ق م.

(١) the palaces of Nineveh and Persopolis, J, Fergusson p,306,325

٣- قصر الملك نيراري الثالث ٨٠٥-٧٨٢ ق م. وهو قصر صغير يقع بين القصر الشمالي الغربي وبين القصر الأوسط.

٤- قصر الملك اسرحدون ٦٨١-٦٦٩ ق م. ، ويقع في الزاوية الجنوبية الغربية وقد استعمل مواد بنائه من الأحجار وألواح المرمر التي نقلها من القصر الشمالي الغربي والقصر الاوسط.

٥- قصر الملك اشور اتيل ايلاني ٦٢٥-٦١٥ ق.م. وهو قصر عادي يقع في الزاوية الجنوبية الشرقية من التل.

الفصل الثامن

الآثار المستخرجة من هذه القصور

١- القصر الشمالي الغربي :- اقتصر القسم الكبير من حفريات لايارد في نمرود على القصر الشمالي الغربي الذي اشترك في بنائه كل من اشورناصر بال الثالث وسرجون الثاني فظهرت مقصوراته المبنية بصفائح رخام ذات جدران مزدانة بصور بشرية ناتئة تمثل بتفصيل دقيق الملك اشورناصربال الثالث على رأس جيش عرمرم في معركة حربية دامية وقد وقف في عربته الملكية يسدد السهم على الاعداء وأخذت قواته تشددالحصار على احدى قلاع العدو واقتحمتها كما وطأت الفرسان جثث القتلى من الاعداء. كذلك تصوره في قارب يمخر وسط الماء ومن حوله الأسماك والسلاحف. ثم تصوره يستقبل الهدايا ويشاهد سوق الاسرى. وهناك ألواح لمشهد الاحتفال بعودته الى العاصمة واستقبال الاشوريين له استقبال القائد الظافر تتقدمه جنود الموسيقى وحملة الصولجان يتبعهم الجيش وقد صورت فوقهم العقبان طائرة تحمل رؤوس القتلى من الأعداء.

ان هذه الصور لدقة صنعها واتقان نحتها يخالها الناظر حية مستعدة للحركة والمشي وقد ظهر الملك ووزراؤه متوشحين بحلل مزخرفة ذات أهداب موشاة بوشي عجيب ومخرمة بدقة بليغة وقد كشفوا ذراعهم فبرز بجلاء رسم العروق ونتو العضلات دلالة على شدة

بأسهم وقوة بنيتهم. وقد زينوا معاصمهم بالأساور ولكل منهم في اصبعه خاتم ، ثم قلدوا جيدهم بالعقود وتشنفوا بالشنوف وتقرطوا بالاقراط وأسدلوا شعر رأسهم ولحيتهم طويلا ، وجدلوه جدلات عديدة غريبة الشكل واحتذوا الحذاء . واما الملك فقد عقد على رأسه قبعة او تاجا ظريفا مخروطي الشكل وقبض على صولجان او سيف وظهر بمظاهر وهيئات مختلفة .

وهناك ايضاً مشاهد لطقوس دينية الى غير ذلك من ضروب النقش وأنواع الزخرف وشتى الصور الجميلة الصنع هذا فضلا عن الكتابات المسمارية المحفورة على صفائح من رخام تكسو جدران الصالات والممرات تدون اعمال الملك العمرانية وفتوحاته من ذلك تاريخ غزوة اشورناصربال لسورية ما آله : « في اليوم الثامن من شهر ايرد (نيسان) غادرت كالح وعبرت دجلة قاصداً مدينة كركميش في بلاد الحثيين (سوريا) واجتزت نهر بورات (الفرات) على قطع من اديم . واقتربت من كركميش وفرضت على سنغار ملك بلاد الحثيين عشرين وزنة من الحديد والقصدير وآلات من حديد ونحاس « ذكر اسماءها ولا تعرف مسمياتها » وغنائم بلاطه وآثاثه وشيئاً كثيراً لا مثيل لظرافته واثاثا من ابنوس وأعراشاً من خشب السنديان وأنسجة من صوف وبرفير ومركبات مرصعة بالعاج وتماثيل من ذهب والمركبات والأدوات الحربية التي كانت لقائد جيش كركميش حفظتها في مخازني » .

ومن آثار هذا العصر البارزة صورة شجرة الحياة المقدسة على جانبيها ملاكان مجنحان واقفان او جاثيان اجلالا لها يمد كل منهما يده بوقار وخشوع بالغ نحو ثمرة فيها ، تعلوها دائرة ذات أجنحة كانت في عرف الاشوريين كناية عن الاله السامي .

وساعد الحظ لايارد على العثور على أواني كثيرة من الزجاج والرخام الشمعي فيها اسم الملك سرجون الثاني وألقابه . وعثر على ١٦ ثقلا بهيأة أسود نحاسية وعلى مجموعة كبيرة من الأدوات النحاسية تتكون من دروع وخوذ وسيوف ، كما عثر على قطع كثيرة من العاج نقش عليها جانب من حياة الملك وهي تمثل رقي فن النحت والحفر على العاج عند الآشوريين . واستخرج ايضا أواني متنوعة من الفخار والمعدن

وألواحا من الصلصال المزخرف والمزين بصور الحيوانات والنباتات والأزهار على معظمها كتابات آشورية استطاع العلماء بواسطتها ان يكتبوا شيئا عن تاريخ العراق القديم .

٢- القصر الأوسط :

من أهم لقى هذا القصر مسلة شلمناصر الثالث، وهي من الرخام الأسود منشورية الشكل طولها متران ، وقد نقش على جوانبها خمسة صفوف من التماثيل بارزة النحت ، تمثل عشرين ملكا تغلب عليهم هذا الملك خلال الواحد والثلاثين عاما من مدة حكمه . وصورة الملك من بين هذه الرسوم وهو يستلم منهم الخراج . ودون على هذه المسلة ايضا ٢١٠ اسطر عن اعمال هذا الملك وفتوحاته والهدايا والأسرى . وتعتبر هذه المسلة من أنفس الآثار التاريخية التي وجدت في بلاد آشور وقد أرسلت مع ٢٢ صندوقا من آثار نمرود الى المتحف البريطاني . ومن هذه المسلة نسخة في المتحف العراقي (الغرفة السادسة) .

وكذلك عثر لايارد في هذا القصر على ثور مجنح محطم وعلى مجموعة من ألواح الرخام يربو عددها على مائة قطعة تصور حروب الملك تغلات بلاصر الثالث ، وكان الغرض منها تزيين جدران قصره المذكور ولكنها وجدت بحالة معدة للنقل يظهر منها انها لم تبن لاسباب قاهرة .

٣- القصر الجنوبي الغربي :

يعود هذا القصر الى الملك اسرحدون (٦٨١-٦٦٩ ق.م) عثر فيه لايارد على لوحة فيها رسم أسود بارزة ، وعلى أسدين مجنحين ولوحين نقش عليهما ملاكان مجنحان برأس نسر .

٤- القصر الجنوبي الشرقي :

يقع هذا القصر في الزاوية الجنوبية الشرقية من التل ، وهو قصر فقير بآثاره البارزة ، بناه الملك آشور ايتل ايلاني فوق بناء أقدم ، أقبيته من الطابوق يعود الى الملك شلمناصر الثالث ، وقد أثبت ذلك جورج سميث بعد عشرين عاما .

وفي تشرين الاول سنة ١٨٤٩ عاد لايارد ومعه هرمزد رسام الى نمرود ، فنقبا

فيها مرة اخرى وكشفا قاعدة الزقورة . فاتضح لهما انها معبد مدرج . وبالقرب منها عثرا ايضا على معبدين بناهما الملك آشور ناصربال الثالث ووجدا فيهما عدداً من الدمى الطين ومن التماثيل ومن الالواح المصورة والمكتوبة التي تزين مداخلها . وظهر ان أحد محاريبها مغطى بلوحة كبيرة من الرخام دونت عليها أخبار حروب الملك .

ومما اكتشفه لايارد في المعبد الثاني تمثال للملك آشور ناصربال الثالث وهو الآن في المتحف البريطاني ، وتجد مكتوبا على صدره « آشور ناصربال الملك القدير ، ملك البلاد من ضفة دجلة الى بلاد لبنانا . اخضع لسلطته البحار الكبيرة وكل البلاد من مشرق الشمس الى مغربها » .

وقد ساعد الحظ لايارد في خلال بعثته هذه الثانية على العثور في غرفة بالقرب من جهة قصر آشور ناصربال الغربية على عدد كبير من الاسلحة النحاسية تتكون من دروع وسيوف وخناجر ورؤوس حراب وفؤوس ومطارق مع اثني عشر قدراً كبيراً من النحاس ، في بعضها عدد من الادوات الصغيرة . ووجد أطباقا مع قطع كثيرة من الآثار العاجية وعدداً من أنياب الفيلة . وعثر في زاوية اخرى من هذه الغرفة على عرش الملك آشور ناصربال المصنوع من الخشب والمحفور والمطعم بالنحاس ، وعلى ثقل بشكل بطة عليه كتابة آشورية هذه ترجمتها « ٣٠ منا اعتياديا من قصر اربا ميروك ملك بابل » .

وفي سنة ١٨٥٢ عاد هرمزد رسام وحده للتنقيب فعثر في الزاوية الشمالية الغربية من تل نمرود على معبد الآله نابو وستة تماثيل لهذا الاله، وكان قد أمر بصنع اثنين منها حاكم المدينة بيل - ترصي - ايلوما تقربا الى هذا الآله ليحفظ الملك الشاب اداد نيراري الثالث ٨١٠-٨٠٥ ق.م. وامه الوصية شمورامات المعروفة عند اليونان باسم سميراميس وقد نقل هذين التمثالين الى لندن ودفنت البقية . وعثر في غرفة اخرى من هذا المعبد على تمثال شمشي اداد الخامس ٨٢٤-٨١٠ ق م . ، واستخرج من القصر الاوسط تماثيل مختلفة ومنحوتات اخرى وكسر مسلة محطمة من الرخام الاسود تعود للملك اشور ناصربال الثالث عليها كتابة اشورية تتضمن اعماله وحروبه ولو كانت هذه المسلة كاملة

لعدت من أهم الفوائد الاثرية .

استطاع لايارد خلال حفرياته هذه ان يمين ٥٨ برجاً في الجهة الشمالية من سور المدينة القديم وخمسين برجاً في الجهة الشرقية واثبت وجود اربعة مداخل مدرجة لتل القصور والمعابد في كل جهة مدخل .

وعثر على ستة وعشرين ثوراً واسداً مجنحاً موضوعة في مداخل القصور تغشى جسدها كتابات اشورية انتقى منها احسن واسلم اسد وثور وارسلها الى لندن مع ثلاثين صندوقا تحتوي على قطع وآثار صغيرة وعدد من أجود ألواح المرمر المكتوبة والمنقوشة ، وكذلك ارسل الى المتحف البريطاني آثاراً من نمرود ونينوى تتألف من مائة وخمسين اناء نحاسياً بمختلف الأشكال والحجوم مع ثمانين جرساً صغيراً من النحاس ايضا وقد نقشت على معظمها صور اشخاص وحيوانات واشجار وازهار وهي تكون مجموعة ثمينة من صناعة النحاس الأثرية .

ولما لم يستطع لايارد نقل جميع ما استخرجه ، استنسخ صور التماثيل والرسوم والكتابات التي عليها ، ساعدت هذه على وصل بعض الحلقات المتفككة في تاريخ هذه الأمة ورفعت الستار عن عدة صفحات من تاريخ البشر المجهول ، ثم ردمها ردماً مستعجلا أتلفت معظمها العوارض الطبيعية . وفي ذلك يقول الرحالة الالماني ساخو *Sachau* في كتابه « بين الفرات ودجلة » ليبزيج سنة ١٩٠٠ ص ١٠٥ : « ان سطح التل في نمرود يقدم لنا في الوقت الحاضر منظراً كئيباً لما حل به من التدمير الهائل » .

لم تجر في هذه الخرائب حفريات تستحق الذكر بعد لايارد ، وممن نقب فيها كينيت لوفتوس حوالي سنة ١٨٥٤ وجورج سميث سنة ١٨٧٢ .

ونقلت مديرية الآثار القديمة قبل سنوات ثورين مجنحين من نمرود ونصبتها في مدخل المتحف المركزي ، ويستدل من الكتابات التي عليها انها من آثار قصر الملك اشور ناصر بال الثالث .

الفصل التاسع

التنقيبات الحديثة فى أطلال نمرود

تشغل أطلال مدينة نمرود اليوم مسافة واسعة يبلغ قطرها نحو ميلين يحيطها سور ضخم لا تزال معالمه قائمة وبعض أبوابه واضحة . وفى الجهة الجنوبية الغربية من المدينة تل واسع مستطيل فيه صرح مدرج يبلغ ارتفاعه نحو ٦٠ قدما . وفى هذا التل كانت صروح الملوك وخزائنهم وهياكل العبادة وثكنات الجيش ودوائر الحكومة كلها ، وهي كانت ولم تزل مدار البحث والتنقيب ، واما المدينة فلم يمسها منقب بعد .

استؤنفت الحفريات الأثرية في خرائب نمرود مرة اخرى بعد مرور نحو قرن من تنقيبات لايارد ، فقد تولت منذ ثلاث سنوات بعثة انكليزية ، برئاسة البروفسور ماكس ملوان وباشراف أحد ممثلي مديرية الآثار القديمة العامة ، أمر القيام بمهمة انجاز العمل لاستخراج سائر معالم هذه المدينة والوقوف على أدوار ثقافتها المختلفة .

بلغت هذه البعثة بتحرياتها العلمية الى نتائج ذات قيمة تاريخية نقسمها الى قسمين قسم يمثل تماثيل اشورية والواحا كبيرة مكتوبة او مزخرفة بقيت في نمرود لتقوم البعثة بالاشتراك مع مديرية الآثار القديمة باتخاذ ما يلزم لصيانتها وابقائها في مكانها لتكون متحفاً للزائرين ، والقسم الآخر يمثل مجموعات نفيسة من الآثار الاشورية المختلفة الصنع والتى أصبحت من حصة المتحف العراقى الجديد في الموصل ، اما جهود هذه البعثة الأثرية فقد أسفرت :

١ـ عن كشف أحد أبواب القلعة المؤدي الى المدينة والواقع الى الجنوب الشرقى فظهرت أرضه المبلطة بالحلان وأسد مجنح فى الجانب الأيمن لم يبق منه سوى الأرجل، كان يقابله أسد آخر عن اليسار تعلوهما قنطرة يبلغ عرضها نحو ثلاثة أمتار .

٢ـ هيكل الاله نابو :

أسفرت جهود هذه البعثة عن ازاحة الردم ايضا عن أساسات هيكل الاله نابو وهو إله الحكمة والمياه ، كان الاشوريون يستغيثون به عند قلة الامطار ويستشيرونه

عند حدوث الممات والذهاب الى الحرب ، ويقع هذا الهيكل عن يسار الداخل في القلعة، بعد اجتياز الباب المذكور .

٣- القصر المحروق :

وفقت هذه البعثة لاكتشاف قصر جديد من اللبن لم يعرف بعد اسم مشيده (ويظن انه يعود للملك شلمناصر الثالث) فسمته البعثة بالقصر المحروق، ولعله احترق اثناء ثورة في المدينة او استيلاء عدو عليها . يقع هذا القصر الى يمين هيكل نابو في الفجوة الواقعة امام قصر الملك اشور أيتل ايلاني التي لم يمسها منقب من قبل .

رفعت البعثة الاتربة عن هذا البناء بعمق اربعة امتار فظهرت حيطانه الكلسية محترقة كلها . ويتألف الجانب الجنوبي منه من حمامات وغرف ببقية غيرها ، وهناك ايضاً بعض قبور . أما الركن الشمالي فيتكون من منازل للسكنى يتوسط القسمين ديوان واسع رسمت على ملاط جدرانه نقوش هندسية تتكون من اقراص تتوسطها زهرة بهيأة عباد الشمس تنحصر بين خطوط متوازية ملونة بالأسود والابيض والازرق والاحمر . وقد ظهر في الزاوية الشرقية من هذا الديوان نفق طوله اربعون متراً يؤدي بطريق سري الى المدينة .

وقد عثرت البعثة في ارضية هذا القصر على تماثيل نساء وأسود وانوار صغيرة من العاج مصنوعة بشكل دقيق يدعو الى الاعجاب ، ورؤي على اجرة اسم الملكة شمورامات التي حكمت وصية على ابنها الملك مدة سنتين . ويخمن بناء هذا القصر حوالي سنة ٧٠٠ ق . م .

٤- القصر الشمالي الغربي :

أزاحت البعثة الستار عن عدة مقصورات وممرات وأفنية من القصر الواقع في الشمال الغربي من التل وعثرت في ارضيتها على آجر الملك أشور ناصر بال الثالث وابنه شلمناصر الثالث . اما جدران هذه الصالات فمكسوة بألواح من الرخام ، طول كل منها حوالي مترين بعرض متر ونصف متر ، نقش عليها من الكتابات الاشورية وانواع الزخرف الشيء الكثير .

تقسم هذا القصر الى قسمين صالة عظيمة هي اكبر غرفة في القصر يبلغ طولها ٤٥ متراً وعرضها عشرة امتار ، وهي المقصورة الملكية او قاعة العرش التي فيها كان الملك يستقبل الزوار والوفود . وقد عثر فيها على لوحة رخام ضخمة هي منصة العرش نقش عليها كتابة مسمارية هي (منصة العرش) .

اما جدران هذه الصالة فمغشية بصفائح من الرخام عليها كتابات اشورية تدون حروب الملك اشور ناصربال الثالث وفتوحاته واعماله العمرانية ومعظمها بحالة جيدة ، إلا عدد منها أصابه التلف .

يدخل الى هذه المقصورة من باب الى الشمال ، يحرسه ثوران مجنحان جسيمان ، يبلغ علو كل منهما نحو خمسة امتار ، ذوا وجهين بشريين ، وقد انسدل شعر رأسيهما ولحيتهما طويلا وهو مجدول جدلات عديدة ، وعلى جوانبهما كتابات مسمارية محفورة حفراً واضحاً .

ثوران مجنحان من صروح نمرود مدينة الامير بهنام

نمر من هذه الصالة الى غرفة الخزينة حيث كان الملوك يحفظون كنوزهم التي كانوا يجمعونها من الضرائب او الجزية . وارض الغرفة وحيطانها مغطاة بقطع كبيرة من المرمر مكتوبة عليها فتوحات الملك اشور ناصربال الثالث .

واذا عرجنا الى اليمين ظهرت لنا قطعة عظيمة من المرمر منحوت عليها تمثال الملك اكبر من حجم انسان عادي وبيده اليمنى سطل وباليسرى ثمرة الصنوبر · وقد رفع هذه اليد مشيراً الى شجرة الحياة المنحوتة أمامه وهو يقوم بعمل ديني · والصورة ناقصة لان نصف الشجرة وتمثالا اخر للملك واقف من الجانب الآخر من الشجرة قد رفعت من محلها ونقلت في الازمنة السابقة مع ألواح اخرى أثرية الى احد المتاحف ·

في غرفة بجانب هذه الصالة الى الشرق ، عدة خوابي كبيرة مشوية بالنار وقد كتب على احداها اسم اشورناصربال وكانت تخزن فيها الحنطة ، تسع كل خابية حمل حمارين من الحنطة . كان مقياس الحنطة عندهم كان الايمر *Ymer* اي حمل حمار واحد ، كما تدل اللفظة عليه (ايمر - حمار) .

ومن أهم لقى هذه الحقبة مسلة كبيرة لاشورناصربال الثالث فريدة في نوعها اكتشفت في رواق مجاور وهي من الصخر الرملي الأصفر في وسطها صورة لاشورناصربال الثالث بحلة مزخرفة فوق قباء طويل ذي ذيول مشرشرة وفي حزامه خنجر وقد أرسل شعره المعقود ولبس تاجا مخروطي الشكل تعلوه رموز الالهة : القمر (سن) بشكل هلال والشمس (شمش) بشكل قرص ، واشور « سيد الالهة او ابو الالهة » بشكل شخص يرمي بالقوس ، وانليل إله الهواء ، وآداد إله العاصفة وايكيكي الارواح السماوية بشكل سبعة نجوم هي الثريا .

وحول الصورة وفي أطراف المسلة الاخرى ، كتابة بالخط المسماري مستهلها « قصر اشورناصربال كاهن اشور الملك العظيم » ثم تروي كيف نظم الملك الحياة في المدينة وعني بسقي الأراضي حولها وغرسها بالوف الأشجار قرب ضفة النهر ثم بنى هيكل نينورتا إله الحرب وأوقف الاراضي والأشجار عليه وكيف انه بنى القصر في خمس سنين ثم احتفل بتدشينه مدة عشرة ايام فدعا الى الحفلة الملوك والعظماء من فارس وبابل وسوريا وقدم لهم من المأكولات والمشروبات الشيء الكثير ، منها مائة نعامة وألوف الحيوانات والخمر كالانهر وكان عدد المدعوين ٦٩٥٧٤ .

ان هذه المسلة وقاعدة العرش الملكي الآنفة الذكر وغيرها من صفائح الرخام

البارزة النقش والرسوم نقلت الى متحف الموصل ، وربما سينقل اليها ايضا اسدان مجنحان عظيمان لينصبا في مدخل المتحف .

يربو عدد مقاصير هذا القصر على ١٥٠ غرفة لم تكشف كلها بعد ، تصل بينها ممرات تغطي جدران بعضها صفائح رخام تحاكي صفائح الصالات نحتاً ونقشاً وكتابة وقد بلطت ارضيتها بالرخام او الآجر عليها اسم الملك بالآشورية .

أما السقوف فلا أثر لها ، فقد دكها الماديون والبابليون دكاً ،ودفنوها تحت انقاضها سنة ٦١٢ ق.م يوم اقتسموا هذه المملكة وجعلوها أثراً بعد عين ، ومع ذلك كفى بهذه الأسس وما بقي من الجدران دلالة صريحة على ما كانت عليه هذه المدينة من الحضارة والعمران والازدهار .

وقد عثرت البعثة في خلال تنقيباتها في المواسم الثلاثة على قطع عاج مزخرفة ومطعمة بالذهب واللازورد كما عثرت على صورة بقرة نحتت من العاج بوضعية جميلة تدل على ما وصل اليه فن النحت الاشوري من الروعة والاتقان . واستخرجت ايضا مقادير متنوعة قيمة من الرقم الطين معظمها بحالة جيدة وختما اسطوانيا جميلا يمثل محفلا دينيا يقوم به الملك نفسه أو احد الأمراء الاشوريين ، وكذلك عثرت على عقد وحلى متنوعة من الذهب والعاج وغيرها ستعرض في متحف الموصل وهي تشهد بسمو الحضارة الاشورية والاتقان التي تتحلى بها مصنوعاتهم .

وفي أحد أفنية هذا القصر الى الغرب كشفت البعثة بئراً مبنية من الآجر يرجع تاريخها الى سنة ٨٨٠ق.م. اي زمن اشورناصربال الثالث وقطر البئر متران وعمقها نحو ١٩ متراً .

وكذلك عثرت بفناء آخر مجاور على بئر ثانية كتب عليها اسم شلمناصر الثالث ابن اشورناصربال سنة ٨٥٩ق.م . ويظهر ان هذه البئر قد ترك استعمالها فغطي فمها بالآجر ، وبعد مائة وخمسين سنة عثر عليها فرفع بناء فمها نحو مترين آخرين وأعيد استعمالها ، وكانت تستعمل مياه هذه الآبار للشرب عند حصار المدينة او القلعة الملكية .

اهتدت اخيراً هذه البعثة بتحرياتها العلمية الى ان هناك في بعض طبقات هذه

الأبنية السفلى آثاراً تعود الى أقدم المستوطنين في هذه الربوع تعاقبت حضاراتها في هذه البقعة ، وهي تمثل فصولا جديدة من تاريخ مجهـول وحضارات بائدة سحيقة في القدم ، وفي نية البعثة ان تزيل عنها القناع في السنوات المقبلة ، وسيكون حينئذ في حيز الامكان وصل حلقات المراحل التي اجتازتها الحضارات العراقية المتعاقبة في هذه البقعة.

هذه نبذة مقتضبة في تاريخ كالح « نمرود » او « اثور » والأطوار التي تقلبت فيها سقناها اتماما للفائدة ، ونحن على يقين راسخ ان فائدتها قريبة الاجتناء ، وهـذه الفائدة ليست مقصورة على ناحية واحدة بل تشمل نواحي شتى كما لا يخفى على المتتبع البصير ، وعليه في مقدورنا ان نقول ان زيارة هذه الآثار الجليلة والأماكن التاريخيـة التى تنبيء بنبوغ أسلافنا الأولين وتلقي ضوءاً على تاريخ بلادنا في تلك الحقب النائية لا تخلو من فوائد عظيمة جمة لعشاق العاديات ومحبي الآثار (١).

الفصل العاشر

آثار قناة آشور ناصربال الثالث المعروفة «بالنقوب»

ينبئنا التاريخ ان ملوك آشور كانوا يعتنون عناية فائقة بالزراعة ، لذلك ازدهت وازدهرت في أزمانهم . انهم حفروا القنوات وشقوا الترع وبنوا الخـزانات وشادوا السدود ليرووا المساحات الشاسعة من أراضيهم عند الحاجة، خاصة عند انحباس الأمطار لذلك كانت الحقول ممرعة تؤتي أكلها شهية . وهذا دليل لامع على اعتمادهم على انفسهم غير اتكاليين على الطبيعة ، بعكسنا نحن الذين نعيش في عصور النور والاختراع ، فاننا «والواقع يؤيد قولنا» اننا اتكاليون على الطبيعة ، لذلك يكون محصول الزراعة قليلا لا يذكر ، خاصة في السنين التي تغضب الطبيعة فتنحبس الأمطار او تشح ، فتجـدب الأرض وتموت البذور في جوفها ، او يكون نماؤهـا ضئيلا قصيراً ، بحيث لا تحمـل

---

١) طالع عن هذا البحث : دليل المتحف العراقي ص١٧٥-١٧٧ وتاريخ الشرق القديم الجزء الثالث للفريق طه الهاشمي ص٣٣٢-٢٤٦ ، ومجلة النجم السنة الحادية عشرة ص٤٢٩-٤٣٦ وسومر السنة الخامسة ص٣١٩-٣٢٠ و ٣٢٤-٣٢٨

السنبلة سوى ثلاث حبات أو أربع .

من معالم الري التي تركها الآشوريون ، في هذه المنطقة ، آثار القناة التي فتحها اشورناصربال الثالث استفادة من أمواه الزاب الكبير الزاخرة ، بغيـة ارواء أراضي منطقة نمرود الفيحاء الواسعة .

يعرف هذا الأثر اليـوم «بالنكوب» أو «النقوب» ، وهـو اسم محلي أطلقه الأهلون على هذه القناة نسبة الى ثلاثة ابواب او «نقوب» في سفح هضبـة صخرية تمر مياه الزاب الأعلى منها الى هذه القناة .

قناة آشور ناصربال الثالث «النكوب»

تقع «النكوب» على الضفة اليمنى من الزاب الكبير ، ويصل المرء اليها بعد مسير زهاء نصف ساعة بالسيارة عن طريق دير مار بهنام - كوير ، بين حـقول مكتسية في

الربيع بحلل سندسية ولازوردية وقد تفتحت أكمام أزهارها عن أجمل الألوان وأزكى العطور ، فلا يسع المرء آنذاك سوى ان يسبح الخالق على نعمه الوفيرة ومراحمه الغزيرة وبعد ان نمر في وسط قرية كنهش تنعطف بنا السيارة الى الغرب فالجنوب فنبلغ مكانا محتجباً بين هضاب ، على ضفة الزاب ، لا يأبه له المرء لأول وهلة ، ولكنه اذا أمعن النظر تملكه العجب ووقف خاشعاً امام روعة هذا العمل الجبار الذي طاول القرون وهزىء بعوارض الطبيعة منذ ما ينيف على ٢٨٠٠ سنة .

في أسفل هضبة صخرية هناك مدخل واسع يؤدي الى قناة تشق هذه الهضبة في وسطها على شكل نفق ، مفتوحا تارة وطوراً معقوداً ، يبلغ طوله نحو مائة متر بعرض أربعة أمتار . في عمق هذا النفق ثلاثة أبواب منقورة في الصخر لتنظيم دخول الماء في القناة تناظرها ثلاثة اخرى منقورة في نقطة يصطدم تيار المياه فيها بقوة ، وهي في انحدار الزاب نحو دجلة وتتدفق منسابة في المداخل الثلاثة الأمامية الى هذا النفق وذلك لوجود ازورار في الزاب هناك ، غير انها تنكفىء اليوم راجعة أعقابها لأن القناة طمرت في أعلاها بنتيجة الترسباب وما تأتي به مياه النهر في جريانها .

يبلغ طول هذه القناة نحو ستة كيلومترات وربما اكثر وعرضها نحو أربعة أمتار وبعد ان يخرج الماء من النفق كان يجري في قناة مفتوحة نقرت في الصخر تمتد موازية لضفة الزاب الأيمن ، ثم تنعطف الى الداخل في نفق شق في هضاب وبني بالآجر والاسفلت تشاهد آثاره عند قرية تعرف بالياجور (نسبة الى هذه القناة المبنية بالآجر) وتنفذ هذه القناة اخيراً الى سهل نمرود الخصب الواقع على ضفة دجلة اليسرى فتوزع مياهها في ترع وسواقي كانت تجعل هذه الأراضي جنة غناء مقدمة بسخاء انواع الحبوب الكثيرة والثمار الطيبة .

والمعروف من التحقيقات العلمية عن هذه القناة ان الملك آشور ناصربال الثالث هو الذي حفرها ثم كراها ووسع فيها الملك اسرحدون . وقد وجد لايارد(١) في الطرف

---

١) طالع الجزء الاول من كتاب لايارد : *Nineveh* ص ٨١ و *Preusser* ص٢ وسومر السنة الخامسة ص٣١٩-٣٢٠

الخارجي من النفق لوحا من الحجر ذكر فيه ان الملك اسرحدون قد جدد حفر القناة .

بعد ان نمتع أنظارنا بمشاهدة هذا الاثر النفيس يجمل بنا ان نرقى قمة هذه الهضبة فيتراءى لنا أفق شاسع ومناظر طبيعية فتانة تسبي العقول ، مناظر فريدة زادتها روعة وجلالا أمواه الزاب المنسابة بين الخمائل والأحراش انسياب الافعوان فوق الرمال ، ثم نعود أدراجنا الى الدير في نفس الطريق الذي سلكناه ، وليس لنا سوى الحديث عن عبقرية أسلافنا الاقدمين والاطراء على نشاطهم الحثيث في جميع مرافق الحياة .

هذه كانت حالة البلاد وأراضيها في الماضي البعيد نأمل ان تعود اليها تلك الحياة الزاخرة بالحيوية ، بهمة العاملين من أبناء الامة المخلصين .

...

الباب الثانى

العودة الى الموصل عن طريق قره‌قوش - برطلي

من الزوار من يختار العودة من دير مار بهنام الى الموصل ماراً بقره‌قوش فبرطلي، لذا نرى لزاما ان ندرج نبذة تاريخية عن كلتا القريتين خدمة للتاريخ وتتمة للفائدة .

الفصل الاول

من دير مار بهنام الى قره‌قوش

آثار بلاوات . موقع قره‌قوش . اسماء قره قوش . أصل القره‌قوشيين
شهرة القره‌قوشيين

١- آثار بلاوات «آمكر انليل» :

تقع قره‌قوش شمالي دير مار بهنام ، ويبلغها القاصد بالسيارة بعدة عشرين دقيقة ، ويتاح له في هذه المناسبة ان يعرج شرقا الى «عين سارة» المار ذكرها ومن ثم يتجه غربا فيتصل بطريق قره‌قوش متابعاً مسيره اليها ، وقبل وصوله الى هذه القرية يشاهد الى الشرق ، على نحو خمسة كيلو مترات من جنوبها تلا مستطيلا عاليا رابضاً في ذلك السهل كأسد يتحفز للوثوب يعرف «بتل بلاوات» وهو من آثار «آمكر انليل» الاشورية القديمة يضم بقايا قصر واسع للملك شلمناصر الثالث (٨٤٩-٨٢٤ ق.م.) نقب في هذا التل قبل نحو ثمانين عاما هرمز رسام وتوفق الى اكتشاف صفائح برنزية عليها زخارف وكتابات ومشاهد حروب تمثل بتفصيل يستدعي الانتباه حملة الملك شلمناصر الثالث على بلاد نائيري وهي جوار بحيرة وان ، وعلى منابع دجلة . ومايؤيد

وجود هذا القصر ، العثور اليوم في هذا التل على آجر نقش عليها كتابات مسمارية تدل على انها من آجر شلمناصر المختوم(١) .

٢- موقع قره قوش :

قرهقوش واسمها التاريخي «باخديدا» او «بيث خديدا» ، قرية كبيرة شرقي الموصل ، تبعد عن هذه المدينة بنحو ٢٨ كيلومترا ، يقطنها زهاء الف وثلاثمائة عائلة سريانية كاثوليكية وبعض اسر من السريان الارثوذكس ، يناهز عدد سكانها نحو ثمانية آلاف نسمة ، وتعتبر هذه البليدة اكبر مجتمع سرياني كاثوليكي في بقعة واحدة .

٣- اسماء قرهقوش :

لقرهقوش عدة اسماء في التاريخ ، فقد ذهب البعض الى انها من آثار (راسن) المدينة الآشورية القديمة(٢) وجاء ذكرها في التاريخ باسم «باخديدا» او «بيثخديدا» وهي لفظة فارسية معناها «بيت الآلهة» وسبب تسميتها بهذا الاسم انها كانت بلدة مجوسية وكان فيها معابد كثيرة للنار والاوثان . والظاهر ان هذه التسمية عريقة في القدم وربما تصعد الى العهد الساساني ، وكذا يسميها اليوم جميع المسيحيين المتكلمين «بالسورث» (٣) .

وتعرف ايضا «بقره قوش» وهي لفظة تركمانية معناها «الطائر الأسود» وهي الشائعة عنها اليوم في جميع الطبقات المتكلمة بغير السورث ، والظاهر ان هذه التسمية الاخيرة حديثة ، اذ لا نجد بين المؤرخين القدماء من يورد ذكرها بهذا الاسم ، ومن المحتمل انها أطلقت عليها في غضون المئة الخامسة عشرة لما حكمت الدولة التركمانية الاقويونلية هذه البلاد وكان انقراضها على يد الشاه اسماعيل الصفوي عام ١٥٠٨.

وقيل ان «باخديدا» لفظة آرامية حرفت عن لفظها الآرامي «بيث ديتا» اي

---

١) دليل المتحف العراقي ص٣٤ وسومر المجلد الخامس ص٣٢٠

٢) تاريخ سوريا القديم المجلد الاول ص١٠٧

٣) السورث هي اللهجة السريانية المكسرة المعروفة بالفلاحية والمنتشرة في منطقة الموصل الشمالية اي قرى نصارى الموصل واربيل وسليمانية وكويسنجق وطورعبدين وبحيرة ارميا وسنا في بلاد فارس وبعض قرى اسلامية في جوار دمشق اكبرها قرية معلوله مع اختلاف بينها في هذه اللهجة

«بيت الحدأة» وهي طائر اسود ومن المحتمل ان الترك نقلوا معنى «بيت الحدأة» او «بيت الطائر الاسود» الى لغتهم فقالوا قره قوش فغلب عليها هذا الاسم(١).

٤- أصل القرهقوشيين :

ينحدر القرهقوشيون من العنصر الآرامي القديم سكان حدياب الاصليين (٢) تسلسلوا عن سكانها الأقدمين ابا عن جد وتوارثها الاحفاد عن الأجداد جيلا بعد جيل وخلفوا فيها آثاراً تنطق بماضيهم المجيد ، وقد انتمى اليهم في القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد قوم من السريان التكريتيين يوم تفرقوا في انحاء البلاد وامتزجوا بسكانها الأقدمين (٣) وفي خلال المئة الثامنة عشرة نزح قوم من القرهقوشيين الى بغداد فالبصرة وعمارة على اثر مجاعات هائلة حلت في ديارهم واستقروا فيها و يبلغون اليوم نيفا ومائةاسرة ويعدون من وجهاء الطائفة السريانية في ابرشية بغداد العامرة(٤).

٥- شهرة القرهقوشيين :

للقرهقوشيين شهرة لا تنكر ، نظراً لما عرفوا به منذ القديم ، من الجد والنشاط والاريحية ، هذا فضلا عن استقامتهم في العمل وحبهم العميق لأمتهم واخلاصهم الصادق لوطنهم . كما وان لهم مواقف مشرفة اشادت بذكرهم وكتبها لهم التاريخ صفحات لامعة في كتاب الامة السريانية في شتى الظروف والمناسبات .

الفصل الثاني

قرهقوش في عصورها الاولى

١- اننا لا نعلم متى وكيف تأسست قرهقوش ، اذ لا يوجد بين المؤرخين من

١) النجم : السنة الثانية ص٤٢

٢) «حدياب» : امارة كانت تمتد قبل الميلاد من الزاب الكبير الى الزاب الصغير ومن دجلة الى اذربيجان وقاعدتها اربيل ثم اتسعت فشملت اذربيجان وبقعة نينوى كلها حتى نصيبين وسماها العرب «حزة» : تاريخ نصارى العراق ص٥ وتاريخ الموصل ١ : ١٤-٢٥

٣) يعرف منهم اليوم العيساويون والنجاجرة وآل حبش وآل موميكا.

٤) طالع احصاء العائلات السريانية في ابرشية بغداد ، مجلة نشرة الأحد المجلد ١٣ السنة ١٩٣٤

يؤكد لنا عن عهد بنائها ، كما اننا نجهل ادوارها التاريخية وتقلبات احوالها في عصورها الاولى ، فلم يقع بيدنا مؤرخ من الاقدمين بحث عنها او ذكرها . والظاهر ان لهذه القرية تاريخاً عريقاً في القدم يرتقي عهده الى قبل التاريخ الميلادي .

فقد ذهب بعض المؤرخين الآثاريين المستشرقين الى ان قرهقوش هي من آثار «راسن» المدينة الثانية التي بناها نمرود . قال اوبير في رحلته « في ما بين النهرين » : « يرجح ان موقع (راسن) هو حيث قرهقوش اليوم (١) .

وقد جاء ذكر « راسن » هذه في الكتاب العزيز قال « ومن تلك الارض (يريد ارض شنعار) خرج آثور فبنى نينوى وساحات المدينة وكالح « وراسن » بين نينوى وكالح وهي المدينة العظيمة » (٢) .

يستدل من فحوى قول التوراة ، ان موقع « راسن » هو في داخليـة البلاد ، ومن المحتمل ان يكون موقعها حيث قرهقوش اليوم . وقد وصفتها التوراة بالمدينة العظيمة ، لانها خلفت أمجاد نينوى بدورها الأول (٣) .

٢- قرهقوش المسيحية « باخديدا » :

فلما أفادنا التاريخ عن تسمية راسن « بباخديدا » هذا اذا اعتبرنا ان باخديدا هي راسن حقاً - كذلك ليست لدينا معلومات وثيقة عن عهد دخول الديانة المسيحية فيها. وكل ما في أيدينا من الموارد التي تلقي ضوءاً على ما نتوخاه، هو سيرة ماريوحنا الديلمي المحفوظة في صحف سريانية مخطوطة وقديمـة ملخصها : ان يوحنـا الديلمي (في القرن السابع للميلاد) قدم مام وهي قرية « باخديدا » ورآها تعـج بمعابد الاصنام ، فطفـق يبشر وينذر سكانها وهدم تلك المعابد المجوسية وكسر الاشجار المعبودة وأقام كنيسـة على اسم سرجيس وباكوس كما وقد شاد له ديراً بجوارها ، في موضع يدعى « ناقورتايا » ولا تزال هذه الكنيسة قائمة وأطلال هذا الدير راسخة القدم ، وتعرف تـلك الاصقاع باسمه حتى اليوم .

---

١) Oppert : Expedition en Mesopotamie I. I. p. 309

٢) تكوين ١٠ : ١١

٣) طالع اوبير الجزء الاول ص٣٠٩ وتاريخ سوريا القديم الجزء الاول ص١٠٧

هذا جل ما وقفنا عليه ، من استقراء الحوادث التاريخية عن قرهقوش او بيث خديدا الوثنية أولا ثم المسيحية في عصورها الأولى ، وهو لا يتعدى في الحالة الحاضرة حدود الحدس والتخمين .

اما منذ القرن الثاني عشر وما يليه ، فقد أتت على ذكر « باخديدا » او « بيث خديدا » نصوص كثيرة تنطوي على اخبار زهيدة لهذه القرية ، نجمع شتاتها ، في هذه اللمحة ، وهي لا تروي غلة الباحث ، انما تكشف عن زاوية من أخبارها ، فنتدرج في بحثنا هذا بايجاز فنورد :

(١) شهادات المؤرخين الذين أتوا على ذكرها . (٢) نتبعها بنبذة عن الأعلام العاملين الذين نبغوا منها . (٣) كآثارها العلمية كالعمرانية . (٤) ثم نأتي بذكر انضمامها الى الكنيسة الكاثوليكية . ونختم بحثنا هذا بوصف موجز لحالتها الحاضرة .

الفصل الثالث

باخديدا في التاريخ (قرهقوش)

لما كان لقرهقوش مركزها في كيان الأمة السريانية ، وأهميتها في بلادنا العزيزة فلم يهمل التاريخ اسمها . فقد ذكرها بعض المؤرخين ووصفوها، وجاؤوا على ذكر العلماء الذين نبغوا منها ومثلوها لنا قرية عامرة غاصة بالسكان ، كثيرة الخيرات ، ذات شأن اجتماعي في تلك العصور ، ولهذا جنح اليها المفارنة ، ذات المرار ، فاسنت اليهم العطاء وأقام فيها بعضهم وتوفي فيها ثلاثة منهم وهم يوحنا الرابع ١١٨٩ (١) وديوسقوروس بهنام شتي الاربوي ١٤١٧ (٢) وباسيليوس عزيز ١٤٨٧ (٣) .

نقرأ في تواريخ ابن العبري اخباراً كثيرة عن قرهقوش، خاصة في مناسبة تدوينه الحوادث الأليمة التي حلت في هذه الديار .

---

١) انباء الزمان ص٣٦ وذخيرة الاذهان ١ : ٥٧٢

٢) مخطوط سرياني قديم في خزانة قرهقوش .

٣) لوحة رخام في مدفن الاباء في كنيسة الطاهرة بقرهقوش .

قال أبو الفرج في تاريخه المدني السرياني صفحة ٥١٦ : « في السنة ١٢٦١م هجم الاكراد على الموصل واطرافها ففتكوا بعدد وافر من النصارى، واستولوا على دير الراهبات في « بيث خديدا » وأجروا فيها مذبحة عظيمة . »

وجاء فيه ايضا ص ٥٦٠ على أثر القتال الذي حدث بين الاكراد والتتر عام ١٢٨٨م ، انه قتل اثنا عشر شابا من أشجع وأجمل شباب « بيث خديدا » .

وقد أفاض هذا المؤرخ في ذكر قرهقوش في تاريخه الكنسي جاء فيه :

ان المفريان ديونوسيوس موسى (١١٦٢-١١٣٢م) قصد سكان بيث خديدا ، فجمعوا له بطيبة خاطر مبلغاً من المال ، ليؤديه للحاكم اذ كانوا يحبونه جداً (١)

وورد عن المفريان اغناطيوس لعازر ١١٤٣-١١٦٤م انه نزل من دير الشيخ متى الى قرية بادانيال ، وأقام فيها ثلاثة ايام ، فدعاه الحديديون ثم البرطليون . ومن ثم جرت العادة انه حين اقتبال المفريان الجديد ، يصعد به اولا الى الدير ، ثم ينزل به الى قرية بادانيال ، ثم يذهب الى « باخوديدا » فبرطلي (٢) .

وروي عن المفريان يوحنا الرابع ١٦٥١-١١٨٩م انه لما كان ذات ليلة راقداً على سطح كنيسة باخديدا الكبرى ، سقط من أعلى السطح ومات (٣)

وقد جرى في عهد هذا المفريان ، انه بينما كانت رحى الحرب دائرة بين حاكم الموصل ، ونور الدين بن زنكى ، صاحب دمشق الذي جاء لاغتصابها ، اغتنم الاكراد هذه الفرصة وهاجموا دير مار متى سنة ١١٧١ ، فاستنجد حينئذ الرهبان سكان قرى نينوى فاسرع أهالي برطلي «وخديدا» وباسحرايا لنجدتهم وفرقوا شمل المعتدين وأزاحوهم عن الدير (٤) .

---

١) التاريخ الكنسي ٢ : ١١-٣٢٧ والسمعاني ٢ : ٤٤٩-٤٥٠ وانباء الزمان صفحة ٣٤ وذخيرة الاذهان ١ : ٥٥٩-٥٦٣

٢) التاريخ الكنسي ٢ : ٣٥٢-٣٥٥ والسمعاني ٢ : ٤٥٠-٤٥٢ وانباء الزمان : ٣٥ وذخيرة الاذهان ١ : ٥٦٦

٣) التاريخ الكنسي ٢ : ٣٥٧-٣٦٩ والسمعاني ٢ : ٤٥٢-٤٥٣ وانباء الزمان صفحة ٣٦ وذخيرة الاذهان ١ : ٥٧٢

٤) مخطوط بمكتبة دير مار بهنام في التاريخ الكنسي للمطران افرام نقاشة ٢ : ٦٦

وجاء عن المفريان اغناطيوس الثالث ١٢٥٣-١٢٥٨م ، انه أخذ يطوف القرى ويجمع الأموال لصاحب الموصل ، فاسنى له « الحديديون » العطاء اكثر من سواهم ، فشكرهم على أفضالهم ، وأثنى على أريحيتهم وقال لهم : « والمنى عليكم ، فانكم أنتم تخسرون وأنا لا أنتفع ، لأن كل ما تبذلونه يحمل الى خزينة السلطان (١) .

وورد عن المفريان أثناسيوس ابرهيم الثاني ١٣٦٤-١٣٧٩م ، انه لما أقبل الى آثور افتقد الرعية ، نخف لاستقباله نور الدين رئيس « بيث خديدا » ومسعود رئيس قرية بيث دانيال العليا وابو الكرم قسيس باسحرا (٢) وغيرهم مع سائر الاكليرس والشعب في كل بلدة دخلها .

ثم ورد ذكر قرهقوش في بعض المراجع البلدانية العربية باسم «باخديدا» قال ياقوت الحموي ١٢٢٨م : « باخديدا قرية كبيرة كالمدينة ، في شرقي مدينة الموصل ، والغالب على أهلها النصرانية » (٣) .

وقد وصفها صاحب مراصد الاطلاع بقوله : « باخديدا قرية كبيرة كالمدينة ، من أعمال نينوى ، في شرقي الموصل » (٤)

وهناك نصوص اخرى تاريخية تاتي على ذكر قرهقوش نعرض عنها خوفاً من ان يمل القارىء العزيز .

---

١) التاريخ الكنسي ٢ : ٤١٧-٤٣١ والسمعاني ٢ : ٤٥٥ وانباء الزمان ٣٩ وذخيرة الاذهان ـ ٢ : ٥٩

٢) باسحرايا قرية قريبة من برطلي يسكنها قوم من باجوان وهم فرقة من الشيعة وكان اهلها مسيحيين وبدأ خرابها منذ قتال جرى سنه ١٢١٩ بين مظفر الدين صاحب اربيل وبدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ، فخطف عسكر مظفر الدين عروساً مزفوفة من هذه القرية ولما استردوها وشى بهم العسكر على تهمة اخترعوها فانفذ اليهم مظفر الدين عسكراً قتلوا منهم ثلاثمائة رجل كانوا متحصنين في الكنيسة وفي سنة ١٢٦١ هرب قسم من سكانها الى اربيل خوفا من الاكراد ، ولما قطعوا الزاب التقى بهم قطلو بك واحتج انهم من الاعداء فقتلهم (تاريخ المطران افرام نقاشة المخطوط ٢ : ٣١ و ٩٣ وانباء الزمان صفحة ٤٣ وذخيرة الاذهان ٢ : ١١٦-١١٩)

٣) معجم البلدان طبعة ليبزك ١ : ٤٥٨

٤) مراصد الاطلاع صفحة ١١٥

الفصل الرابع

اعلام قرهقوش الماملون

أنجبت قرهقوش رجالا أعلاما امتازوا بالعلم والعمل والنقل والتأليف خلفوا آثاراً جليلة وأدوا خدمات صادقة لبلادهم في حقل الدين والأدب والعمران نخلد التاريخ ذكرهم نذكر منهم على سبيل المثال :

الراهب اشعيا الذي رحل الى دير الجدلية باورشليم في حي باب العمود عام ١١٧٣م (١) . والشماس برصوما بن عيسى الخطاط المشهور ١١٧٥ (٢) . والربان باخوس الطواف في دير النساك بالرها ثم في الاسقيط سنة ١٢٥٧ ، وتميز هذا الراهب بفني النقش والتصوير فضلا عن حسن الخط . ونجد بخطه انجيلا مصوراً في الخزانة القدسية وانجيلا في باريس (٣) . والكاتب الشاعر كوركيس المترهب بدير مار ميخائيل على ضفة دجلة سنة ١٢٢٥ (٤) . وايونيس يوحنا مطران بانوهدرا (دهوك) سنة ١٢٨٤ (٥). والراهب يوحنا في القرن الثالث عشر (٦) . والمطران ايونيس يوحنا بن عبد المسيح نائب كرسي دير مار بهنام ١٦٢٥ . والمفريان يلدا ١٦٨٥ . والاسقف هداية الله شمو ١٦٩٣ . والمطران ايونيس كارس ١٧٤٧ . وغيرهم كثيرون .

الفصل الخامس

آثار قرهقوش العلمية : المكتبة

كان في قرهقوش مكتبة عامرة بمصاحفها وزاخرة بالمؤلفات الثمينة ، غيران

---

١) اللؤلؤ المنثور صفحة ٤٩٠

٢) فهرس مكتبة لندن صفحة ٢٧٤

٣) فهرس مكتبة باريس رقم ٢٨٩ ومجلة الشرق المسيحي الفرنسية سنة ١٩١١ صفحة ٢٧٣

٤) فهرس مكتبة برلين صفحة ٦٧١ عدد ٢٠٢

٥) ذخيرة الاذهان ٢ : ٦٤

٦) فهرس مكتبة لندن صفحة ١٠٨٠

أيدي الحدثان تلاعبت بها فذهب معظمها إما ضياعا او اختلاساً او تلفاً. ومنها ما كان ضحية جهل أهل القرية فأحرق او ألقي في بئر (١) ولم يسلم منها غير نحو ثمانين مخطوطاً هي اليوم محفوظة في مكتبة كنيسة الطاهرة في هذه القرية وهي لا تخلو من أهمية لما تحويه في هوامشها من فوائد تنص على قدم هذه القرية وأهميتها التاريخية وقد وصفنا بعضها عند كلامنا عن مكتبة دير مار بهنام، وها اننا نأتي على ذكر غيرها في هذه الصحة تتمة للفائدة وخدمة للعلم.

١- من ذلك مخطوط ينطوي على فرض الصوم جاء فيه ص ٤٠ و ٨٧ ما ترجمته: «كتبه شمعون البرطلي القسيس(٢) خادم بيعة التكريتيين، وهي بيعة القديسين شموني... في قرية فيوز.» وفي ص ١٥٢ ورد ما تعريبه: «هذا الكتاب لبيعة القديسة شموني واولادها السبعة الشهداء.»

٢- وفي هذه الخزانة مخطوط آخر، ورد في الصفحة ٣٩ ما ترجمته: «كتبه الفقير شمعون اجابة الى رغبة العلامة المبجل والفقيه البارع الراهب ميخائيل الملفان المؤرخ.» وفي الصفحة ٨٨ ما تعريبه: «كتبه شمعون بن يوحنا بن مرقس، بايعاز من الملفان المسكوني الربان ميخائيل المؤرخ والرئيس برصوما.»

٣- ومن محتويات هذه الخزانة مجلد يتضمن فرض صوم نينوى ورد في الصفحة ٦٩ ما ترجمته: «كتبه يوسف بن خميس (٣) لكنيسة مار كوركيس في باخديدا سنة ١٥٨١ يونانية ١٢٧٠م.»

٤- تحوي هذه الخزانة مخطوطا آخر يشتمل على فرض اعياد الدنح جاء فيه الصفحة ١٢٠ ما تعريبه: «تم على يد عبد الله بن برصوم البرطلي (٤) باهتمام الشماس

---

١) عناية الرحمن صفحة ٢٦٢ و ٥٢٣

٢) القس شمعون بن القس يوحنا البرطلي عاش سنة ١٢٤٦-١٢٨٠ (اللؤلؤ المنثور صفحة ٤٩٠

٣) هو القس يوسف بن خميس السنجاري في دير الشهداء الاربعين ببرطلي سنة ١٢٦٩ (اللؤلؤ المنثور صفحة ٤٩١)

٤) عبد الله بن برصوم بن عبدة البرطلي: كان حسن الخط، رسم شماسا قبل سنة ١٢٩٦م ونسخ مصحفين من الرسامات الكهنوتية لجبرائيل مطران الجزيرة سنة ١٣٠٠ ألحقهما بنبذتين تاريخيتين ضمنهما محاربة ارغون وقازان خان الملكين المغولين توفى سنة ١٣٤٥ (اللؤلؤ المنثور ٤٩١)

ابرهيم بن عمر . » وفي الصفحة ١٩٦ : « نسخه عبد الله الحقير لكنيسة ... النجارين (١) المعروفة ببيعة البابين ، بهمة الشماس الربان ابرهيم بن المؤمن ... في مدينة الموصل . »

٥- من جملة مصاحف هذه المكتبة مخطوطان ، بقلم المفريان ديوسقورس بهنام شني الاربوي المدفون في دير مار بهنام ١٤١٧ ينطوي الأول على فرض الصيام الكبير والثاني على فرض اسبوع الآلام جاء في هذا الاخير ص ١٢ بخط مغاير للاصلي ما ترجمته « ارتقى الى الدرجة الكهنوتية سنة ١٩٦٣ يونانية ١٦٥٢م القس سابا ومعه ١٧ شماساً ، في بيعة الطاهرة ، بوضع يد البطريرك شمعون (٢) .

٦- من هذه المخطوطات ، سفر بخط سطرنجيلي جميل يحتوي على فصول من الاناجيل تتلى على مدار السنة جاء في الهامش ص ١٩٣ ، بخط رديء والحرف الكرشوني ما نصه : « لما كان ، في تاريخ ١٨٠٨ يونانية ١٤٩٧م اشتراه عبد المسيح بن اسماعيل وأوقفه على بيعة باخديدا كلها » .

٧- من مخطوطات هذه الخزانة مجلد يتضمن الصلوات الفرضية من أحد تقديس البيعة الى عيد الميلاد ، كتبه حبش بن جمعة سنة ٢٠٤٨ يونانية (١٧٣٧م) ورد في آخره بالخط الكرشوني ما ملخصه ننقله بالحرف الواحد : « سبب تحرير التاريخ ان يعلم كل من يقف على هذا الخط انه في سنة ٢٠٣٥ يونانية ١٧٢٤م صار اضطهاد بين سلطان الاروام (يريد بهم الاتراك) وشاه العجم ، فكسر الاروام العجم مرتين وقتلوا منهم

---

١) شيد هذه الكنيسة المفريان غريغوريوس يوحنا الخامس الشهير بابن العبري (١٢٢٦-١٢٨٦)

٢) هو المطران شمعون الطورعبديني الذي اغتصب البطريركية من شكر الله الاول ١٦٤٠ بيد انه في السنة الثانية عشرة من بطريركيته اعتدى عليه المطران يشوع بن قمشة الامدي فانصرف هو الى بلاد الهند وبطريقه مر بقره‌قوش وتوفي بعد سنة ١٦٥٣ فاستقرت حينئذ البطريركية بشكر الله الا ان يشوع المذكور زاحمه حتى اختلسها منه سنة ١٦٥٥ وأمسى شكر الله بمثابة مفريان حتى وفاته (الزهرة الذكية صفحة ٨٧ وانباء الزمان ٤٩)

أناس ما علم عددهم الا الله . وفي سنة ٢٠٤٤ يونانية ١٧٣٣م قام من العجم رجل اسمه طهماسب وحاصر الاروام في بغداد وقلت الذخائر وبقي رأس الغنمة بمائة وثلاثين قروش وثور بخمسماية قرش وحقة لحم بركيل (بغل) بخمس بغادي وحقة دقيق حنطة بخمستعشر عباسي وحقة دهن باربعين عباسي وحقة لحم ثور بثلث قروش زولط وحقة حب القطن بثمن عباسي ودجاجة باثني عشر عباسي وبيضة بعباسي وحمل تبن بمايتين وست عشر عباسي ... وبعد ذلك في سنة ٢٠٤٧ يونانية ١٧٣٦م الله تعالى رمى الاتفاق بين السلاطين وتصالحوا . كتبنا هذا التاريخ حتى كل من يقرأه يتعجب من المضايق التي تصير في الدنيا ويكون قلبه دائما عند الله ...»

٨- ولحبش بن جمعة مخطوط آخر (١) ينطوي على الصلوات الفرضية للاعياد السيدية نسخه سنة ٢٠٥٧ يونانية ١٧٤٦م وفيه وصف مسهب لحصار طهماسب كلي خان للموصل والنكبات التى حلت في هذه الديار .

٩ ـ وهناك مخطوط آخر يشتمل على فرض أعياد الشهداء نسخه بولس بن عبدالعزيز الحديدي من آل يعقوب الصباغ في كنيسة مار يوحنا البوسني بباخديدا سنة ٢٠٦٨ يونانية ١٧٥٧م وورد في آخره بالكرشونية ما يلي :

« في تاريخ سنة ٣٠٦٧ يونانية ١٧٥٦م انا الحقير أقول الى محبتكم شيء الذى صار في ذلك الزمان . صار نقصان المطر وصار الحصاد لكن شيئاً زهيد أناس بايديهم ملشوا الشعير . وبعد ذلك صار حر عظيم حتى ما كان أحد يطيق يقف نصف ساعة برا فقلق الناس من قلة الحنطة والشعير وكثرة الحار حتى أواخر آب ومن ذلك الوقت بقوا الناس يمشون الى الكروان ، على ولاية كوى وشهرازون وكركوك واما بزعة (خوف) كانت من البوحمدان وكثرة الناس شلحوهم ومنهم من هلكوا من الجوع والعطش والحر وكثير مات من الدواب ، وقلة التبن انجس كانت من كل شيء ، وبقوا الناس على هذا الحال يعيشون عيشاً امر من الموت حتى جاء وقت المطر سنة ٢٠٦٨ يونانية ١٧٥٧م ،

١) لهذا الكاتب ثماني مخطوطات في هذه المكتبة .

لكن تأخر . وفي صوم الميلاد ثلاث ايام في كانون الاول صار مطر وبرد عظيم وجليد الذي ما صار مثله وما بقي يصير ، حتى ان الشط قد انغلق وصار مثل الحديد ، لا سفينة تدور وكان الجسر تفلش . ومن بعد تسعة ايام بقي الناس يمشون على الماء واحد وعشرين يوما . فكان يجي كروان من الجبل او من مكان آخر ويمشي على الشط ولا يخاف ان كان محمل او فارغ ان كان بغل او جمل . وبقي البرد مقدار اربعين يوما حتى ماتوا به الغنم والبقر وباقي الحيوان والسمك عميوا . وكان ينزل آدمي على الزاب او الشط ويمسك مقدار ما كان يريد خاطره . وبقي سمك كثير حتى عافوه الناس ورحم الله على عبيده وبطل البرد وصار الناس يمشون الى الكروان ويبيعون حنطة وشعير ، الا انه كان غالي . وزنة حنطة في قرش رومي وشعير في ربعين صحاح . وجاء ربيع وما صار ربيع وصار غلا شديد وبقا طغار حنطة بثلاثين قروش رومي وشعير بعشرين وصار قحط كل شيء الذي للاكل » .

١٠- بين مخطوطات هذه الخزانة انجيل ذو حقلين سرياني وكرشوني كتبه الربان ملكا من قرية القويم بجوار ماردين في دير الناطف سنة ١٩٠٩ يونانية (١٥٩٠م) ويذكر الناسخ اسم خمسة رهبان كانوا مقيمين معه في هذا الدير . وكانت المهتمة بنساخته سيدة . امرأة ربيس درويش من قرية ابويرة من اعمال ماردين وأوقفته على بيعة الست الطاهرة مارت مريم في القرية المذكورة . وفي سنة ١٩٣٢ يونانية (١٦٢١ م) اشترى هذا الانجيل القس عيسى ابن ساعور يلدا مع جملة أهل القرية المباركة بيث خديدا بثلاثين قرشاً .

١١- ومن محتويات هذه الخزانة مجلد ينطوي على فرض الصيام الكبير ورد في ص٧٣ منه ما ترجمته : كتب بنفقة القس عبديشوع لكنيسة الاربعين شهيداً بقرية كرمليس (١) .

---

١) « كرمليس قرية من قرى الموصل شبيهة بالمدينة ... كثيرة الغلة والاهل ... وبها سوق عامر وتجار « ياقوت » كان للسريان في كرمليس جماعة ، وقد تفقد احوالها البطريرك اسماعيل (١٣٣٣-١٣٦٦) ثم زارها المفريان ابراهيم الثاني (١٣٦٥-١٣٧٩) مرتين وفى المرة الثانية سنة ١٣٦٩ كرس الميرون في كنيستها (انباء الزمان ٤٢-٤٣) وكذلك كان فيها جماعة من الارمن

الفصل السادس

من آثار هذه المكتبة في شتى الانحاء

من آثار قرهقوش العلمية مخطوطات كثيرة نفيسة منتشرة في خزائن الكتب العالمية الكبرى منها :

١- انجيل نفيس هو تحفة من تحف الفن أهداه عام ١٩٣٨ سيادة الحبر الجليل المطران قورلس جرجس دلال راعي الأبرشية الجزيل الشرف الى الحبر الاعظم بيوس الحادي عشر وهو اليوم محفوظ بكل حرص في المكتبة الواتيكانية ، وقد كتبه احد رهبان دير مار متى وهو مبارك بن صليبا بن يعقوب من قاسطرة برطلي سنة ١٥٣١ لليونان ١٢٢٠م بحروف سطرنجيلية مستبدعة وزينه باربع وخمسين صورة ملونة في غاية التأنق والاتقان .

٢- وفي مكتبة لندن مجلد جاء فيه ما تعريبه عن السريانية : « كتبه الشماس برصوما بن عيسى من قرية باخديدا بجوار الموصل سنة ١٤٨٦ لليونان ١١٧٥م في ايام ميخائل البطريرك الانطاكى ومار يوحنا مفريان تكريت ونينوى (١).

٣- وفي هذه المكتبة مخطوط آخر للقرن الثالث عشر جاء فيه ما ترجمته عن السريانية : « اخذه من المشرق الى برية الصعيد يوحنا الحديدي . » (٢)

٤- وفي مكتبة برلين سفر كتبه كوركيس الحديدي المترهب في دير مارميخائيل بجوار الموصل سنة ٦٢٢ هجرية ١٢٢٥م . (٣)

٥- وفي هذه المكتبة مخطوط ثان نسخه زكى بن يوحنا الحديدي سنة ١٦٣٧م (٤).

وأقر فيهـا الجثالقة كرسيهم في هذا العهد . وباغتت مرة هذه القرية شرذمة من العساكر التترية الغازية والسكان مجتمعون في كنيسة لفنائها مدخلان : فمن خرج من احدهما حز رأسه ومن خرج من الباب الثانى لم يلحق به ضرر وهم لا يدرون (ذخيرة الاذهان ٢ : ٨٤ و ١١٨)

١) فهرس مخطوطات مكتبة لندن ص٢٧٤

٢) فيه ايضا عدد ٩٣١ ص١٠٨٠

٣) فهرست مكتبة برلين عدد ٢٠٢ ص٦٧٢

٤) فيه ايضا عدد ١٥٤ ص٤٨٠

٦- وفي وود بروك برمنكهام بيث كاز (خزانة الالحان) يحوي بواعيث مار افرام بحسب الضبط الحديدي في سنة ١٢٩٠. (١)

٧- وفي هذه المكتبة مخطوط ثان بخط القس دنحا الحديدي عام ١٥٤٦ (٢)

٨- وفي الخزانة المرقسية القدسية انجيل مصور بقلم الربان باخوس الباخديدي الطواف في دير النساك سنة ١٢٥٧. (٣)

٩- وفي مكتبة دير مار بهنام مخطوط جاء فيه ما ترجمته عن السريانية: «تجدد بيد الشماس عبد الاحد لكنيسة والدة الله مريم في باخديدا بهمة القس يشوع بن القس اسحق سنة ١٧١٢م.

١٠- وفي المكتبة البطريركية السريانية في بيروت خمسة مجلدات من مخطوطات قره قوش وهي:

١- كتاب «مغارة الخزائن» وفيه قصة مار بهنام واخته سارة كتبه القس عيسى حوالي سنة ١٦٠٣. ٢- وكتاب «الديالوغس» من وضع الربان بطرس الغريب بقلم متي شوني. ٣- وكتاب «الاشحيم وخزائن الالحان» نسخه بولس بن عبد العزيز من عائلة الصباغ سنة ٢٠٦٩ لليونان ١٧٥٨م. ٤- وكتاب «الطب» بالعربية والسريانية كتبه ابرهيم بن القس يعقوب من اسرة بيت عطا الله سنة ٢٠٦٤ لليونان ١٧٥٣م. ٥- «ورسائل يعقوب الرهاوي» الى رهبان دير مار يسوس والرد اليها بخط الشماس فتح الله بن القس موسى. (٤)

الفصل السابع

آثار قره قوش العمرانية خارج القرية

اما في حقل العمران، فالقره قوشيون هم اولئكم النوابغ في هذه الناحية، لم

---

١) فهرست مكتبة برمنكهام رقم ٣٣١

٢) فيه ايضا رقم ٣٢١

٣) مكتبة باريس رقم ٢٨٩ واللؤلؤ المنثور ص٢٨٩

٤) فهرست مخطوطات المكتبة البطريركية السريانية في بيروت رقم ١٦٠ و ١٩٦ و ٢٥٨ و ٢٦٧ و ٢٩٣

يقصروا جهودهم عن الناحية العلمية فحسب ، بل تمدتها الى العمران ، فمن آثارهم الخالدة:

١- قلاية ، في دير الشيخ متى ، تعرف بقلاية ابن العبري الصفي برصوما ١٣٠٨م نقرها في الصخر نقراً عجيباً ، الراهب منصور الحديدي كما تنبىء بذلك كتابة سطرنجيلية منقورة .

٢- وهذه آثار دير مار بهنام الرائعة التي تشهد بسمو النبوغ وسلامـة الذوق فهي من مآتي القرهقوشيين اللامعة وآثارهم الخالدة .

٣- دير مار يوحنا الديلمي المعروف بموقورتايا وسنأتي على وصفه .

٤- دير مار قرياقوس : وفي الجهة الشرقية من قرهقوش ، على بعد نحـو ميل عنها بقايا دير يدعى دير مار قرياقوس ، كان منقـوراً في ارض صخرية لا تزال فيـه اليوم قبة قائمة من قببه المنقورة وبعض ممرات ، وقد ضاعت عنا اخبار هـذا الدير ولم تبق لنا صروف الدهر من المصادر التاريخية التي تنوه عنه غير مخطوط واحد هو اليوم مصون في مكتبة مار كوركيس في قرهقوش ورد في آخره ما تعريبه: « كمل هذا كتاب النوافير يوم السبت الواقع في ستة نيسان ٢٠٣٩ لليونان ١٧٢٨م في عهد مار اغناطيوس شكر الله ومار ايونيس كارس مطران قرية بيث خديدا كتبه الراهب كوركيس بن جمعة في بيعة مارت شموني وسبعة بنيها واعازر معلمهم لبيعة مار قرياقـوس في قاسطرة بيث خديدا المباركة من اعمال الموصل » .

الفصل الثامن

آثار قرهقوش العمرانية في القرية نفسها

لم تكن قرهقوش في القديم كما هي اليـوم بل كانت اوسع مساحة واكثر سكانا تدل على ذلك الآثار الكثيرة المنتشرة في ضواحيها ، غير ان الاوبئة عاكستها ونكبات عديدة حلت بها ، من ذلك ، الجدب والجراد والنهب والقتل لا سبيل لذكر ذلك لضيق المقام في هذه اللمحة .

ومع ذلك فان قرەقوش صمدت حية لم تهزمها النكبات المتوالية بل ان سكانها الباقون ساروا على خطوات أسلافهم فواصلوا على جلب الحجر والجص من مسافات بعيدة على العجلات والخيل والبغال ، وشيدوا منازلهم ، من طبقتين او ثلاث وأنشأوا في الطبقة السفلى منها مئات الأنابير لحفظ الذخيرة ، شيدت هذه من حجر الصوان والجص وطليت بالقير حفظاً للذخيرة من الرطوبة والتلف . كما وان في القرية آباراً لا تحصى بذلت المساعي العظيمة في حفرها وتعميرها . وقبل نحو عشر سنوات انشأت الحكومة الموقرة في هذه القرية بئراً ارتوازية لا تزال مسدودة حتى اليوم .

وفي قرەقوش اليوم ، آثار رائعة وذكريات تاريخيـة حلوة ، اذ تحيط بها ثماني كنائس قديمة جداً ، تربض حولها كامنع الحصون . ابتنى القرەقوشيون هذه الكنائس العديدة بغاية الاتقان وانفقوا في سبيلها أموالا وافرة وجهوداً جبارة ، يقضون فيها الشعائر الدينية والفروض الطقسية . وقد تعهدها فريق من السياح والمستشرقين وعلماء آثار وتصدى لذكرها غير واحد منهم .

اما الكنائس فهذه اسماؤها :

في الشمال كنيسة الطاهرة القديمة والجديدة وبيعة مار يعقوب المقطع ، وفي الشرق كنيسة مار يوحنا المعمذان ، وفي الجنوب كنيسة مار كوركيس ، وفي الغرب كنيسة القديسة شموني وكنيسة سرجيس وباكوس وكنيسة مار زينا .

الفصل التاسع

تاريخ بناء هذه الكنائس

ليثق قراؤنا الكرام ، اننا لو بحثنا في تاريخ بناء هذه الكنائس وفي انهـا مثاوي لأحبار عظام وأعلام كرام ، منذ مئات السنين ، لاقتضى مجلدات ضخمة . وهـذه الكتابات المنحوتة على رخامات ابوابها وجدرانها خير ناطق صـدق على ما نقول ، ولهذا نقتضب بصورة لن ندع للاسهاب فيها مجالا .

-١-

كنيسة الطاهرة القديمة

ان هذه الكنيسة هي من أقدم كنائس قرهقوش وأجلها مقاما ، اذ كانت حتى العهد الأخير مركزاً لاجتماع الشعب يقيمون فيها الحفلات الدينية . يرتقي عهد بنائها الى اوائل دخول النصرانية في هذه القرية ، ويؤيد قدامة عهدها مخطوطات عديدة قديمة محفوظة في خزانة كتبها ، كتبت منذ أعماق القرون الخوالي على اسمها او أوقفت عليها .

وفي هذه الكنيسة توفي المفريان يوحنا الرابع سنة ١١٨٩م كما أسلفنا ، وفيها ايضاً توفي المفريان ديوسقوروس بهنام شتي الاربوي عام ١٤١٧ م ، وكذلك فيها حلت وفاة المفريان باسيليوس عزيز في ١٠ ايلول ١٤٨٧م (١) .

وأصابتها كارثة سنة ١٥٠٨ حيث سلبت جميع كنوزها (٢) ثم أحرقها طهماسب كولي خان الطاغية عام ١٧٤٢ ورممت المرة الأخيرة سنة ١٧٤٥ وهى لا تزال قائمة حتى اليوم (٣) .

-٢-

كنيسة الطاهرة الجديدة الكبرى

وضع الحجر الاول لهذه الكنيسة سيادة راعي الابرشية المطران قورلس جرجس دلال الهمام السامي الشرف في ٢١ آب ١٩٣٢ ، وكان اقبال افراد السكان رجالا ونساء في ذلك النهار الى التبرع لانشائها منظراً جميلا مؤثراً نادر المثال ، تجلت فيه حمية القرهقوشيين المشهورة وغيرتهم .

١) لوحة رخام في مدفن الاباء في هذه الكنيسة .

٢) مخطوط قديم في خزانة كتب دير مار بهنام الخطية .

٣) طالع عن هذه الكنيسة مخطوطات خزانتها .

ومن ثم انكبوا الى العمل المجدي، فبذلوا جهود الجبابرة وتجشموا اتعابا مضنكة وتحملوا تضحيات فائقة لانشاء هذه الكنيسة ، بغية ان يجعلوها من افخر البنايات واقواها على الأيام مخلدين بها ذكرهم ، واستمروا على هذه الجهود الحثيثة مدة ستة عشر عاما ، فشيدوا جدرانها من الداخل والخارج بحلان صقيل على ارتفاع خمسة او ستة امتار ، استجلبوه من مسافات بعيدة ، كما وقد استجلبوا لها سرايا مرمر ضخمة ، وشووا لها مئات الالوف من الآجر لتسقيفها ورصفوا ارضها بالرخام . فجاءت هذه الكنيسة آية في الجمال ومثالا حيا للعظمة والجلال ، اذ هي اعظم كنائس العراق مساحة ومن اجلها هندسة واتقنها بناء واجلها قدراً ، تحوت كل ما من شأنه ان يجلو الخواطر ويحرك النفس الى العبادة ويدعو الانسان الى الخشوع ، وقلما يخرج الزائر منها ولا يملل النفس بالرجوع اليها .

وهذه الكنيسة تتألف من ثلاث اسواق فسيحة يبلغ طولها نحو ٥٤ متراً بعرض ٢٤ متراً يتوسطها صفان من السرايا ، تحمل اقواسا شاهقة ، تعلوها ثلاث عقادات بيضاوية مستطيلة شامخة . في ناحيتها الشرقية ، قبة رشيقة ، تحيط بها نوافذ كثيرة احاطة السوار بالمعصم ، ينفذ منها نور لطيف . وتحت هذه القبة مظلة رخامية تسندها اربعة اعمدة وفي اسفلها المذبح الرخامي المهيب. ولهذه الكنيسة واجهة رائعة مهيبة وبعبارة واحدة لقد جاءت هذه الكنيسة تحفة ثمينة وزينة وفخراً لهذه الديار .

وكان تدشينها صباح الاحد في ٧ تشرين الثاني ١٩٤٨ باحتفال رائع عظيم قام بمراسيمه سيادة الحبر الجليل مار قورلس جرجس دلال رئيس ابرشية الموصل على السريان السامي الشرف (١) وقد حضره من بغداد نيافة القاصد الرسولي في العراق السيد

---

١) + بينما هذا المقال ماثل للطبع ، نعت الينا برقية من بيروت هذا الحبر النبيل البار . انطفأ سراج حياته الوهاج بعدما عاش عيشة مزدانة بالخلال الوسيمة والاخلاق الكريمة حافلة بالمساعي الحميدة والاعمال المجيدة تاركا وراءه في كل مرحلة من مراحل حياته الثمينة مآثر جمة وحسنات شتى يضيق بنا الذرع عن استيعابها في هذه السطور . ومما اشتهر به رحمه الله ، حبه الفائق لمار بهنام المعظم . فقد أحب هذا القديس بشغف ، فكان قطب افكاره وموضوع احاديثه داعياً اياه ابن الوطن وجندي العذراء واليه عهد في حماية ابرشيته ، وكذلك أحب ديره بكل جوارحه واليه يعود الفضل الاوفى في توسيع بنائه وتعزيز اوقافه وامتداد شهرته في الافاق ، وكان جل مناه ان يرقد رقدته الاخيرة في

اسطيفان دوشيلا الكلي النيافة والسادة الاجلاء المطران اسطيفان كجو النائب البطريركي على طائفة الكلدان بالموصل ومار يوحنا نيسان مطران زاخو ومار روفائيل ربان مطران العمادية الجزيلو الشرف وممثلو حكومتنا المحلية الموقرة ورهط كبير من كهنة تلكيف وكرمليس وبرطلة والموصل وجمهور غفير من الشعب الموصلي والقرى المجاورة ، فكان ذلك النهار يوما مشهوداً .

- ٣ -

كنيسة مار يعقوب المقطع

تقع هذه الكنيسة شمالي القرية وهي من أقدم كنائس قرەقوش وكانت أصغرها وتعرف ايضا بكنيسة مار اندراوس . جاء عنها في مخطوط مصون في مكتبة كنيسة الطاهرة ما تعريبه عن السريانية « نسخ هذا الكتاب الشماس بولس بن عبد العزيز من آل الصباغ في دير مار اندراوس الواقع في ناحية القرية الشمالية عام ١٧٥٠ ، وهي أول كنيسة استولى عليها السريان الكاثوليك حوالي سنة ١٧٧٠ (١) » .

كانت عساكر طهماسب قد دمرت هذه الكنيسة وجددت عام ١٧٤٤ في آن واحد مع سواها من الكنائس التي جار عليها هذا الطاغية . ثم قوضت في اواخر القرن الماضي من اركانها وجددت بعد توسيعها . وفي فنائها اليوم مدرسة ابتدائية أهلية للبنات تديرها الراهبات الكاترينات الوطنيات .

- ٤ -

كنيسة مار يوحنا المعمذان

تقع هذه الكنيسة شرقي القرية وهي من اكبر كنائس قرەقوش وقديمة العهد

ظلاله ، حقق الرب هذه الامنية . خسرت ابرشية الموصل بفقده حبراً فاضلا كبيراً وأبا همـاما غيورا فلما اصطنع حبر ما اصطنع عند ابنائه من الحسنات والمبرات . اجل يقر له جميع ابنائه بتفانيه في خدمتهم ومساعيه في تعزيز مقامهم ، فقد كان لهم عماداً راسخا متينا ولمن قصده في النائبات مـلاذاً ونصيرا . فقد اوفى خدمته على الوجه الاكمل وستبقى آثار فضيلته وفضله ووطنيته خالدة على كرور الاعصار .

١) عناية الرحمن ص ٢١٩ــ٢٢٠

كرفيقاتها . فقد جاء ذكرها في عدة مخطوطات مصونة في خزانة الطاهرة أهديت لها او كتبت على نفقتها . وكانت تعرف قديما بدير مار يوحنا البوسني بدليل ما جاء في مخطوط كتبه القس حبش بن جمعة سنة ١٧٤٨م على نفقتها وفيه يدعوها بهذا الاسم ثم ينسبها هذا الكاتب الى مار يوحنا صاحب الانجيل بمخطوط آخر يتضمن فصولا من الاناجيل تتلى على مدار السنة نسخه كذلك عام ١٧٤٨ . وورد في هذا المخطوط انه كان في قرەقوش يومئذ ٢١ كاهنا و ٨٠ شماسا ، بينما الناسخ يشوع بن كوركيس ينسبها في مخطوط نسخه سنة ١٧٥٧م الى مار يوحنا المعمذان وتعرف كذلك اليوم .

نقضت هذه الكنيسة كلها ووضع أول حجر في أساسها بعد توسيعها سنة ١٨٩٢ وكان ختامها في اليوم الثاني من تشرين الأول سنة ١٩٠٩ باحتفال مهيب .

— ٥ —

كنيسة مار كوركيس

تقع هذه الكنيسة جنوبي القرية وتعد من أقدم كنائسها . فقد ورد في ص ٦٩ من مخطوط قديم محفوظ في مكتبة الطاهرة يحوي الصلوات الفرضية لصوم نينوى ما ترجمته : تمت هذه الرتبة على يد يوسف بن خميس (١) لكنيسة مار كوركيس في باخديدا سنة ١٥٨١ يونانية ١٢٧٠م . وجددت للمرة الاخيرة في سنة ١٨٦٦ .

وهذه الكنيسة غنية بالواح رخام أثرية منها لوحة كبيرة نقش عليها الحميد الاثار المطران ايونيس كارس تاريخ حفر بئر واسعة لشرب سكان القرية على نفقة دير مار بهنام سنة ١٧٣٩م . وفيها تاريخ آخر جاء فيه انه داهم قرەقوش سنة ١٧٧٢ وباء هائل ذهب ضحيته أربعة آلاف نسمة منها اثنان وخمسون كاهنا وشماسا .

وفي هذه الكنيسة دون سواها من كنائس قرەقوش موضع يسمى « بيت الشهداء » (بيت سهدي) يقوم حسبما كان يقتضيه نظام الكنائس الشرقية القديمة عن يمين قدس

١) القس يوسف بن خميس السنجاري في دير الشهداء الاربعين ببرطلي ١٢٦٩ (اللؤلؤ المنثور ص ٤٩)

الاقداس وفيه مذبح وهو أول ما أعطي للسريان المتكثلكين في كنائس القرية ليقيموا فيه الشواعر الدينية حوالي سنة ١٧٦٨ (١) .

-٦-

كنيسة القديسة شموني

كنيسة صغيرة فوق ربوة غربي القرية لكنها قديمة ومشهورة اذ يحج اليها كل سنة خلق عظيم من الموصل وقراها فى عيدها الواقع في ٢٨ تشرين الأول . يرتقى عهد بنائها الى فجر دخول النصرانية في قرەقوش وجددت سنة ٢٠٨٠ يونانية ١٧٦٩م (٢) .

-٧-

كنيسة الشهيدين سرجيس وباكوس

أول كنيسة بنيت في قرەقوش هي هذه وطد دعائمها يوحنا الديلمي فى القرن السابع للميلاد وكانت قائمة في عام ١٥٨٢ اذ نجد فى خزانة كنيسة الطاهرة مجلداً مكتوبا على اسمها ينطوي على الفرض القانوني من أحد تقديس البيعة حتى الصوم الكبير نسخه كوركيس بن جمعه سنة ١٨٩٣ يونانية (١٥٨٢م) وفي سنة ١٧٤٢ دمرها طهماسب وتجددت بعد عامين بدليل ما نقش على أبوابها بالسريانية من ذلك ما ترجمته :

« أقام الشعب الحديدي هذه البيعة الجميلة ، فى السنة التي غزا فيها الفرس هذه البلاد وأحرقوا القرى والدساكر والحنطة والشعير . وفي هذه السنة حدثت مجاعة بحيث ان الأقة من الشعير صارت بسبع « بارات » ، وفي هذه السنة ايضا تفشى وباء هائل ولما شرعوا بالبناء زال الوباء » .

« ايها الاله الرحيم ، امنحني القوة أنا الضعيف لأصف بحذق اعمال المغبوط مار ايونيس . ففى سنة ٢٠٥٥ يونانية (١٧٤٤م) في الصوم الأربعيني ، نهض الأب الهمام ،

---

١) عناية الرحمن ص ٢١٩

٢) كتابة سطرنجيلية منقوشة على باب مذبح هذه الكنيسة .

فخرض الحديديين المؤمنين وحملهم بغيرته وهمته ان يبنوا كنيسة سرجيس وباكوس » .

« قام بالبناء مار ايونيس رئيس القرية ، كما قد بنى في سنة واحدة كنيستي مار يعقوب ومار زينا . واكمل الحديديون هذا العمل ، في هذه الأيام العصيبة والضيقات الشديدة ، بعد ان عاد الفرس الى بلادهم . فسبوا قرى المسيحيين وحاصروا الموصل عدة اشهر ، وحدثت هذه الكارثة في عهد مار ايونيس راعي دير مار بهنام الجليل الذي هو كارس الحديدي » .

« وقد أشار هذا الأب الهمام الى الحديديين ، كباراً وصغاراً ، ان يحملوا الغلال ، وبعد ان دخل الرجال الموصل حاملين ارزاقا كثيرة ومعهم ايضا النساء والصبيان أدركهم الفرس ونكلوا بهم » .

-٨-

كنيسة مار زينا

كذلك هذه كنيسة قديمة تضاهي في هندستها الكنائس الراقية الى القرون الوسطى . جاء في مخطوط سرياني قديم ما تعريبه :

« كتبه القس يعقوب بن ايليا بن هرمز من القرية المباركة خديدا ببلد الموصل ، بايام البطريرك اغناطيوس داود شاه والمفريان باسيليوس فيلاطس سنة ١٩٠٠ يونانية (١٥٨٩م) في دير الشيخ متى بجبل الفاف وأهداه الى كنيسة مار زينا التي بنيت في تلك السنة بعدما كانت متروكة خربة منذ زمن طويل بهمة المفريان المذكور ورئيس دير مار بهنام الشهيد الراهب باكوس الحديدي بمساعدة اهالي القرية وصرفوا عليها مبالغ عظيمة » .

وقد أنزلت جيوش طهماسب اضراراً فادحة في هذه الكنيسة ، فجدد بناءها الطيب الذكر المطران كارس عام ١٧٤٤ ولا تزال قائمة حتى اليوم ، وفيها روضة للبنين تحوي ما ينيف على مائة تلميذ .

الفصل العاشر

انضمام قره قوش الى الكثلكة

ظهرت الكثلكة في قره قوش في نواحي سنة ١٧٦١ بهمة ثلاثة رجال يقال لهم عيسى بن حبيب عطا الله ، والمقدسي موسى ، والمقدسي عبد الله ، الذين كانوا اول من قال «انا كاثوليكي» في القرية المذكورة . وبعد زمن قليل ، اقتفى آثارهم ستة آخرون وهم عبدال زومايا وبطرس اخوه وبولس بن القس متي بابا وحوتن بن نيسان هدايا ومتي بن المقدسي عيسى وحنو بن القس عمانوئيل . ثم انتمى اليهم القس يوحنا الكاتب واخذ يرشد الناس في ساحة القرية ، فوشي به ، فسجن وسيم العذاب ، فحرك الله قلب ثلاث نساء وهن مريم ومصري وشوشان فافتدينه باموالهن والتمسن من الحاكم ان يعطيه محلا يصلي به ، فلبى طلبهن وامر ان يعطى مذبحا في بيعة مار كوركيس ، الواقعة في طريق دير مار بهنام الشهيد ، فاتخذ ذلك المحل وسيلة لتلقين الشعب . وبعد سنة ونصف وشي به ثانية ، فجلد حتى تهشم جسمه ، فبذلت المحسنات الموما اليهن الاموال الطائلة في سبيل انقاذه ، واعطي كنيسة مار يعقوب القطع وكانت مهجورة . فنسي اوجاعه وطفق يرشد الناس بحرية وغيرة فاثمرت جهوده وبلغ عدد الاسر المنتمية اليه السبعين . وفي غضون سنة ١٧٧٢م داهم القرية وباء أهلك من سكانها اربعة آلاف نسمة من جملتهم ثلاثة عشر كاهنا بينهم القس يوحنا المذكور . فاستتر المتكثلكون خوفا الى ان انضم اليهم القس عبد المسيح فتوتة وحذا حذوه كثيرون .

وفي اواخر نيسان ١٧٧٨ التحق بهم القس افريم مسيحو وتبعه ما ينيف على مائتي عائلة ، ثم انحاز اليهم كثيرون آخرون مع كاهنين وهما القس ابرهيم والقس افريم اسو حتى انه في مدة وجيزة اضحى ثلثا القرية كاثوليك . وفي ٩ تشرين الثاني من هذه السنة انتمى اليهم القس عيسى حبيب عطا الله مع ثلاثين عائلة . ولما ضاقت بهم كنيسة مار يعقوب استولوا على كنيسة مار يوحنا القديمة ولم يلاقوا مقاومة لان شعب هذه الخورنة ، كانوا قد تكثلكوا جميعا ، ثم امتدوا الى كنيسة مريم الطاهرة والى كنيسة

مار زينا وذلك سنة ١٧٧٩ . وما كان عيد دخول السيد المسيح الى الهيكل في سنة ١٧٩٠ حتى اتحدت القلوب وانضم الباقون الى الكنيسة الجامعة ما عدا اسرة واحدة ظلت متمسكة بمعتقدها القديم .(١)

الفصل الحادى عشر

أهمية قرهقوش الاقتصادية

لقرهقوش أهمية اقتصادية ذات شأن في هذه الديار لوقوعها في وسط السهول المنبسطة ، بين الدجلة والزاب الكبير الآهلة بالسكان والعامرة بالقرى العديدة التى تحيط بها احاطة الهالة بالقمر . وتعتبر هذه البقعة من أهم بقاع لواء الموصل عمرانا وانتاجا ، نظراً لما تدره على البلاد من الخيرات الوفيرة والغلال الكثيرة .

أما دأب القرهقوشيين ففلاحة الارض وتربية الحيوانات الداجنة وبينهم كثيرون يزاولون المهن الحرة المختلفة ليقوموا بأود عيشهم ويحصلوا منها كفافهم .

ان القرهقوشي هو قبل كل شيء مزارع وفلاح ، يقدم على حراثة ارضه باخلاص وصدق . يعتني بتربتها اعتناءه بأعز شيء لديه ، لانه يعلم انها سبب حياته ومورد رزقه ، لذلك كانت غلات ارضه كثيرة وخيراتها وفيرة منذ قديم الاجيال ، الى يومنا هذا .

هذا مع العلم ، ان هذه الاراضي ليست صالحة كلها للزراعة ، ولكن شغف القرهقوشيين الزائد بالأرض ، ونشاطهم المشهور ، ومثابرتهم الحثيثة ، وكدهم المتواصل وخدماتهم للارض بحرثها الجيد وتسميدها المستمر، كل هذه جعلت من اراضي قرهقوش اراضي فذة .

لقرهقوش اراضي زراعية واسعة يبلغ قطرها نحو اثنى عشر كيلومتراً ونظراً الى

---

١) طالع السلاسل التاريخية ص١٣٤ وعناية الرحمن ١٨٤-١٨٥و ٢١٨-٢٢١ و ٢٢٦ و ٢٤٠ -٢٤١ و ٢٥١-٢٥٢ و ٢٥٤-٢٥٥ و ٢٦١-٢٦٢ و ٣٤٠ - ٣٤٣ و ٣٤٥ و ٣٥٦ و ٣٥٨ -٣٥٩ و ٣٦٣-٣٦٤ و ٣٧٣-٣٧٤ و ٣٩٤ و ٤٠٤-٤٠٦ ونشرة الاحد سنة ١٩٣٥ص٤٦٦ -٤٧٠ و ٥٠٥-٥١٠ و ٥٢١-٥٢٨ و ٥٥٣-٥٥٩

نحو سكانها اصبحت هذه المساحة قليلة بالنسبة اليهم .

ثم ان القرهقوشي يعز عليه ان يبرح مسقط رأسه ويغادر وطنه الذى يفتديه بالمهجة والروح، لأن فيه تاريخه وذكرياته وجهوده . لذلك لم يسبق لقرهقوشي في جميع الأدوار ، ان باع شبراً أرضاً لغير قرهقوشي ، فهو يحرص عليها حرصه على أقدس وأعز شيء لديه ، لأسباب منها انه يقتات وعائلته منها ، كما وانه يؤدي جليل الخدم لبلاده وأمته ، لان ما تدرأ اراضي قرهقوش اليوم من مختلف الحبوب كثير والذي يفيض على حاجات الاهلين يرسل الى الاسواق لينتفع به الاهلون والبلاد .

٢ـ للقرهقوشي نظر بعيد :

ان الكثيرين من سكان قرهقوش يملكون أهراء وأنابير في الطبقة السفلى من دورهم ، مبنية بحجارة من الصوان والجص ومطلية بالقير لحفظ ما يتبقى من الغلة ، منعاً من التلف وحفظاً له من كل آفة او عارض طبيعي، وتبقى الحبوب سالمة في هذه الانابير عدة سنوات .

عرف القرهقوشيون منذ قديم الزمان بحبهم للذخيرة ، لذلك تراهم يخزنون مؤناً اسنتين او ثلاث ، ولا يخفى ما في هذا من بعد نظر وفائدة للبلاد .

ان القرهقوشي ، في خزنه الغلة ، لا يحتفظ بها لنفسه كما يفعل الانتهازيون الجشعون ، بل انه يكنزها لوقت الحاجة والضيق ، يقاسم بها سكان القرى المجاورة ، والمحيطة بقرهقوش ، كذلك يقدم منها الى اسواق المدينة .

٣ـ القرهقوشي وتربية المواشى :

ان للقرهقوشيين اليد الطولى في تربية الماشية . فيها ما ينيف على ثلاثين الف غنمة ترتع في أراضيها وتدر على البلاد خيراتها الفائضة من سمن ولحم وجبن وصوف .

٤ـ القرهقوشي والصناعة

أجل ان القرهقوشي هو رجل جد وعمل وانه لا يقصر جهوده على حرث الأرض واستغلالها ، بل انه بالأضافة الى هذه ، فانه اذا فرغ من عمله ، انصرف الى مزاولة حرفة اخرى كالحياكة والنجارة وصنع الفراء واللباد .

وفي قره‌قوش اليوم معامل كثيرة يدوية تعمل بجد اثناء الليل وأطراف النهار ، لسد حاجات البلاد ، من هذه الناحية . وأنت ترى أسواقها غاصة بمختلف سكان القرى المحيطة بها والقريبة والبعيدة عنها قدموا لبيع ما عندهم وابتياع ما يحتاجون اليه .

٥- وينبغي ان لا يغرب عن البال ، ان الفائدة التي تجنيها خزينة البلاد من قره‌قوش كبيرة وكبيرة جداً بالنسبة الى غيرها من المراكز الهامة . فهي تقدم للخزينة ما ينيف على خمسة عشر الف دينار ، وهذه سجلات الاستهلاك وسائر الرسوم خير شاهد على ما نقول .

٦- قره‌قوش وخدمة العلم :

وهناك خدمة جليلة اخرى يقدمها القره‌قوشيون للبلاد والوطن العزيز من ناحية الجندية ، اذ تقدم سنويا ما ينيف على مائة شاب لخدمة العلم والدفاع عن الوطن . ولما كان القره‌قوشي بفطرته مولعاً بالعمل في داره وحقله فانه يقدم (البدل القانوني للجندي المكلف) ، فالخزينة تحصل على ما ينيف على الخمسة آلاف دينار سنويا من هذه البدلات . فيكون مجموع ما تقدمه قره‌قوش للخزينة نيفاً وعشرين الف دينار سنويا .

هذه بعض الخدمات التي تؤديها قره‌قوش للوطن وللبلاد ، ولو أردنا ان نستفيض في الموضوع لطال البحث لذلك اقتصرنا على جزء منه .

الفصل الثاني عشر

مركز قره‌قوش الاجتماعي

ظلت قره‌قوش نيفاً وعشرين سنة ، مركز ناحية واسعة ، الا انها نقلت اخيراً الى برطلة تسهيلا للمواصلات والمخابرات الرسمية ، بعد انشاء الطريق الجديد بين الموصل واربيل .

وفي قره‌قوش اليوم مركز شرطة ، وفيها دائرة استهلاك وبلدية ، يقدر دخلها السنوي بما يقرب من ثلاثة آلاف دينار . ينفق هذا المبلغ على اجراء تنظيفات في القرية

وانارتها ودفع رواتب الحراس .

الفصل الثالث عشر

حركة قرەقوش الثقافية

في قرەقوش اليوم ، مدرستان للبنين والبنات . اما مدرسة البنين فهي مدرسة أميرية ابتدائية كاملة تتكون من اربع عشرة شعبة عدد طلابها حوالي ٦٠٠ دارساً . وتقوم بجانبها روضة أهلية ينيف عدد طلابها على المائة تلميذ . كما وان في القرية ارسالية للراهبات الكاترينات الوطنيات يدرن مدرسة للبنات ، عدد طالباتها نحو ٢٠٠ تلميذة ، ولهن روضة تحوي ما يزيد على مائة وثلاثين طالبة . فيكون عدد طلاب هذه المدارس نيفاً و ٩٥٠ طالباً وطالبة ، وهو عدد قليل بالنسبة الى عدد سكان القرية . والسبب في ذلك كما ان الداعي لقلة الموظفين المتخرجين من قرەقوش ، هو اقبال القرەقوشيين على الزراعة وتربية الماشية ، وحبهم الى مزاولة المهن الحرة . ولهذا قل بينهم من يواصل الدروس ، بعد حصوله على الشهادة المدرسية الابتدائية .

هذه بالايجاز بعض اخبار قرەقوش في الماضي والحاضر ، عسى انها تفوز بالحظوى لدى كتبة التاريخ ومحبي الاطلاع على اخبار سكان هذه الاصقاع .

الفصل الرابع عشر

آثار دير مار يوحنا الديلمي المعروف « بموقورتايا »

يبعد هذا الدير عن شمالي قرەقوش مسافة نحو نصف ساعة . بعد ان ينتهي المرء من زيارة كنيسة قرەقوش الجديدة وآثارها التاريخية الاخرى ، يواصل مسيره الى قرية برطلي ، والطريق المؤدي اليها يمر بدير ناقورتايا والاصح « موقورتايا » ، وهي لفظة سريانية مركبة من كلمتين معناها (القرية) الموقرة ياي (صنم) ، ويعرف هذا الدير كذلك « بدير مار يوحنا الديلمي » او « بدير السريان » نسبة الى صاحبه يوحنا الديلمي .

اما ملخص حياة يوحنا المذكور فقد جاء عنه في مخطوط كرشوني قديم في مكتبة دير مار بهنام الخطية انه بينما كان متعبداً في خلوة قانتاً في جبل يقع في الجانب الايسر من الزاب الكبير سيق بالسبي الى بلاد الديلم ولهذا عرف بالديلمي، ثم اخلي سبيله فاخذ يطوف البلاد مبشرا اهلها بالمسيح ، حتى أتى قرية «مام» او «باخديدا» فنصر أهلها وشاد في ظاهرها هذا الدير وتفرغ فيه للزهد والعبادة . فتتلمذ له كثير من الرهبان وفيه توفي في أواخر القرن السابع للميلاد فعرف باسمه ايضا ، وهو اليوم خرب ، فقد تصدعت اركانه وتداعت حيطانه وسقط جانب منه، لكن اطلال كنيسته لم تزل راسخة القدم ويشاهد في جدرانها امكنة رخامات كانت مثبتة فيها وقد نزعتها يد خبيثة. وعلى جانب هذا الدير الشرقي تل أثري كانت تنزل مياهه بقناة اصطناعية الى صهريج في وسط فناء الدير (١) .

وقد ورد ذكر هذا الدير في تاريخ ابن العبري المدني ص ٥١٦ قال : « في السنة ١٢٦١ هجم الأكراد على الموصل وأطرافها وفتكوا بعدد وافر من النصارى واستولوا على دير الراهبات في بيت خديدا وأجروا فيها مذبحة عظيمة » .

وفي مكتبة قرهقوش اليوم مخطوطات كانت تختص بهذا الدير ، أقدمها عهداً مخطوط يتضمن صلوات اسبوع القيامة جاء في الصفحتين ٢٦١ و ٢٦٩ منه ما ترجمته : « كتبه في دير مار بهنام الربان خوشابا بن هرمز الخديدي لدير مار يوحنا الديلمي بجوار باخديدا بهمة الكاهن عبد الدائم سنة ١٨٧٨ يونانية ١٥٦٧م » .

وورد في مخطوط آخر يحوي فرض الصوم ما تعريبه : « كتبه يوسف بن جمال الدين الخديدي في دير مار يوحنا الديلمي المدعو نقورتاياه سنة ١٨٨٦ يونانية ١٥٧٥ م على نفقة الراهب يوسف واخته الراهبة سيدة اللذين وهباه لهذا الدير » .

وجاء في مخطوط آخر يشتمل على فرض اعياد العماد كتبه سنة ٢٠٢٩ يونانية ١٧١٨م القس يلدا بن اسحق من قبيلة بيت جهنشا ما تعريبه : « اشترى هذا الكتاب

---

١) طالع مجلة نشرة الاحد المجلد الخامس عشر ص٥٦٩-٥٧٣ و ٦٣٥ - ٦٣٨ و *Preusser* صفحة ١٤

الربان اشعيا والربان صليوا والربان كوركيس مع بقية الاخوة المبتدئين، بثماني قطع فضة لدير مار يوحنا الديلمي . »

وفي مكتبة كنيسة مار كوركيس مخطوط ينطوي على الحسايات ، وهي صلوات استغفارية خشوعية يترنم بها الكاهن أثناء الصلوات الفرضية ، جاء في آخره ماترجمته : « كتبه يشوع بن كوركيس من قبيلة بيت سماطـا الحـديدي لدير مار يوحنا الديلمي سنة ٣٠٣٤ لليونان ١٧٢٣م في عهد البطريرك شكر الله ومار باسيليوس متيوس ومـار ايونيس كارس رئيس دير مار بهنـام والراهب اشعيا رئيس دير مار يوحنـا الديلمي والراهب يشوع والراهب صليبا . »

وفي هذه المكتبة مخطوط آخر يشتمل على فرض الأعياد المارانية جاء فيه ماتعريبه : « كتبه الراهب كوركيس الحديدي في دير مار بهنام سنة ٢٠٥١ لليـونان ١٧٣٠م في عهد البطريرك شكر الله وايونيس كارس والربان اشعيا والربان يوحنا والشماس بهنـو والمبتدئين صليبا وقرياقوس وسركيس واهدي لدير مار يوحنا الديلمي ».

وفي مكتبة الطاهرة مخطوط آخر ورد فيه بالحرف الكرشوني ما يلي : « لما كان بتاريخ سنة ٢٠٤٦ يونانية ١٧٣٥م قام علي اضطهاد من المطران كارس واخوة الذين في دير مار بهنام ، وطردوني من هناك ، وجئت سكنت في دير مار يوحنا الديلمي عنـد اولاد خالتي ربان صليوا وربان يوحنا وأخوهم الشماس بولس ، وفرحوا بي فرحا كثيراً واهتموا بي كثيراً فوق الحد . وان تسألوا عن اسم الكاتب الحقير فهو الربان يوحنـا بن ايليا ». ثم اختفت عنا اخبار هذا الدير ، والظاهر انه هجـر يوم اكتسحت جيوش طهماسب نادرشاه هذه الديار وشتتت شمل اصحابها سنة ١٧٤٢م .

الفصل الخامس عشر

مركز قرية برطلي في التاريخ

برطلة او برطلي قرية قديمة جداً ، شمالي قرهقوش ، تبعد عنها مسافة نحو عشرة كيلو مترات ، تربض على هضبة تطل على برية فسيحة الارجاء ، يقع البصر منها على مدى

شاسع ومنظر فتان .

كانت برطلي ، في غابر الازمان ، بلدة ذات شأن تمتد الى مسافات تنطق بذلك كثرة التلال العظيمة المحيطة بها ، وما في ظاهرها من آثار دور مندرسة ، يعثر عند التنقيب فيها ، على قطع خزفية كثيرة وحلى ذهبية وفضية ونقود آشورية وعربية عليها كتابة كوفية .

قال ياقوت ١٢٢٨م : « برطلي (بالفتح وضم الطاء وتشديد اللام وفتحها بالقصر والامالة) قرية كالمدينة ، في شرقي دجلة الموصل ، من اعمال نينوى ، كثيرة الخيرات والاسواق والبيع والشراء ، يبلغ دخلها كل سنة عشرين الف دينار حمراء ، والغالب على أهلها النصرانية ، وبها جامع للمسلمين واقوام من أهل العبادة والتزهد ولهم بقول وخس جيد ، يضرب به المثل وشربهم من الآبار . »(١)

ان برطلي هي موطن أعلام علماء وأحبار فضلاء نبغ فيها في ابان عزها من بلغاء الكتاب بالسريانية مار يعقوب مطران دير مار متى واذربيجان صاحب التآليف الرائعة والقصائد اللامعة ١٢٤١ وابو نصر البرطلي من آل حبوكني رئيس دير مار متى صاحب الحسايات ١٢٩٠ ، ونسيبه الشماس بهنام حبوكني الطبيب الاديب ١٢٩٢ ، وديوسقورس جبرائيل اسقف الجزيرة ناظم سيرة المفريانين ابني العبري ١٣٠٠ .

وممن ينسب اليها اغناطيوس مطران دير مار متى ١٢٦٩ ، وعبدالله مطران الجزيرة ١٣٢٦ ، والمفريان غريغوريوس متى الاول ١٣٤٥ ، والبطريرك بهنام حبوكني البرطلي الاصل الحدلي النشأة الكاتب الشاعر ١٤٥٤ ، والبطريرك يوحنا بن شيلله البرطلي الاصل الماردیني المنشأ ١٤٩٣ ، فضلا عن أصحاب الخط السرياني الأنيق الذين وصلت الينا مخطوطاتهم النفيسة كالراهب مبارك سنة ١٢٢٠ والقس شمعون ١٢٥١ وغيرهما . (٢)

ولحظ مفارنة المشرق برطلي ، بعين العناية ، فشيدوا فيها الكنائس البديعة والدور الجميلة ، فابتنى فيها المفريان اغناطيوس لعازر ١١٦٤ كنيسة كبرى ، وغريغوريوس

---

١) معجم البلدان مجلد ٢ ص١٢٨

٢) اعلام السريان : يعقوب البرطلي لغبطة البطريرك افرام برصوم في الحاشية ٢ - ٣ ومجلة نشرة الاحد المجلد التاسع سنة ١٩٣٠ ص٧٠٠

يعقوب الثاني ١٢٩٥ دارا جميلة ، والمفريان مار غريغوريوس ابن العبري ديراً باسم الشهيد يوحنا ابن النجارين في قرية بيت اكارا ، واقام فيها المفريان ديونوسيوس صليبا الثاني ١٢٧١ ثماني سنوات، وكذلك المفريان غريغوريوس متى الاول المذكور، وفيها توفي المفريان برصوم الصفي ١٣٠٧ ، وسكن فيها المفريان قورلس يوسف ١٤٧٠ .(١)

غير ان الرزايا والمحن قد توالت على هذه البلدة فلاقى منها سكانها الوانا شتى ، فتهدمت دياراتها وتقوضت كنائسها واكتسحت مساكنها واخصها الكارثة التى حلت بها في زمن نادرشاه طهماسب عام ١٧٤٢ فان عساكر هذا الطاغية شتتت شمل اصحابها ومحقتها محقا عن آخرها تقريبا .(٢)

وبرطلي ، هي اليوم ، مركز ناحية الحمدانية الواسعة وفيها دائرة للبريد واخرى للمخابرات التلفونية . يبلغ عدد سكانها ما يربو على ٣٠٠٠ نسمة ثلثها سريان كاثوليك والثلثان الآخران سريان ارثوذكس، لكل منهما كنيستان ، اجملها كنيسة مار جرجس الجديدة للسريان الكاثوليك، وفي جانب هذه الكنيسة دير للراهبات الكاترينات الوطنيات وفي برطلي ايضا مدرسة ابتدائية كاملة للبنين .

عرف سكان برطلي بنشاطهم ، منذ القديم ، فهم يتعاطون الزراعة والصناعة كالحياكة والبيع والشراء وغيرها . اما لغتهم فهي السريانية العامة ويحسنون ايضا العربية والطريق من برطلي الى الموصل معبد لطيف يبلغها المسافر بعدة عشرين دقيقة .

---

١) اعلام السريان ص٣ ونشرة الاحد المجلد التاسع ص٦٩٩-٧٠٠ وانباء الزمان ٣٥-٤٤ وذخيرة الاذهان ٢ : ٦٥ واصدق ما كان ٢ : ٣٨٦

٢) تاريخ الموصل ١ : ٢٧٨ وتاريخ نصارى العراق صفحة ١٣٦

كلمتنا الأخيرة

هذا ما رأينا الاقتصار عليه في هذا الكتيب نقدمه بمثابة ذكرى شهية وتحفة جميلة لمحبي هذا الدير المقدس وارباب البحث والتنقيب فيطلع ابناء اليوم على عبقريات الاجيال الغابرة ونتائج جهود رجال القرون القديمة ويخطر ببالهم ذكريات اسلافهم الذين بذلوا من التضحيات اوفرها وكابدوا من الاتعاب والصعوبات أجزلها لانشاء وتعزيز هذه المعالم الاثرية ، ذات الشأن في تاريخ بلادنا العزيزة ، ولا ريب في انهم سيرحبون به لما فيه من الفوائد التاريخية الجليلة حيث انه يلقي ضوءا على تاريخ دير مار بهنام النفيس ويميط اللثام عن زاوية من اخبار هذه البقعة العزيزة ، مهد آبائهم واجدادهم منذ غابر الاجيال ، فيستفيدوا مما احتواه من اخبارهم ويتحدثوا بمآثرهم ويتنافسوا في اقتفاء آثارهم ، والله نسأل التوفيق فهو سميع الدعاء وعليه الاتكال في كل حين وحال .

محتويات الكتاب

		الصفحة
توطئة		٣
مصادر الكتاب		٥
	﴿ القسم الاول ﴾	
	تاريخ دير مار بهنام الشهيد	٩
موقع دير مار بهنام الشهيد		١١
	﴿ الباب الاول ﴾	
	اخبار مار بهنام الشهيد المعظم	١٣
الفصل الأول	ملخص ترجمة مار بهنام الشهيد	١٣
الفصل الثاني	عهد كتابة هذه الترجمة	١٩
الفصل الثالث	مسقط رأس مار بهنام	٢١
الفصل الرابع	تاريخ استشهاد مار بهنام	٢٤
الفصل الخامس	تسمية مار بهنام « بخضر الياس »	٢٦
الفصل السادس	مار بهنام قديس عجائبي قدير	٢٨
	﴿ الباب الثاني ﴾	
	أثر مار بهنام التاريخي في المجتمع الشرقي	٣٠
الفصل الاول	ادراج اسم مار بهنام في سفر الحياة	٣١
الفصل الثاني	التقاريظ والمدائح	٣٢
الفصل الثالث	انتشار سيرة مار بهنام	٣٧
الفصل الرابع	القصائد والارجوزات في مديح مار بهنام	٣٨
الفصل الخامس	اتخاذ اسم مار بهنام تيمناً به منذ القديم	٤٠

الصفحة

الفصل السادس	الكنائس التي شيدت على اسم مار بهنام	٤٤
الفصل السابع	الديورة التي شيدت » » »	٥٠

﴿ الباب الثالث ﴾

	تاريخ دير مار بهنام في عصوره الأولى	٥٢
الفصل الاول	مخطط دير مار بهنام	٥٢
الفصل الثاني	تاريخ بناء دير مار بهنام وكنيسته الاثرية	٥٤
الفصل الثالث	دير مار بهنام في بدء دوره التأسيسي	٥٦

﴿ الباب الرابع ﴾

	دير مار بهنام في حكم العرب	٥٩
الفصل الاول	فذلكة تاريخية	٥٩
الفصل الثاني	دير مار بهنام في هذه الحقبة	٦١
الفصل الثالث	فذلكة تاريخية في ادوار انحطاط الدولة العباسية	٦٢
الفصل الرابع	دير مار بهنام في هذا العصر	٦٤

﴿ الباب الخامس ﴾

	اخبار دير مار بهنام في القرون الوسطى	٦٦
الفصل الاول	دير مار بهنام في عصره التاريخي الزاهي	٦٦
الفصل الثاني	دير مار بهنام والتكريتيون الجديديون	٦٨
الفصل الثالث	دير مار بهنام بعد انهيار الدولة العباسية	٧٢
الفصل الرابع	دير مار بهنام والتتر	٧٤
الفصل الخامس	دير مار بهنام ورهبان دير مار متى	٧٥

﴿ الباب السادس ﴾

	اخبار دير مار بهنام في القرون المتأخرة	٧٧

الصفحة

الفصل الاول	دير مار بهنام مقام مفرياني	٧٧
الفصل الثاني	دير مار بهنام كرسي اسقفي	٧٩
الفصل الثالث	الاحبار والرؤساء الذين تولوا ادارة الدير او نشأوا فيه	٧٩
	١ ـ المطران يوحنا عبد المسيح الباخديدي	٨٠
	٢ ـ الربان باكوس الخديدي	٨٠
	٣ ـ المفريان يلدا الخديدي	٨١
	٤ ـ المطران هداية الله شمو الخديدى	٨١
	٥ ـ الربان شمعون الباخديدى	٨١
	٦ ـ المطران ايونيس كارس الخديدى	٨٣
	٧ ـ القس كوركيس بن جمال الدين	٨٤
	٨ ـ المطران ايونيس يوحنا	٨٤
	٩ ـ المطران ايونيس بهنام بن القس عيسى الموصلي	٨٤
	١٠ـ الربان هندى بن اسحق زورا الموصلي	٨٥

{ الباب السابع }

	دير مار بهنام في دور الخمول	٨٦
الفصل الاول	دير مار بهنام بيد اليزيدية	٨٦
الفصل الثاني	دير مار بهنام بيد السريان الكاثوليك	٨٩
الفصل الثالث	البطريرك متى نعلب يستولي على دير مار بهنام	٩١

{ الباب الثامن }

	احبار هذا الدير وروساؤه ورهبانه واوقافه عبر الاجيال	٩٣
الفصل الاول	جدول باسماء بعض الاحبار الذين تلقوا العلوم او ارتقوا الى هذه الرتبة في دير مار بهنام	٩٤

الصفحة

الفصل الثاني جدول باسماء بعض رؤساء هذا الدير ٩٥
الفصل الثالث لائحة باسماء الرهبان المعروفين ٩٦
الفصل الرابع عمارات دير مار بهنام على توالي الاحقاب ٩٨
الفصل الخامس اوقاف دير مار بهنام في هذه الاحقاب ٩٩

﴿ الباب التاسع ﴾

مكتبة دير مار بهنام في هذه العصور ١٠٢
الفصل الاول مكتبة دير مار بهنام في عصرها الاول ١٠٢
الفصل الثاني مكتبة دير مار بهنام في عصرها الثاني ١٠٤
الفصل الثالث من هذه المخطوطات في مكتبة دير مار بهنام الحالية ١٠٥
الفصل الرابع من هذه المخطوطات في مكتبة كنيسة الطاهرة في قرهقوش: ١٠٦
١ـ المصاحف المختصة بمكتبة الدير المندثرة ١٠٦
٢ـ المخطوطات التي جهزها رهبان دير مار بهنام ديورة و كنائس اخرى ١٠٩
الفصل الخامس مكتبة كنيسة مار كوركيس في قرهقوش ١١٢
الفصل السادس من مخطوطات مكتبة دير مار بهنام في شتى الانحاء ١١٣
الفصل السابع مكتبة دير مار بهنام في عصرها الاخير ١١٥

﴿ الباب العاشر ﴾

دير مار بهنام في عصره الاخير ١١٦
الفصل الاول دير مار بهنام في حوزة السريان الكاثوليك ١١٦
الفصل الثاني الزوار والمستشرقون الذين زاروا دير مار بهنام في هذه الحقبة ١١٧
الفصل الثالث حالة دير مار بهنام قبل تجديده ١٢٠
الفصل الرابع دير مار بهنام والبطريرك افرام الثاني رحماني ١٢١
الفصل الخامس بعد خمسين عاما ١٢٢

الصفحة

الفصل السادس	مكتبة دير مار بهنام الحالية	١٢٤
الفصل السابع	المحسنون على دير مار بهنام فى عهده الجديد	١٢٥
	﴿ القسم الثانى ﴾	
	جولة في آثار دير مار بهنام الشهيد	١٢٧
	﴿ الباب الاول ﴾	
	درس تحليلي لآثار دير مار بهنام	١٢٩
الفصل الاول	مخطط كنيسة دير مار بهنام الحالية	١٢٩
الفصل الثاني	مخطط هذه الكنيسة القديم	١٣٠
الفصل الثالث	عهد الانشاءات المضافة الى بناء الكنيسة بعد توسيعها	١٣٣
الفصل الرابع	مواد البناء	١٣٥
الفصل الخامس	خصائص هذه الآثار	١٣٦
الفصل السادس	مقام هذه الآثار فى الشرق المسيحي	١٣٧
	تفاصيل وصف هذه الآثار	١٤٠
	﴿ الباب الثاني ﴾	
	رواق الكنيسة الغربي	١٤١
الفصل الاول	آثار هذا الرواق التاريخية	١٤١
الفصل الثاني	مدخل الكنيسة الجنوبي	١٤٣
الفصل الثالث	شبه الرتاج المتوسط البابين	١٤٤
الفصل الرابع	مدخل الكنيسة الشمالي	١٤٦
	﴿ الباب الثالث ﴾	
	آثار الكنيسة الداخلية	١٤٨

		الصفحة
الفصل الاول	تاريخ وفاة راهب	١٤٩
الفصل الثاني	الباب الجنوبي الاول (مصلى مار متى الشيخ)	١٥٠
الفصل الثالث	كتابة تاريخية	١٥٠
الفصل الرابع	الرتاج الجنوبي الثاني الفخم (مصلى القديسة سارة)	١٥١
الفصل الخامس	باب قدس الاقداس الصغير	١٥٣
الفصل السادس	مدائح لمار بهنام	١٥٤
الفصل السابع	رتاج قدس الاقداس الملكى (مذبح مار بهنام)	١٥٤
الفصل الثامن	داخل قدس الاقداس	١٥٦
الفصل التاسع	اقدم كتابة تاريخية في هذه الكنيسة	١٥٧
الفصل العاشر	صورة رخام صغيرة لمار بهنام	١٥٧
الفصل الحادي عشر	مدائح لمار بهنام على يمين باب المذبح الكبير	١٥٧
الفصل الثاني عشر	تمثال مار بهنام	١٥٨
الفصل الثالث عشر	تمثال الاميرة الشهيدة سارة	١٥٩
الفصل الرابع عشر	رتاج بيت القديسين (مصلى الاربعين شهيداً)	١٦٠
الفصل الخامس عشر	الواح ضريحية في مصلى بيت القديسين	١٦١
الفصل السادس عشر	الباب الشمالي (معبد العذراء)	١٦٢
الفصل السابع عشر	قبة هذا المعبد الشمالي النفيسة	١٦٣
الفصل الثامن عشر	الباب الشمالي الثاني (مصلى مار افرام)	١٦٤
الخلاصة		١٦٤

﴿ الباب الرابع ﴾

	آثار معبد الضريح المعروف «بالجب»	١٦٥
الفصل الاول	موقع معبد الجب	١٦٥

الصفحة

الفصل الثاني	مخطط معبد الجب	١٦٦
الفصل الثالث	هل يا ترى هذا هو المخطط الاصلي للجب ؟	١٦٧
الفصل الرابع	تاريخ بناء معبد الجب	١٦٨
الفصل الخامس	سبب تسمية هذا المعبد بالجب	١٧٠

﴿ الباب الخامس ﴾

	أهم آثار الجب	١٧١
الفصل الاول	ضريح سنحاريب والد مار بهنام	١٧١
الفصل الثاني	ضريح مار بهنام : تاريخ انشاء هذا الضريح	١٧١
الفصل الثالث	وصف هذا الضريح	١٧٣
الفصل الرابع	كتابات هذا الضريح	١٧٤
الفصل الخامس	قبور الشهداء : لوحة أثرية نفيسة ـ مدائح لمار بهنام	١٧٥
الفصل السادس	بعض آثار هذا المعبد : منفذ سري ـ صورة لمار بهنام ـ سلسلة حديد ـ لوحة عليها كتابة في مدح مار بهنام ومثلثات في وسط دوائر ـ حفرة في منتصف باحة القبة	١٧٧
الفصل السابع	جدول بلوحات آثار دير مار بهنام التاريخية : كتابات الكنيسة ـ كتابات الجب	١٧٨
الفصل الثامن	وقفة على تل الدير	١٨٠
الفصل التاسع	عين القديسة سارة	١٨٢
الخاتمة		١٨٣

ذيل

	الآثار التاريخية المجاورة لدير مار بهنام	١٨٤

الباب الاول

الصفحة

	آثار مدينة كالح او كلخو «نمرود»	١٨٥
الفصل الأول	مذاكرة تاريخية عامة : نسبة الآشوريين - أصل الآشوريين - حضارة الآشوريين	١٨٥
الفصل الثاني	مدينة كالح «نمرود» : موقع هذه المدينة - مؤسس هذه المدينة	١٨٧
الفصل الثالث	كالح «نمرود» عاصمة الامبراطورية الآشورية في دورها الأول	١٨٨
الفصل الرابع	كالح عاصمة الامبراطورية الآشورية العظمى في دورها الثاني	١٨٩
الفصل الخامس	نهاية الدولة الآشورية	١٩٣
الفصل السادس	مدينة نمرود في عصر مار بهنام	١٩٥
الفصل السابع	التنقيبات الأثرية الأولى في أطلال كالح «نمرود»	١٩٨
الفصل الثامن	الآثار المستخرجة من هذه القصور	١٩٩
الفصل التاسع	التنقيبات الحديثة في أطلال نمرود	٢٠٤
الفصل العاشر	آثار قناة آشورناصربال الثالث المعروفة «بالنقوب»	٢٠٩

الباب الثاني

	العودة الى الموصل عن طريق قرهقوش — برطلي	٢١٣
الفصل الاول	من دير مار بهنام الى قرهقوش : آثار بلوات - موقع قرهقوش - اسماء قرهقوش - اصل القرهقوشيين - شهرة القرهقوشيين .	٢١٣
الفصل الثاني	قرهقوش في عصورها الاولى	٢١٥
الفصل الثالث	باخديدا في التاريخ (قرهقوش)	٢١٧
الفصل الرابع	اعلام قرهقوش العاملون	٢٢٠
الفصل الخامس	آثار قرهقوش العلمية : المكتبة	٢٢٠
الفصل السادس	من آثار هذه المكتبة في شتى الانحاء	٢٢٥

الفصل السابع	آثار قرهقوش العمرانية خارج القرية	٢٢٦
الفصل الثامن	آثار قرهقوش العمرانية في القرية نفسها	٢٢٧
الفصل التاسع	تاريخ بناء هذه الكنائس	٢٢٨
الفصل العاشر	انضمام قرهقوش الى الكثلكة	٢٣٥
الفصل الحادي عشر	اهمية قرهقوش الاقتصادية	٢٣٦
الفصل الثاني عشر	مركز قرهقوش الاجتماعي	٢٣٨
الفصل الثالث عشر	حركة قرهقوش الثقافية	٢٣٩
الفصل الرابع عشر	آثار دير مار يوحنا الديلمي المعروف « بوقورتايا »	٢٣٩
الفصل الخامس عشر	مركز قرية برطلي في التاريخ	
	كلمتنا الاخيرة	٢٤٤
	محتويات الكتاب	٢٤٥

الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢	الصورة الاولى	جناح الدير الشمالي من الداخل	مدخل الدير
١٢	الصورة الثانية	منظر الكنيسة العام من حوش الدير	جناح الدير الشمالي من الداخل
٢٧	١٠	يونيون	بونيون
٣١	٨	سيرتا	سبرتا
٣٣	١٢	يشابه	بشابه
٤٤	الحاشية (٤)	رسالة القس عطا الله ...	فهرس مخطوطات مكتبة باريس رقم ١٠٦ عدد ٣ ص ٦٤
٤٥	الحاشية	...	رسالة القس عطـا الله الي البطريرك جروه في ١٨ آب ١٧٨٥ (من محفوظات دير الشرفة)
٤٥	الحاشية	(١) ...	تصبح ٢ : توافد التكريتيون وهكذا دواليك حتى الحاشية ٦ فتصبح ٧ وتوضع في السطر الاخير بعد عبارة ولزوار دير مار بهنام
٥١	٧	أهلا	آهلا
٦٣	الحاشية (٣)	مغازة	مفازة
٦٤	١٢	تصيب هذه الديار عندوقوعها	نصيب هذه الديار عند وقوعها
٨١	١٦	مخطوطاً ثانياً	مخطوطاً ثالثاً
٩٢	٦	نازني	نارني
٩٣	١٤	لم نتوقف	لم نتوفق
٩٥	٧	نارج	نازج (تلفظ كالجيم المصرية)

٩٧	٨	الربان توما بن الياس الموصلي	يليه والربان يلدا والربان كارس كما في ص ١٠١ من هذا المؤلف عدد ٦ قائمة باسماء الكهنة
٩٩	٩	قائمة الكهنة	
١١٤	١٧	بالزباني	بالزرباني
١١٨	١٣و١٤	نيبوت و Niebuth	نيبور و Niebuhr
١١٩	٦، ١٠، ١٢	موسم ، ورمج ، بالاس	مواسم ، ريج ، بلاس
١٢٩	٦	غرف	غرفاً
١٢٣	١١	بني فيها	بني فوقها
١٤١	الحاشية (١)	اقد خيا	لقد خيل
١٥٢	٣	علية	عليه
١٤٢	٩	١٩١٠	١٩١٤
١٤٣	١٦	عضارة	عضادة
١٤٤	٩	بجمان متناظران	بجمتان متناظرتان
١٤٩	١١	ويفى	ويمن
١٦٣	١٧	وهو	وهى
١٦٦	الحاشية (٣)	Bodger	Badger
١٩٣	١٨	الواقعة عن حدودها	الواقعة على
١٩٧	الحاشية (٢)	١) معجم البلدان	٤) معجم البلدان
١٩٧	الحاشية	٣) عن المقال ... للاستار	٥) عن مقال ... للاستاذ
٢٠٢	١٢	اطباقاً	اطباقاً من زجاج
٢٠٥	٩	غيرها	وغيرها من المساكن
٢٠٨	٢٣	المكية	الملكية
٢١١	١٣	الترسباب	الترسبات
٢٢١	٢	فاحرف	فاحرق
٢٣٧	٦	تدرأ	تدر
٢٣٩	٥	دارساً	دارس

ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

ܕܡܠܦܢܐ ܓܘܪܓܝܣ ܒܪ ܐܢܛܘܢ ܕܒܝܬ ܟܝܪܐܙ

Ex Libris

Beth Mardutho Library

The Malphono George Anton Kiraz Collection

ܟܠ ܐܢܫ ܕܫܩܠ ܠܗ ܠܟܬܒܐ ܗܢܐ ܡܢ ܒܝܬ ܐܒܗܬܐ

ܐܘ ܦܣܩ ܡܢܗ ܡܕܡ ܢܗܘܐ ܡܫܬܐܠ ܒܝܬ ܕܝܢܐ

ܘܥܘܢܝܐ ܡܢ ܒܢܝ ܡܠܟܐ ܘܡܚܪܡ ܘܢܣܒ ܚܠܠ ܐܘ

ܠܡܐ ܠܗ ܗܕܪܐ ܠܐ ܢܣܒ ܢܗܘܐ ܠܗ ܗܕܪܐ ܒܝܬ

ܟܬܒܘܗܝ ܕܡܪܝܐ ܘܢܗܦܘܟ ܠܗ ܠܕܘܟܬܗ܀

Anyone who asks for this volume, to read, collate, or copy from it, and who appropriates it to himself or herself, or cuts anything out of it, should realize that (s)he will have to give answer before God's awesome tribunal as if (s)he had robbed a sanctuary. Let such a person be held anathema and receive no forgiveness until the book is returned. So be it, Amen! And anyone who removes these anathemas, digitally or otherwise, shall himself receive them in double.

ܬܫܥܝܬܐ ܥܕܬܢܝܬܐ ܒܝܬ ܡܪܕܘܬܐ

Church History: Churches and Monasteries

Beth Mardutho Library